القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة التاسعة والعشرون العدد 9064 الأحد 14 كانون الثاني (يناير) 2018 – 27 ربيع الآخر 1439 هـ
Volume 29 - Issue 9064 Sunday 14 January 2018

16

حريات: الطالبات المحجبات في بريطانيا

20

بلال فضل: سطوة اللحظة الراهنة

34

صبراتة: تختزل تاريخ ليبيا وتختزن آثارها

تونس: أي مصير ينتظر حكومة الشاهد 03

العراقيون وبديل حكم الأحزاب الدينية 26

تكنولوجيا: مشتقات الحلب وقود للطائرات 31

سوريا: هل بدأت معركة إدلب الكبرى؟

تتواصل معارك الكر والفر في أطراف محافظتي إدلب وحماه بين كتائب الجيش السوري الحر والفصائل الإسلامية من جهة، وتحالف قوات النظام السوري والميليشيات الإيرانية والطيران الحربي الروسي من جهة ثانية. خارطة الاشتباك تتوسع أو تتقلص تبعاً لتقدم الأطراف أو تراجعها، خصوصاً على جبهة مطار أبو الظهور، لكن انخراط القوات التركية في المعارك ضد الوحدات الكردية يمكن أن يوسع نطاق التورط الإقليمي، وقد يطلق معركة إدلب الكبرى حيث يتجمع عشرات الآلاف من الفصائل الإسلامية والجهادية.

(ملف الحدث، ص 6ـ13)

■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Price List
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

انتفاضة الغضب الشعبي تتصاعد على حدود غزة... وإسرائيل تتوقع أن تكون «الجبهة الأسخن» عام 2018

جانب من احتجاجات غزة ضد ترامب

غزة ـ «القدس العربي»: أشرف الهور

لم ينطفئ وهج «انتفاضة العاصمة» التي جاءت كرد فلسطيني من كل المستويات على قرارات الرئيس الأمريكي الأخيرة دونالد ترامب تجاه مدينة القدس، مع اقترابها من دخولها أسبوعها السابع، حيث واصل الشبان الغاضبون نشاطهم اليومي بالوصول إلى مناطق التماس مع جيش الاحتلال، غير مكترثين بنيران القناصة. وشهدت أيام الأسبوع الماضية مواجهات عدة على حدود القطاع، أسفرت عن وقوع إصابات في صفوف المتظاهرين، في الوقت الذي تعالت فيه الأصوات المطالبة بـ «تصعيد وتأجيج» الانتفاضة، باستخدام كل أشكال المقاومة المتاحة.

وشهدت مناطق حدودية عدة الأسبوع الماضي مواجهات حامية الوطيس، بين شبان فلسطينيين اعتادوا على الوصول لتلك المناطق، وبين جنود الاحتلال الإسرائيلي، كان أحدها حين تحدى المتظاهرون الأجواء الماطرة والباردة والعواصف، ورشقوا جنود الاحتلال بالحجارة، في إشارة على استمرار نهج المقاومة الشعبية بوجه الاحتلال.

ولم تمنع نيران القناصة الإسرائيلية هؤلاء المتظاهرين من المشاركة في المواجهات، كذلك لم تصد قنابل الغاز السيل للدموع، والتي حذرت وزارة الصحة سابقا من احتوائها على مواد ممنوعة دوليا، من تقدم الشبان صوب السياج الحدودي. وسجل الأسبوع المنصرم، تمكن عشرات الشبان من قطع جزء من هذا السياج والولوج إلى ما بعد الحدود، حاملين بذلك رسالة تحد للاحتلال، فيما أسفرت المواجهات عن سقوط شهداء وعشرات الجرحى، الذين قوبلوا بنيران القناصة الإسرائيلية، رغم عدم تشكيلهم أي خطر حقيقي.

وقد أكدت ذلك تقرير حقوقي إسرائيلي، أصدره مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة «بتسيلم»، اتهم قوات الاحتلال الإسرائيلي بأنها أطلقت الشهر الماضي الرصاص الحي وقتلت ثمانية فلسطينيين غير مسلحين، ولم يشكل أي منهم أدنى خطر على الحياة، خلال المظاهرات قرب الجدار الحدودي في قطاع غزة.

وبالتفاصيل تحدث التقرير عن أسماء وتواريخ وتفاصيل الضحايا الذين وقعوا ضحية الرصاص الإسرائيلي، مشيرا إلى أنه على ضوء عدد القتلى والجرحى الفلسطينيين والامبالاة التامة المشاركة في المواجهات، كذلك لم تصد قنابل الغاز السيل للدموع، والتي حذرت وزارة الصحة سابقا من احتوائها على مواد ممنوعة دوليا، من تقدم الشبان صوب السياج الحدودي. وسجل الأسبوع المنصرم، تمكن عشرات الشبان من قطع جزء من هذا السياج والولوج إلى ما بعد الحدود، حاملين بذلك رسالة تحد للاحتلال، فيما أسفرت المواجهات عن سقوط شهداء وعشرات الجرحى، الذين قوبلوا بنيران القناصة الإسرائيلية، رغم عدم تشكيلهم أي خطر حقيقي.

وقد أكدت ذلك تقرير حقوقي إسرائيلي، أصدره مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة «بتسيلم»، اتهم قوات الاحتلال الإسرائيلي بأنها أطلقت الشهر الماضي الرصاص الحي وقتلت ثمانية فلسطينيين غير مسلحين، ولم يشكل أي منهم أدنى خطر على الحياة، خلال المظاهرات قرب الجدار الحدودي في قطاع غزة.

وبالتفاصيل تحدث التقرير عن أسماء وتواريخ وتفاصيل الضحايا الذين وقعوا ضحية الرصاص الإسرائيلي، مشيرا إلى أنه على ضوء عدد القتلى والجرحى الفلسطينيين والامبالاة التامة لدى الجمهور الإسرائيلي إزاء هذه الأحداث «لا حاجة إلى التذكير بما كان ينبغي أن يكون واضحا للجميع بأنه يُسمح بإطلاق الذخيرة الحية فقط عندما يكون هناك خطر فوري على الحياة».

وأكد التقرير أن العدد الكبير للقتلى والجرحى، جاء في أعقاب «الاستعمال المفرط وغير القانوني للذخيرة الحية»، ونوه إلى أنه في الإعلان عن فتح تحقيق من قبل شرطة التحقيقات العسكرية بخصوص استشهاد الشاب المقعد إبراهيم أبو ثريا، بعد أن أثار قتله «صدى إعلاميا» لا يحمل أي جديد، وأنها تمثل المرحلة الأولى من عملية التمويه الروتينية الخاصة بملابسات قتل الفلسطينيين من قبل قوات الاحتلال.

ودفعت حالة الغضب الشعبي والمواجهات المستمرة جيش الاحتلال الإسرائيلي، إلى الإعلان بأنه يتوقع أن تكون «جبهة غزة» خلال عام 2018 أكثر سخونة مقارنة مع الجبهات الأخرى.

وحسب ما نقل عن الناطق باسم جيش الاحتلال افيخاي ادرعي فإن جيشه استغل العام الماضي 2017 الذي كان هادئا نسبياً لتنفيذ عمليات تدريب واسعة ولامتلاك أسلحة لم يمتلكها في الماضي، ومنها المقاتلة الجوية العملاقة أف 35، وغواصات ودبابات وناقلات جند مدرعة، كما كشف أدرعي النقاب عن أن الجيش الإسرائيلي سينهي خلال العام الجاري بناء الجدار، الذي يشمل عائقا «تحت الأرض»، حول قطاع غزة. وقد جاءت المواجهات التي دخلت أسبوعها السابع، في سياق حالة الغضب الشعبي، التي عبرت عنها الفصائل الفلسطينية، من خلال استمرار دعواتها لجعل أيام الجمعة «أيام غضب» في وجه الاحتلال.

وفي مدينة غزة خرجت هذه الفصائل في تظاهرة جماهيرية حاشدة، أكدت خلالها الفصائل الفلسطينية على ضرورة استمرار «انتفاضة العاصمة»، وتطويرها باستخدام «كل أشكال المقاومة»، وجددت كذلك تأكيدها على عدم تمرير القرارات الأمريكية الخاصة بمدينة القدس، باعتبارها عاصمة لدولة الاحتلال.

وأكدت هذه الفصائل في بيان تلي في نهاية المسيرة، على دعم استمرار الانتفاضة «بكل أشكال المقاومة»، وطالبت بدعم عربي وإسلامي، للتصدي لـ «القرارات الظالمة» التي أصدرها ترامب مؤخرا، وشددت على أن مدينة القدس كاملة هي عاصمة فلسطين.

ودعت كذلك الدول العربية والإسلامية والمجتمع الدولي لفرض «عزلة دولية» على الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، بما فيها فرض «المقاطعة الاقتصادية»، وطالبت المجتمع الدولي للتحرك بشكل سريع من أجل منع تطبيق القرارات الأمريكية الأخيرة، وكذلك منع إسرائيل من تطبيق ما أصدره الكنيست مؤخرا من قوانين تجاه القدس والأسرى، محملا الإدارة الأمريكية مسؤولية كل تبعات هذه القرارات. وتأكيدا على أهمية الوحدة أكدت الفصائل على ضرورة اتمام المصالحة لتقوية الجبهة الداخلية في مواجهة المؤامرات التي تعصف بالقضية الفلسطينية، وإلى ضرورة اتخاذ المجلس المركزي لمنظمة التحرير، المقرر أن يعقد جلسة منتصف الشهر الجاري، قرارات تناسب المرحلة.

ولم يترك المتظاهرون، وبينهم رجال كبار في السن وأطفال وشبان ونساء، الفعالية دون إحراق العلمين الأمريكي والإسرائيلي، كتعبير عن حالة الغضب على القرارات التي تمس مدينة القدس.

وقد أكدت القوى على ضرورة استمرار «فعاليات المقاومة الشعبية» ضد الاستيطان الاستعماري والحواجز ومناطق التماس رفضا لكل محاولات الاحتلال تكريس احتلاله واستيطانه وحواجزه في أراضي الدولة الفلسطينية، ورفضا كذلك لسياسات الولايات المتحدة الأمريكية.

ويستدل من تهديدات الفصائل الفلسطينية ومن التحذيرات الإسرائيلية أن هناك احتمالية لاندلاع «مواجهات مسلحة» حال استمرت القرارات سواء الأمريكية والإسرائيلية تجاه مدينة القدس، وهو أمر جرى التعبير عنه في رسائل غضب، تمثلت في إطلاق صواريخ من القطاع على بلدات إسرائيلية قريبة من الحدود، قوبل بقصف جوي نفذه جيش الاحتلال، استهدف مواقع للمقاومة الفلسطينية، إضافة إلى رسائل تحذير لحركة حماس من مغبة استمرار هذه الهجمات الصاروخية.

وكان أشد التهديدات الإسرائيلية ضد غزة، حين طالب وزير الزراعة الإسرائيلي أوري أريئيل الجيش إلى إحداث «نقلة نوعية» في الرد على إطلاق الصواريخ من غزة، وأن تشمل الغارات الجوية قتلى وجرحى فلسطينيين.

ونقل عنه القول «منذ أشهر وأنا لم أسمع بسقوط قتلى أو جرحى بغارات الجيش، فما هو هذا السلاح الخاص الذي نطلق به النار على غزة، وأنت ترى الدخان ينبعث بعد الغارات دون إصابة أحد، فقد حان الوقت لإيقاع القتلى والجرحى هناك».

ورداً على سؤال حول تهديدات حركة حماس بتنفيذ المزيد من العمليات، قال إنه لا يتوجب البقاء في «مربع الدفاع عن النفس»، والانتقال إلى «الهجوم وتنفيذ ضربات استباقية».

وفي هذا السياق أكدت حركة فتح أن معركة القدس بالنسبة للشعب الفلسطيني تعتبر «معركة الوجود والهوية الوطنية والدولة»، كونها عاصمة دولة فلسطين السياسية وجزءا لا يتجزأ من أراضي دولة فلسطين المحتلة، وشددت على أنه «لا حل دون القدس». وقال الناطق باسم الحركة اسامه القواسمي إن إعلان ترامب المتعلق بالقدس، المرفوض على كل المستويات والمخالف للشرعية الدولية، يشبه «نزع الروح والقلب من الجسم»، وأكد أن معركة القدس هي «معركة الوجود الفلسطيني».

وقال إن حركة فتح مستمرة في نضالها وتصديها لإعلان ترامب، ولكل الإجراءات والقرارات الإسرائيلية العنصرية التي تستهدف الوجود والتاريخ والهوية والرواية الفلسطينية، مؤكدا أن أمريكا وإسرائيل واهمتان إن ظنا أنهما يستطيعان «فرض صك استسلام على الشعب الفلسطيني وقيادته الوطنية».

كذلك أكدت حركة حماس من جهتها على ضرورة التوحد على برنامج وطني شامل يرتكز على «خيار المقاومة» للدفاع عن الحقوق الفلسطينية، وكسر معادلات الاحتلال، وإلى «تصعيد انتفاضة القدس» واستمرار كل حالات الإسناد الإقليمي والدولي للقضية، في مواجهة السياسات الأمريكية الإسرائيلية العنصرية المتطرفة.

أي مصير ينتظر حكومة يوسف الشاهد في ظل الاضطرابات التي تعيشها تونس؟

يوسف الشاهد

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

ظل كانون الثاني/يناير وفيا لعادته في تونس باعتباره شهر الإضرابات الاجتماعية والمصادمات بين المحتجين وقوى الأمن والأزمات السياسية التي تعصف بالمسؤولين وحتى الأنظمة. فالمتأمل في تاريخ الخضراءيشهد أحداثا بالجملة حصلت في هذا الشهر الذي بات لغزا يصعب حله، لعل أهمها على الإطلاق سقوط نظام بن علي في 2011 و انتفاضة الخبز سنة 1984 وأحداث ما يسمى «الخميس الأسود» سنة 1978 الذي شهد صراعا بين نظام بورقيبة والاتحاد العام التونسي للشغل خلف ضحايا من النقابيين والمدنيين.

لقد كان متوقعا أن ينتفض الشارع مجددا لأسباب عديدة من أهمها أن المطالب الاجتماعية التي خرج من أجلها الشباب قبل سبع سنوات لم يتحقق منها أي شيء. فقد ركبت الطبقة السياسية على «الثورة» التي كانت بلا قيادة، وحققت مطالب تخصها، فيما الوضع الاجتماعي يتدهور إلى أسوأ ومطالب الشباب المنتفض في سيدي بوزيد وتالة والقصرين والأحياء الفقيرة في المدن الكبرى ذهبت أدراج الرياح. ولعل القطرة التي أفاضت الكأس هي قانون المالية الجديد الذي تضمن زيادات كثيرة طالت البنزين وأسعار التزود بالماء والكهرباء ومواد غذائية وحتى العقارات لم تسلم من هذه الزيادات.

تحذيرات سابقة

وقد حذرت أطراف عديدة، وفي وقت سابق، الفريق الحكومي من الزيادات التي يتضمنها قانون المالية الذي كان يومها مجرد مشروع، ودعت الشاهد ووزراءه إلى مراجعته وتعديله لكن دون جدوى. إذ بدا وكأن رئيس الحكومة ومستشاريه يعيشون في عزلة، أو برج عاجي، ولم يقدروا العواقب، ولا هم أخذوا العبرة ممن سبقهم.

فقد كان من المفروض أن يستمع الفريق الحكومي إلى «الناصحين» خاصة أنهم من ذوي الأوزان الثقيلة والخبرة والتجربة على الساحة التونسية، سواء تعلق الأمر بمنظمات وطنية تاريخية مثل الاتحاد العام التونسي للشغل أو بأحزاب سياسية معارضة كالجبهة الشعبية، اليسارية القومية. كما أن الإعلام لعب دورا هاما في لفت نظر الحكومة إلى العواقب الوخيمة التي قد تنجر عن قانون المالية الجديد وزياداته وحتى رجل الشارع العادي كان شاعرا أن المصادقة على هذا القانون لن تمر مرور الكرام. ويؤكد البعض على أن الزيادات التي تضمنها قانون المالية ستصيب الطبقة الوسطى، التي هي عماد الاقتصاد الوطني، في مقتل أو على الأصح ستضيق عليها الخناق أكثر فأكثر. إذ يبدو أن هناك توجها عاما، يحركه صندوق النقد الدولي وشركاء تونس الاقتصاديين» من الدول الرأسمالية، تتخلى بموجبه الدولة عن دورها الاجتماعي الذي يأخذ بعين الإعتبار القدرة الشرائية للمواطن، وتذهب باتجاه الرأسمالية المتوحشة التي لا تقيم وزنا لجيب المواطن.

عجز وفساد

ويذهب كثير من الخبراء والمحللين إلى اعتبار أن سبب ذهاب الحكومة باتجاه الزيادات هو عجزها عن إيجاد بدائل لشعب لا يتجاوز تعداد سكانه 12 مليونا بفضل سياسة تحديد النسل التي انتهجتها دولة الاستقلال. فقد أجمع عدد لا بأس به من خبراء الاقتصاد على أن الحالة التونسية غير مستعصية وأن موارد الدولة وثرواتها المحدودة كافية لتحقيق الرفاه لكل مواطن شريطة التصرف السليم فيها.

كما أجمع هؤلاء على أن الفساد هو أهم المعضلات التي تواجه التونسيين وتحول دونهم والنجاح في بناء دولة قوية ومنيعة من كل النواحي لأنه مستشر بصورة لافتة وزادت وتيرته بعد «الثورة». فلا يمكن أن يستجيب المواطن لدعوات الشاهد بالتضحية من أجل البلاد في ظل وجود شبهات فساد تحوم حول كثيرين ممن هم فاعلون في دوائر القرار وفي محيط الشاهد نفسه.

ولعل ما يحسب للشاهد ولسلفه الحبيب الصيد وربما للباجي قائد السبسي هو تحسن الأوضاع الأمنية في البلاد مقارنة بفترة حكم الترويكا، حيث شعر التونسيون بوجود جهود جدية من الدولة في محاربة الإرهاب بالمقارنة مع ما كان سائدا قبل وصولهم إلى الحكم.

كما أن حكام ما بعد انتخابات 2014 نجحوا في تعديل السياسة الخارجية باتجاه النأي بالنفس عن صراعات المحاور وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول وهو ما جنب البلاد مشاكل عديدة مقارنة بفترة حكم الترويكا التي شهدت اصطفافا مع أطراف إقليمية على حساب أخرى.

أما ما عدا ذلك فإن هناك فشلا ذريعا في الملفات الاقتصادية والاجتماعية ولم يتمكن يوسف الشاهد ولا سلفه الحبيب الصيد من تحقيق معدل نمو معتبر، إذ لم تتجاوز النسبة الاثنين في المئة في أفضل الحالات. ولا يعتبر هذا الرقم كافيا للمساهمة في الحد من نسب البطالة والفقر في البلاد، ولهذا أسبابه ومنها، إلى جانب الفساد، كثرة الاضرابات التي برعت فيها المركزية النقابية بنقاباتها المتعددة وأضرت كثيرا بالاقتصاد بعد توقف التصدير في عديد القطاعات.

نظرية المؤامرة

ويرى البعض، في تفسير ما يحصل اليوم، أن هناك مؤامرة تستهدف يوسف الشاهد قصد الإطاحة به بعد أن تكاثر الأعداء من حوله وتناقص الحلفاء. فالفريق المسيطر على حركة نداء تونس لا تبدو علاقته بالشاهد على ما يرام خاصة بعد أن استهدف رئيس الحكومة الندائي، وفي إطار حربه على الفساد أحد رجال الأعمال المقربين من أصحاب القرار في حزبه. كما أن بعض الفاعلين في النداء إما لديهم الرغبة في الحلول مكان الشاهد أو في مزيد التموقع من خلال تنصيب وزراء ومستشارين موالين لهم.

كما أن بعض الذين طالتهم يد الشاهد في إطار الحرب على الفساد لديهم القدرة على تحريك الشارع من خلال أنصارهم وتابعيهم الذين بقوا طلقاء ولديهم القدرة على الحركة، ومن مصلحة هؤلاء أن يزاح الشاهد عن المشهد لإعادة خلط الأوراق. وتلتقي رغبات هؤلاء برغبة أطياف في المعارضة لا تؤمن بصناديق الإقتراع إلا متى أوصلتها إلى الحكم، ورغبة هؤلاء تبدو جامحة في إعادة البلاد إلى المربع الأول وإجراء انتخابات سابقة لأوانها ويستشف ذلك من تصريحاتهم.

لذلك يرى هؤلاء أنه يوجد في محيط الشاهد وفي بعض الوزارات من يعمل ضد مصالح رئيس الحكومة وهذه الأطراف كانت وراء قانون المالية لتوريط صاحب القصبة وقد نجحت فيما دبرت له في ليل. وبالتالي، وحسب أصحاب هذا الرأي، فإن عددا لا بأس من النيران التي تستهدف يوسف الشاهد هي نيران صديقة سواء تعلق الأمر بحزب الشاهد نفسه أو بحلفائه في الحكم.

فكم من رئيس حكومة أو وزير أول في تاريخ تونس الحديث تم تقديمه ككبش فداء أو شماعة يعلق عليها الحكام الفعليون أخطاءهم، فتتم إزاحتهم عن الحكم حفاظا على التوازنات القائمة ومراعاة لاتفاقيات الغرف المغلقة. فهل يكون هذا مصير الشاهد؟ أم أن لرئيس حكومة تونس الشاب القدرة على المناورة رغم الخراب والخسائر التي يتسبب فيها المندسون في الاحتجاجات الاجتماعية، ورغم انسحاب أحزاب من الحكومة ومن وثيقة قرطاج التي كانت الأساس الذي شكلت على أساسه حكومة الوحدة الوطنية؟

باختصار

تشييع صياد فلسطيني قتل برصاص الجيش المصري

غزة ـ شيّع مئات الفلسطينيين في قطاع غزة جثمان الصياد الذي توفى صباح امس السبت، متأثرا بإصابته إثر تعرضه لإطلاق رصاص من الجيش المصري أمس الأول، قبالة شواطئ مدينة رفح الحدودية.
وأدّى المشيّعون صلاة الجنازة على جثمان الصياد عبد الله رمضان زيدان (33 عاما) في مدينة غزة، قبل مواراته الثرى في مقبرة المدينة.
وشارك في مسيرة التشييع عشرات من صيادي الأسماك، ورددوا هتافات تندد بقتل «زيدان» وإطلاق النار عليه أثناء عمله.
وقال رمضان زيدان، والد الصياد، «ابني خرج للبحث عن قوت يومه من خلال عمله في مهنة الصيد».
وأضاف «عبد الله لم يقترب من الحدود المصرية ولم يتخطها».
وفي وقت سابق، قالت وزارة الداخلية الفلسطينية في قطاع غزة، إن الصياد الفلسطيني قُتل برصاص الجيش المصري.

قتلى وجرحى في تفجير انتحاري في بغداد

بغداد ـ قتل ثلاثة عراقيين، امس السبت، في تفجير انتحاري في العاصمة بغداد، حسب مصدر في الشرطة.
وقال الملازم أول في شرطة بغداد، حاتم الجابري إن انتحاريًا يرتدي حزامًا ناسفًا فجر نفسه في ساحة «عدن»، في حي الكاظمية، ذي الغالبية الشيعية، شمال بغداد.
وأضاف أن التفجير أسفر عن مقتل ثلاثة أشخاص وإصابة 6 آخرين بجروح، مشيرًا إلى أن قوات الأمن فرضت طوقًا حول مكان الحادث.
ولم تتبن أي جهة مسؤوليتها عن الهجوم حتى الساعة (15:30 ت.غ)، لكن المسؤولين الأمنيين يتهمون تنظيم «الدولة» بالوقوف وراء مثل هذه الهجمات.

الكوريتان تعقدان محادثات في 15 يناير

سول ـ ذكرت وكالة يونهاب الكورية الجنوبية للأنباء أن الكوريتين وافقتا على إجراء محادثات على مستوى مجموعات العمل في 15 يناير/كانون الثاني في منتزه تونجيل على الجانب الكوري الشمالي من قرية بانمونجوم الحدودية التي تعرف باسم قرية الهدنة.
وقالت وزارة الوحدة في سول امس السبت إن كوريا الشمالية اقترحت إجراء محادثات بشأن فرص إرسال فريقها الثنائي للرقص الفني على الجليد إلى الأولمبياد الشتوي الذي تستضيفه مدينة بيونجتشانج في كوريا الجنوبية.

روسيا: بناء المستوطنات في الضفة الغربية يقوض عملية السلام

موسكو ـ قالت وزارة الخارجية الروسية إن بناء المستوطنات الإسرائيلية الجديدة في الضفة الغربية لا يساعد في محادثات السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين.
وجاء في بيان صدر عن الوزارة «نعتقد أن مثل هذا الخط الإسرائيلي لا يساعد في خلق ظروف لتنظيم المحادثات المباشرة بين الإسرائيليين والفلسطينيين التي من الضروري في إطارها إيجاد حل في جميع القضايا للوضع النهائي»، حسبما ذكرت امس السبت وكالة سبوتنيك .
وأكدت الخارجية الروسية عدم شرعية السياسة الإسرائيلية الهادفة لبناء المساكن في الأراضي الفلسطينية بما فيها القدس الشرقية.

حماس تقرر عدم المشاركة في اجتماع المجلس المركزي

غزة ـ أكد عضو المكتب السياسي لحركة حماس، حسام بدران أن الحركة قررت عدم المشاركة في الاجتماع الدوري الثامن والعشرين للمجلس المركزي الفلسطيني.
وبيّن بدران في تصريح صحافي امس السبت أن حماس خلصت إلى نتيجة مفادها أن الظروف التي سيعقد المركزي في ظلها لن تمكنه من القيام بمراجعة سياسية شاملة ومسؤولة، وستحول دون اتخاذ قرارات ترقى لمستوى طموحات شعبنا واستحقاقات المرحلة، وعليه فقد اتخذت الحركة قراراً بعدم المشاركة في اجتماع المجلس المركزي في رام الله.
وتابع «سنرسل لاحقا مذكرة تتضمن موقفنا حول الدور المطلوب من المجلس في هذه المرحلة الحساسة التي تمر بها قضيتنا الفلسطينية».

اليمن: أبو ظبي تلعب على حبل (ضعف الحكومة) لإعادة (تدوير مخلفات) علي صالح

غارة جوية على موقع عسكري في صنعاء أمس الأول

تعز – «القدس العربي»: خالد الحمادي:

كشف العديد من المصادر السياسية أن التحالف العربي بقيادة السعودية يسعى إلى إعادة تدوير نظام الرئيس السابق علي عبدالله صالح، عبر استقطاب من تبقى من أفراد عائلته أو قيادات حزبه أو القيادات العسكرية الموالية له، لخلق دور سياسي لهم في المستقبل السياسي لليمن.

وقالت لـ «القدس العربي»: «إن التحالف العربي وعلى وجه الخصوص دولة الإمارات العربية المتحدة تسعى بكل ثقلها إلى إعادة تدوير مخلّفات ونفايات الرئيس السابق علي صالح وإعادة إنتاج نظام صالح بشكل أو بقالب جديد».

وأضافت أن «أبو ظبي تستغل ضعف الأداء الحكومي للحكومة الشرعية بقيادة الرئيس عبدربه منصور هادي وذلك بإعادة إنتاج مثل هذه القوى القديمة الجديدة التي كانت ولا زالت مناهضة بشكل معلن للحكومة الشرعية، وارتكبوا المجازر الكبيرة في حق الشعب اليمني وفي حق الحكومة الشرعية، طوال الثلاث سنوات الماضية، عبر مظلة الانقلاب الحوثي/ صالح الذي أطاح بالسلطة المنتخبة والمعترف بها دوليا وأجبرها على مغادرة البلاد تحت تهديد السلاح».

وأوضحت أن «هذا القالب الجديد لنظام صالح الجديد المراد له النشوء والتشكّل، يراد له أن يكون مجرد أداة محلية لكيان ممسوخ من هويته الوطنية لخدمة القوى الإقليمية التي دعمته أو ساعدت وأسهمت في تشكيله».

ويعد هذ التحرك الإماراتي محاولة جديدة في شمال اليمن هذه المرة، لإنتاج كيان حزبي ضعيف موال للإمارات وتحت تصرفها لخدمة أهدافها في اليمن، في المناطق الشمالية كما فعلت بالضبط في المحافظات الجنوبية التي سلمتها القوات الإماراتية بعد تحريرها من الانقلابيين الحوثيين لعناصر موالية لها والتي تشكلت منتصف العام الماضي تحت مظلة (المجلس الانتقالي الجنوبي) المناهض للحكومة الشرعية.

وكانت دولة الإمارات تعوّل على إعادة انتاج نظام صالح عبر أدوات جديدة من الجيل الجديد لعائلة صالح، مثل نجله الأكبر العميد أحمد علي، غير أن اعتذار أحمد علي عن القيام بهذا الدور بعد إعدام الحوثيين لوالده في الرابع من كانون أول/ديسمبر المنصرم عن القيام بأي دور سياسي في المستقبل أفشل تحركات الإماراتيين في ذلك الاتجاه، غير أنهم لم ييأسوا واتجهوا نحو احتضان عناصر أخرى من عائلة صالح، للقيام بهذه المهمة.

ويعتقد الكثير من المتابعين للشأن اليمني أن الهالة الكبيرة التي أولتها القوات الإماراتية في محافظة شبوه لحماية قائد الحرس الخاص لعلي صالح ونجل شقيقه زوج ابنته العميد طارق محمد عبدالله صالح، الخميس الماضي، أعطت مؤشرا قويا على أن طارق صالح أصبح هو المرشح الأقوى ليكون رجل الإمارات في اليمن في المرحلة المقبلة في المناطق الشمالية.

واشارت المصادر إلى أن القوات الإماراتية استقطبت أيضا العميد عمار محمد عبدالله صالح، شقيق طارق الأصغر، والوكيل السابق لجهاز الأمن القومي (المخابرات التي أنشئت لحماية نظام صالح).

وأوضحت أن عمار صالح يتواجد حاليا في مقر قيادة القوات الإماراتية في محافظة عدن، للاستفادة من قدراته في تأسيس جهاز أمني استخباراتي جديد، لخدمة الأهداف التي تطمح أبو ظبي إلى تحقيقها في اليمن.

وأحدثت الكلمات المحدودة التي أعلنها طارق صالح في محافظة شبوه عند حضور مجلس عزاء الأمين العام السابق عارف الزوكا، ردود فعل متباينة من قبل قيادات بارزة في الحكومة الشرعية، والتي قرأت ما بين السطور لما يراد لعائلة من دور في المستقبل على حساب مصلحة اليمن أرضا وشعبا.

وقال نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الخارجية عبد الملك المخلافي، إن الشرعية هي الطريق الوحيد لاستعادة الدولة، وذلك في إطار تعليقه على ظهور طارق صالح وتصريحه المثير للجدل المناهض للحكومة الشرعية.

وأوضح أن «الشرعية هي الطريق الوحيد للسلام الحقيقي على أساس المرجعيات الثلاث، التي تنص جميعها على الشرعيّة، ومن يقول إنه ضد الحوثي ولا يعترف بالشرعية ويعمل في إطارها فهو يخدم الانقلاب مهما ادعى».

وأضاف المخلافي في صفحته على موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) أنه بعد ثورة 2011 حصل حزب المؤتمر الشعبي العام، على فرصة لم يحصل عليها أي حزب حاكم في بلدان الربيع العربي، اذ لم يخسر من سلطته الا نصف الوزراء وبقي الرئيس الجديد منه والمحافظون وكل مفاصل السلطة ومقدراتها بيده، إلا أن تمسكه بصالح حمله بثقالة أوصلته وأوصلت البلاد إلى ما وصلت إليه».

وأشار إلى أنه بعد مقتل صالح، تخلص حزب المؤتمر من ثقالة صالح، وولدت أمامه فرصة جديدة، فتحت الشرعية ذراعيها له رغم كل ما قام به، لكن إصرار بعض قياداته على الإبقاء على إرث صالح وعائلته كثقالة سيؤدي إلى ضياع هذه الفرصة وستمزق المؤتمر وسيبقى حزب عائلي وليس حزبا حقيقيا.

ووصف المخلافي الساعين إلى ذلك بـ (أصحاب المشاريع الصغيرة)، وأن كل من يعتقد أنه سيفرض سلطته بدون مشروعية وبالقوة كأمر واقع فهو واهم وأنه لا سلطة شرعية إلا سلطة الرئيس هادي.

إلى ذلك اعتبر رئيس الوزراء أحمد عبيد بن دغر الالتحاق بالحكومة الشرعية من قبل أفراد عائلة وأتباع صالح بعد مقتله أنه هو المسار الصحيح لاستعادة الدولة، والحفاظ على الجمهورية والوحدة، وهو التوجه الحقيقي لمواجهة الميليشيات الحوثية المدعومة من إيران. وكشف أن «غير ذلك هو تكرار للخطأ، بل الوقوع في الخطيئة»، في إشارة اعتبرها البعض مشفرة فيما قرأها البعض الآخر بقراءات متعددة الأوجه والأبعاد.

وسط مؤشرات على عزوف كبير من المواطنين عن المشاركة فيها

انتخابات العراق تعكس تشظي القوى السياسية وتعمق خلافاتها

بغداد – «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

رئيس الوزراء حيدر العبادي

مع اقتراب موعد الانتخابات المقررة في مايو/أيار المقبل يشتعل المشهد السياسي في العراق بحمى الصراع والتنافس لعقد التحالفات وترتيب الأوضاع للمعركة الفاصلة بين القوى السياسية للحفاظ على هيمنتها على السلطة للمرحلة المقبلة وسط مؤشرات التشظي والانقسامات بين الاحزاب والقوى في كل المكونات.

وفي خضم معمعة صراع الانتخابات فإن القوى السياسية تنسى تحديات أهم من الانتخابات بالنسبة للمواطنين مثل إعادة إعمار المدن المحررة المدمرة من أجل تمكين إعادة ملايين النازحين، وإنهاء مظاهر عسكرة المجتمع والحد من الفساد والانتشار المرعب للمخدرات والجريمة المنظمة وسوء خدمات الصحة والتعليم وغيرها.

وقد تركز اهتمام الأحزاب هذه الأيام على عقد التحالفات فيما بينها لخوض الانتخابات حيث أقرت مفوضية الانتخابات 30 تحالفا من بين حوالي 204 أحزاب وكيانات سياسية ستخوض الانتخابات، مع ملاحظة أن التحالفات الجديدة تعكس تشظي القوى التي تدعي تمثيل المكونات من الشيعة والسنة والكرد، مع تعمق الخلافات بينها ليس لمصلحة إحداث التغييرات وإصلاح أوضاع الوطن وأزماته المتراكمة بل من أجل تقاسم كعكة السلطة وامتيازاتها، وسط مؤشرات عزوف كبير من المواطنين عن المشاركة في الانتخابات بعد أن أثبتت عدم جدواها في حل أزمات البلد بقاء القوى والوجوه نفسها وتبادل الأدوار والمواقع. وقد أبرزت التحالفات خلافا بين قطبي حزب الدعوة رئيس الوزراء حيدر العبادي ونوري المالكي اللذين دخلا بقائمتين مختلفتين حيث استقطب العبادي في قائمته الشيعية معظم فصائل الحشد الشعبي بينما شكّل رئيس ائتلاف الوطنية إياد علاوي تحالفا جمع معه معظم الأحزاب السنية. وحتى في إقليم كردستان يبدو أن أحزابه لم تتجاوز خلافاتها ودخلت بقائمتين وليس بقائمة واحدة كما حصل في الانتخابات السابقة.

وحول أزمة إقليم كردستان أكد رئيس الوزراء حيدر العبادي أن «اللجنة العليا في رئاسة رئيس الأركان، توجهت إلى الإقليم لحسم قضية الحدود لكن للأسف لا تعاون» متعهدا بصرف رواتب للموظفين وليس للأحزاب، ومتسائلا عن مبلغ 9 تريليونات دينار من موارد النفط استلمتها حكومة اربيل ولم تعلن عنها.

وقد رد الحزب الديمقراطي الكردستاني برئاسة مسعود البرزاني متهما بغداد بعدم الجدية في الحوار مع حكومة أربيل. كما واصلت بعض الأطراف الكردية انتقاد مواقف بغداد تجاه الإقليم، حيث أعلن مستشار مجلس أمن إقليم كردستان، مسرور بارزاني أن الحكومة العراقية لم تكن لتتجرأ على مهاجمة قوات البيشمركه لولا خيانة 16 تشرين الأول/أكتوبر» في إشارة إلى دخول القوات الاتحادية إلى كركوك.

وضمن محاولات تدويل الأزمة بين بغداد واربيل أعلن وزير الخارجية التركي مولود تشاوش اوغلو أن مسؤولين أتراكا سيبحثون وساطة محتملة بين الحكومة العراقية وسلطات إقليم كردستان العراق خلال زيارة وفد تركي إلى بغداد في 21 كانون الثاني/يناير الحالي.

وفي التطورات الأمنية شهد قضاء الطوز جنوب كركوك تطورات متسارعة ساهمت في تعميق التوتر الأمني والسياسي في المدينة (المتنازع عليها) التي يقطنها خليط من العرب والكرد والتركمان حيث تعرضت المدينة إلى قصف متكرر من جماعات متمردة ما استدعى إرسال قوات اتحادية لضبط الأوضاع فيها، كما أقال مجلس قضاء الطوز، القائممقام الكردي شلال عبدول مع مقاطعة الأعضاء الكرد، وسط تفاقم الخلافات على إدارة المنطقة التي سيطرت عليها القوات الاتحادية في منتصف تشرين الأول/أكتوبر الماضي عقب استفتاء الإقليم على الانفصال. وقد قرر مجلس النواب إرسال لجنة تحقيقية إلى المدينة لضمان عودة النازحين إليها ورصد الانتهاكات، وسط اتهامات متبادلة بين أحزابها بالمسؤولية عن تدهور الأوضاع فيها.

وفي شأن إعادة النازحين إلى مدنهم المحررة، كشرط طلبته القوى السنية للمشاركة في الانتخابات المقبلة، أخذت مسألة الإعادة القسرية للنازحين حيزا من الاهتمام بعد تأكيد منظمات حقوقية وقوى سياسية بأن السلطات الحكومية تجبر النازحين على العودة إلى مدنهم رغم وجود معوقات جدية تحول دون ذلك منها الدمار الكبير الذي تعرضت له معظم مدن النازحين مثل الموصل والرمادي والفلوجة، ونقص الخدمات الأساسية ووجود الأنقاض الهائلة فيها وعدم منح أي تعويضات لأصحاب البيوت المدمرة، إضافة إلى وجود أسباب سياسية ومشاكل عشائرية معقدة بين عائلات تنظيم «الدولة» وعائلات ضحاياهم.

وأعلن مجلس الوزراء عودة نحو 50% من النازحين إلى مناطقهم المحررة، لافتا إلى أن توجيهات رئيس الحكومة حيدر العبادي أكدت على ضمان توفير الخدمات الأساسية في تلك المناطق، وترك الخيار للعوائل النازحة في عودتها الطوعية دون أي إلزام. إلا أن مصادر في مخيمات النزوح ببغداد أكدت لـ«القدس العربي» أن قيادة عمليات بغداد أبلغتهم بمغادرة العاصمة والعودة إلى مناطقهم في الموصل والانبار وصلاح الدين خلال شهر شباط / فبراير المقبل رغم أن بيوتهم مدمرة. كما أعلن المرصد العراقي لحقوق الإنسان أن «بعض الأحزاب السياسية المشاركة في الحكومة العراقية، ضمن محافظة الأنبار تعمل على إعادة النازحين قسرياً بغية إجراء الانتخابات في موعدها المحدد.

ويتفق العراقيون على أن تركيز القوى السياسية على الانتخابات واعتبارها مسألة مصيرية بالنسبة لها، سيكون على حساب الاهتمام بالمشاكل المزمنة والمستعصية في البلد وسط اقتصاد أنهكته الحروب ضد الإرهاب والفساد وسوء الإدارة.

هل يعيد الحريري تموضعه السياسي والانتخابي إرضاء للسعودية؟

بيروت – «القدس العربي» – سعد الياس:

خلال الأيام القليلة الماضية لفتت حركة التواصل على خط بيت الوسط - معراب حيث توجّه مستشار رئيس الحكومة الوزير غطاس خوري للقاء رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع بعد اتصالات مكثفة جرت بين خوري ووزير الإعلام ملحم رياشي.

ومن شأن هذه الزيارة لمستشار الحريري أن تعيد الحرارة إلى العلاقة بين تيار المستقبل والقوات اللبنانية التي تاثرت سلباً بعد الاستقالة الملتبسة للرئيس سعد الحريري من الرياض وتوجيه سهام من قيادات في « المستقبل » إلى جعجع بتحريض ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان على رئيس الحكومة اللبنانية نظراً لتنسيقه الواسع مع رئيس الجمهورية العماد ميشال عون ومسايرته لحزب الله.

وبعد زيارة خوري إلى معراب تُطرح علامات استفهام عما إذا كانت عودة خطوط التواصل بين الحريري وجعجع مقدمة لعودة التحالف الانتخابي بين أقوى حزبين في فريق 14 آذار/مارس في الانتخابات النيابية المقبلة في 6 أيار/مايو أم أن الحريري مستمر بتحالفه المعقود مع رئيس الجمهورية والتيار الوطني الحر؟

وإذا لم يطرأ تحسّن على علاقة الرئيس اللبناني بالمملكة العربية السعودية على هامش القمة العربية المرتقبة في الرياض في آذار/مارس المقبل فإن المملكة ستبقى غير راضية على تحالف الحريري مع التيار الوطني الحر على حساب القوات اللبنانية التي تربطها بالقيادة السعودية علاقة متينة، وستبقى المملكة تحجب عن تيار المستقبل الدعم المادي الذي يحتاجه في حملاته الانتخابية كي يحافظ على حجم كتلته النيابية التي كانت الأكبر بعد انتخابات عام 2009 لكنها ستتقلّص في الانتخابات المقبلة من 40 نائباً إلى أقل بكثير خصوصاً أن النظام هو نسبي ولا يتيح عودة المحادل الانتخابية. وكان الرئيس الحريري استفاد من التعاطف الشعبي الذي حصل معه بعد أزمة الاستقالة لكن هذا التعاطف بدأ يتلاشى وقد لا يدوم حتى موعد الانتخابات. وتشترط السعودية لدعم الحريري تغيير خطابه السياسي ورفع النبرة ضد حزب الله والتحالف مع القوات اللبنانية وعدم عزلها من خلال تحالف خماسي تمّ الحديث عنه في الفترة الاخيرة ويضم كلاً من تيار المستقبل والتيار الوطني الحر وحزب الله وحركة أمل والحزب التقدمي الاشتراكي وإلا ستتركه « يقلع شوكه بيديه » في مواجهة فرسان سنّة أبرزهم اللواء اشرف ريفي في طرابلس والنائب خالد الضاهر في عكار علماً أن حزب الله سيدعم معارضين سنّة بينهم أمين عام التنظيم الشعبي الناصري اسامة سعد، في صيدا والوزير السابق عبد الرحيم مراد في البقاع الغربي.

ومن يراقب مواقف « تيار المستقبل » في الآونة الأخيرة يجد مؤشرات تبدّل تدلّ عليها زيارة غطاس خوري لمقر القوات في معراب، ثم خطاب الأمين العام لتيار المستقبل أحمد الحريري الذي نفى كل الكلام عن « تركيب تحالفات خماسية وغيرها » مشيراً إلى « أن الكلام عن تحالف انتخابي مع حزب الله هو لذرّ الرماد في العيون » . وقال « إن تيار المستقبل يتحالف مع ناس يشترك معهم في رؤية اقتصادية واجتماعية، وفي رؤية تخص موقعه العربي، و«حزب الله» لا يمثل أي شيء من كل هذا، ولا شيء مشتركا معه إلا أمر واحد هو ربط النزاع كي لا يتحول الخلاف السياسي إلى الشارع ».

أنجزت أخطر ميزانية بدعم من الدّولة

الأردن وهو يعود للداخل: وزارة الملقي

عمان – «القدس العربي»: بسام البدارين

أفلتت حكومة الرئيس الدكتور هاني الملقي في الأردن ولو مؤقتًا من كل المطبات السياسية التي نتجت عن حالة الفوضى الإقليمية عقب قرار الرئيس الأمريكي بخصوص القدس، لكن الانطباع متشكل في الوقت نفسه بأن هروب الطاقم الوزاري من استحقاق التغيير أصبح مشروطا عند التعمق في قراءة الوجبة الأخيرة من التلميحات والتقويمات الملكية.

لا يوجد عمليا ما يبرّر اليوم القول إن الحكومة تستعد للرحيل.

ولا يوجد في المقابل ما يبرر الاعتقاد أن مركز القرار في المؤسسة الأردنية بصدد تغيير كبير في مستوى أدوات الإدارة والحكم او حتى بصدد الاستجابة ولو نسبيا للضغط التي شكلته نخب سياسية وصالونات وأوساط إعلامية وأخرى شعبية بعنوان الحاجة الملحة لطاقم سياسي على مستوى تحديات المرحلة.

الظروف خدمت الرئيس الملقي عندما تمكن بمساعدة كبيرة من رئيس اللجنة المالية في البرلمان أحمد الصفدي من العبور بميزانية التصعيد الضريبي ورفع أسعار الخبز وهي محطة أخفقت الحكومات المتعاقبة منذ عام 2000 في الوصول إليها.

مادام الملقي قد استطاع إنجاز هذه المهمة التي كانت صعبة في واقع الأمر طوال الوقت، فلا يوجد مبرر سريع للتغيير الوزاري ليس لأن الحكومة أبدعت في إنجاز وظيفتها وواجبها ولكن أيضا لأن الملفات الكبيرة والأساسية والسيادية تدار في واقع الحال خارج النطاق الحكومي.

ولأن وظيفة التكنوقراط التي يمثلها طاقم الملقي لا تزال قائمة بمعنى عدم الحاجة لما هو أبعد من تسيير وتصريف الأعمال البيروقراطية وعدم نضوج ظرف موضوعي يثير شهوة العودة لتجربة الحكومات المعنية بالشأن السياسي لأن تلك قد تكون مجازفة إدارية في ترتيب الأولويات.

ولأن الخطاب الأخير المهم للملك عبد الله الثاني تحدث بتكثيف عن بوصلة تهتم بالمصالح الداخلية والوطنية فوق كل الاعتبارات الإقليمية.

لا يوجد ما يدعم تلك النظرية التي توقعت أن تواجه المؤسسة الأردنية مرحلة ما بعد قرار ترامب الشهير والانقلاب الإسرائيلي على الأردن وسيناريوهات ما يسمى بـ «صفقة القرن» بالعودة الى صيغة تضع السلطة الإدارية العليا والمناصب الرفيعة في أحضان رموز سياسية كبيرة.

ذلك اجتهاد سياسي لا يزال صامدًا في كل الأحوال والاعتراض عليه او حتى مناقشته خطوة تنطوي على وجهة نظر وإن كانت المؤسسة المرجعية تقوّم التوازنات وتجري الحسابات ضمن سياق شامل من معطيات الداخل والإقليم والوضع الدُّولي حيث لا يوجد معلومات عميقة عن ما يجري في المنطقة إلا في مركز القرار ما يسهم في تقليص أهمية الاجتهادات التي اقترحت إغلاق ملف حكومات التكنوقراط والعودة لمربع الحكومات السياسية.

لكن مثل هذا التفويض لا يمكنه أن يكون مفتوحًا بلا سقف لحكومة الرئيس الملقي التي تواجه في الواقع برغم مظاهر الرضا المرجعي عن أدائها سلسلة كبيرة من التحديات والتعقيدات حتى في الإطار البيروقراطي والتكنوقراطي.

هنا حصريا نلمع في الذهن تلك الجملة النقدية الملكية التي أظهرت عدم الرضا عن إنتاجية خطة تطوير القطاع العام التي لا تسير بالتوازي نفسه عند المؤسسات التابعة للحكومة كلها.

برزت على السطح بقوة في تلك الأثناء التقويمات النقدية أيضا للحكومة ومؤسساتها بسبب ما وصف أنه تقصير وعدم متابعة في المجال الحيوي الذي تتيحه أوراق نقاشية ست أصدرها الملك شخصيًا في مراحل عدة.

تمكن الحكومة بعدما دعمها القصر الملكي وأجهزة الدولة من الحصول على ما تريده من قرارات اقتصادية صعبة وغير شعبية من الوصول إلى منطقة بعنوان تحفيز الاستثمار وتحقيق نمو اقتصادي وترجمة توجيهات القصر ببرنامج الاعتماد على الذات.

تلك كلها عناصر أصبحت مطلوبة من حكومة الملقي اليوم على اعتبار أن تلك مهمتها الرئيسية أصلا ضمن منهجية الانتاج وتصريف الأعمال حيث أن الحكومة غير مطالبة بالانشغال كما كان يحصل في الماضي بالقضايا السياسية المعقدة والكبيرة سواء في الداخل والإقليم او حتى في الخارج والعالم.

والحكومة غير مطالبة ضمنيا بأي تعب أو إرهاق في متابعة الملفات السيادية والأمنية حيث توجد مؤسسات عميقة وعريقة تتولى هذه المهمة وتأمل أن يتوقف المستوى التكنوقراطي والبيروقراطي والوزاري عن إعاقتها فقط لا أكثر.

بمعنى آخر مسارات الانتاج المطلوبة من الحكومة في الأسابيع المقبلة محصورة ضمن العودة للالتزام بالخط الملكي في تطوير القطاع العام وتحسين مستوى الإدارة بصورة تسمح بجذب الاستثمار وتحفيز بيئة الاقتصاد ومعالجة كل العوالق البيروقراطية.

وأفلتت من تداعيات أزمة القدس

المدللة مع تفويض جديد لكنه مشروط

وزارة الملقي في ظل مهمة محددة ومحصورة يدعمها برلمان منضبط مرجعيا ويخدم تصوراتها تصبح بالنتيجة وزارة مدللة جدا وهو سلاح ذو حدين سياسيين لأن مثل هذا الدلال الذي يتيح فرصا إضافية للبقاء أكثر ينطوي في بنيته العميقة على تفويض غير مطلق ويتطلب العمل بكفاية ومهنية في المساحة المخصصة ومن دون تقصير او تبرير او تباطؤ.

وعليه يمكن القول إن فرصة البقاء التي تحظى بها الوزارة اليوم بعد الانعطافة الأردنية الرسمية الحادة في مسألة التمحور الإقليمي وملف القضية الفلسطينية هي فرصة «مشروطة عمليا» بالإنتاج والإنجاز وفي مهام محددة وصغيرة وينبغي النجاح فيها وبسرعة بعدما ضمنت لها مؤسسات الدولة الحماية الكافية والدعم المطلق عند عبور ميزانية مالية صنفت بأنها الأخطر والأقل شعبية بالنسبة لجميع الأردنيين.

السؤال يبقى: هل يستثمر الملقي وطاقمه هذه الفرصة؟ الجواب رهن بالأسابيع القليلة المقبلة لأن الجرس الملكي تم تعليقه في تحديد بعض أهم مظاهر القصور في أداء أكثر حكومات التكنوقراط دلالًا وحظا.

حدث الأسبوع

روسيا تستمر في تنفيذ منطقة «خفض التصعيد»

مقاتل من المعارضة السورية يطلق النار ضد القوات الحكومية في إدلب الخميس الماضي

منهل باريش

أوقفت فصائل الجيش الحر تمدد قوات النظام في شرقي إدلب بعد أصبحت على أسوار مطار أبو الظهور الحربي من الجهة الجنوبية إثر سيطرتها على قرية تل سلمو الملاصقة للمطار.

وشنت سبعة فصائل من الجيش الحر وثلاثة إسلامية هجوما واسعا على قوات النظام من المحور الممتد من قرية عطشان في ريف حماة الشمالي (شرق مدينة مورك) وصولا إلى قرية أم الخلاخيل في ريف إدلب الجنوبي.

وقسم محور الهجوم على ثلاثة قطاعات، ضم الأول أربعة فصائل هي: جيش العزة، حركة أحرار الشام الإسلامية، حركة نور الدين الزنكي، وجيش الأحرار تسلمت القطاع الممتد من بلدة عطشان جنوبا إلى بلدة الخوين شمالاً فيما انضوى فيلق الشام، جيش النصر، جيش إدلب الحر، جيش النخبة، والجيش الثاني في القطاع الثاني الممتد من الخوين إلى أرض الزرزور. وانفرد الحزب الإسلامي التركستاني بالقطاع الثالث الممتد من أرض الزرزور وصولا إلى أم الخلاخيل والمشيرفة الشمالية.

واخترقت الفصائل خلال ساعات قليلة الخط الأول وسيطرت بالتوازي على عطشان والخوين وأم الخلاخيل وتقدم في اتجاه سكة قطار الحجاز وصولا إلى أم حارتين، وسيطرت على نحو 16 بلدة وقرية ونقطة عسكرية بعمق تجاوز الثمانية كيلو مترات.

فصائل المعارضة استفادت من سرعة انتشار قوات النظام وحلفائها وتقدمها شمالا باتجاه أبو الظهور، وعدم تحصين خطوط دفاع في القرى والبلدات التي تقدم إليها النظام خصوصا بلدة الخوين وأم حارتين وأم الخلاخيل.

وأسرت فصائل المعارضة نحو 50 أسيرا في مناطق متفرقة أغلبهم حوصروا داخل بلدة الخوين ويتبعون إلى الفيلق الخامس المشكل مؤخرا والذي تشرف عليه القوات الروسية العاملة في سوريا . يشار إلى أن عددا كبيرا من الجنود الذين نعتهم صفحات النظام كانوا من المهندسين ومن كبار السن الذين سيقوا إلى الاحتياط الإجباري وهو ما ينطبق على الأسرى أنفسهم حسب مصادر من الجيش الحر.

بعد ساعات من تقدم فصائل المعارضة امتصت قوات النظام وحلفاؤها الهجوم الواسع على المحاور وأوقفت تقدم مقاتلي المعارضة من خلال القصف براجمات الصواريخ على كامل القرى والبلدات المسيطرة عليها، ما أوقع إصابات كثيرة في صفوف المقاتلين ومنع مقاتلي المعارضة من التقدم إلى قرية أبو دالي أبرز أهداف الفصائل المهاجمة.

وتدخلت القوات الفضائية الروسية بعنف كبير إذ ركزت عملياتها الجوية في ريف إدلب الجنوبي والقرى والبلدات المنشرة بين سكة القطار وطريق حلب ـ دمشق الدولي . كما قصفت كامل القرى والبلدات المجاورة لطريق أبو الظهور– سراقب وركز قصفها على بلدة تل الطوقان (أكبر البلدات غرب أبو الظهور) التي تعرضت لقصف مستمر مدة أسبوعين متواليين. مع ليل الخميس تراجعت فصائل المعارضة في القطاعين الجنوبي (عطشان) والأوسط (الخوين)، فيما صمد مقاتلو الحزب الإسلامي التركستاني في المحور الشمالي وحافظوا على تقدمهم في محور أم الخلاخيل الزرزور. وأوقع مقاتلو التركستان رتلا لقوات النظام في كمين محكم قتلوا خلاله نحو 40 عنصرا وسيطروا على كامل العتاد العسكري من دبابات ورشاشات ثقيلة وصواريخ م/د وقواعدها وعلى ذخائر متنوعة وسيارات رباعية الدفع.

من جهته، تقدم تنظيم «الدولة الإسلامية» شمالا وسيطر على بلدات عدة جنوب منطقة البويدر بدون أي مقاومة تذكر من «تحرير الشام» التي تسيطر على البادية شرق منطقة أبو الظهور وصولا إلى خناصر. ما يعني احتمالية أن فرضية التفافه إلى إدلب من شمال أبو الظهور مازالت قائمة بل وأصبحت أكثر وضوحاً.

سياسياً، اعتبر سياسيون سوريون معارضون أن تدخل «فيلق الشام» بشكل كبير في المعركة وظهور عربات مدرعة ناقلة للجند هو بمثابة اعتراض تركي مباشر على العمليات الجارية في ريفي إدلب وحماة الشرقيين. وترافق الهجوم مع تصريحات وزير الخارجية التركية المنتقدة للتقدم النظام وحلفائه، واستدعاء سفيري موسكو وطهران للاستفهام عما يجري في منطقة «خفض التصعيد». وانتهت التصريحات المتبادلة بين انقرة وموسكو باتصال هاتفي بين الرئيسين بوتين واردوغان ليل الخميس. شدد خلالها الرئيس التركي على «ضرورة وقف النظام السوري لهجماته وطالب اردوغان بوتين «بالضغط على نظام الأسد لوقف الهجمات على المدنيين بشكل فوري في إدلب والغوطة»، معتبرا أن «وقف الهجمات سيكون له دور مهم بالنظر إلى

عملية أستانا ومؤتمر سوتشي للحوار الوطني»

التصريحات التركية – حتى اللحظة ـ لا تشير إلى أي خلاف في ما يحصل في إدلب خصوصا مع عدم اتهام انقرة للضامنين الروسي والإيراني بخرق اتفاق «خفض التصعيد» وتحميل المسؤولية فقط للنظام السوري وربط ذلك بإنجاح مؤتمر سوتشي فقط.

إلى ذلك نشرت المعرفات الخاصة بقاعدة حميميم تصريحا للناطق الرسمي اليكسندر ايفانوف يشير فيه إلى ان «الهجوم الذي تشنه القوات الحكومية بدعم من القوات الجوية الفضائية الروسية في منطقة خفض التصعيد في إدلب لا يتنافى مع بنود الاتفاق» ونوه إلى «عدم اشتمال التنظيمات المتطرفة باتفاقية خفض التصعيد وقد تعهدنا سابقا بالقضاء على تنظيم جبهة النصرة في جميع مناطق سوريا خلال هذا العام».

التغيرات العسكرية على الأرض والتصريحات التركية توضح إلى حد كبير أن انقرة تدرك أن روسيا وحلفاءها يتقدمون ضمن منطقة خفض التصعيد مع بعض التجاوزات في مناطق غرب سكة قطار الحجاز، لكن بالمقابل فإن انقرة تستعجل الخلاص من «وحدات حماية الشعب» في منطقة عفرين وتحاول ربط ملف عفرين بتطبيق خرائط «خفض التصعيد» في شرق إدلب. إن حل مسألة عفرين يبدو متأخرا كثيرا بسبب تعقيدات المصالح بين «الوحدات» وواشنطن من جهة وبين روسيا وواشنطن من جهة أخرى.

العملية العسكرية التركية في عفرين هي أشبه بالمستحيل لكن حلا بين النظام السوري والوحدات قد يفرج من أسارير انقرة وتعتبره زوالا لخطر يهدد أمنها القومي في أحد أقاليم جوارها الجنوبي.

وعيون تركيا مفتوحة على عفرين فقط

مناوشات إدلب: هل تفتح معركة الساحل الكبرى؟

صبحي حديدي

منذ أواخر تشرين الأول /أكتوبر الماضي يشنّ تحالف روسيا وإيران والنظام السوري سلسلة هجمات تستهدف استعادة السيطرة على مطار أبو الظهور العسكري، شرق محافظة إدلب، من جهة أولى؛ كما تسعى إلى دفع «هيئة تحرير الشام»، «هتش»، إلى الانسحاب نحو أطراف مدينة إدلب، وإخلاء عشرات القرى التي تحتلها «الهيئة» جنوب المحافظة. في مدى أبعد، قد يلوح منطقياً أنّ هدف التحالف اللاحق هو إطباق الحصار على المدينة ذاتها، التي تكدس فيها أصلاً آلاف المقاتلين والجهاديين الإسلاميين ممّن انسحبوا من مناطق مختلفة في الداخل السوري، أو تمّ إخلاؤهم بموجب اتفاقيات مع النظام وحلفائه.

لكنّ هذا المخطط لم يصمد تماماً على الأرض، بل أظهر عدداً من العيوب والثغرات الكفيلة بعرقلة تنفيذه، أو حتى بانقلابه إلى هزيمة مريرة للمهاجمين. هنالك ثلاثة اعتبارات رئيسية، بين أخرى ليست محدودة الأثر أيضاً، تحول دون المضيّ أبعد في تنفيذ المخطط على النحو الذي يقتضيه المنطق، في حسابات التحالف الثلاثي على الأقلّ.

الاعتبار الأوّل هو إعادة انبثاق «الجيش السوري الحُر» كقوّة ذات أثر حاسم، وفعالية ميدانية عالية، كفيلة بتغيير المعادلات على الأرض؛ وذلك إذا نجحت بعض كتائب هذا الجيش في تشكيل غرفة عمليات مشتركة مع بعض الفصائل الإسلامية خارج نطاق «هتش»، «أحرار الشام» على سبيل المثال الأبرز، في جبهة محافظة حماه والمناطق المتاخمة لمحافظة إدلب. ولقد حدث هذا بالفعل خلال الأيام الأخيرة، وسارعت الغرفة الموحدة إلى شنّ هجوم مضاد أعطى نتائج مذهلة، فانسحب التحالف الثلاثي من قرى أساسية كان قد طرد «هتش» منها، وتكبد خسائر فادحة في الأرواح، ووقع عدد من عناصره أسرى، وتمّ اغتنام أسلحة مختلفة.

الاعتبار الثاني يخصّ تركيا في هذه المعادلة، وما إذا كانت أنقرة ستقف مكتوفة الأيدي أمام تعرّض نفوذها في محافظة إدلب إلى الانحسار أو التآكل التدريجي بسبب نجاحات التحالف الثلاثي. المؤشرات حتى الساعة تفيد بتحرّك تركي مزدوج: على الصعيد الدبلوماسي، من خلال إبلاغ روسيا وإيران رفض تركيا لعمليات التوغل والقصف في المحافظة، وخرق اتفاق خفض التصعيد فيها؛ وعسكرياً، من خلال تنشيط عملية «درع الفرات»، وتوسيع انتشار وحداتها، والتضييق على مجموعات «الحماية الشعبية» الكردية، فضلاً عن تقارير تتحدث عن تزويد بعض فصائل المعارضة المسلحة بأسلحة نوعية.

الاعتبار الثالث هو حقيقة أنّ التحالف الثلاثي لا يريد لمناوشات إدلب أن تنقلب إلى معركة شاملة، أو ليس في المدى القريب والمنظور؛ لأنّ تطوراً كهذا قد يطلق معركة الساحل الكبرى التي تتخوّف جميع الأطراف، المحلية والإقليمية والدولية، من اندلاعها في الشروط الراهنة. ذلك لأنّ عشرات الآلاف من مقاتلي «هتش» سوف يضطرون إلى - أو يصبح من مصلحتهم، أو لن يتبقى أمامهم سوى خيار - الاستدارة نحو عمق الساحل، وخوض قتال ميداني مصغّر على مستوى القرية أو البلدة، واستخدام سلاح المدفعية وصواريخ الـ«غراد»، فضلاً عن عمليات التوغل والاستهداف الخاصة.

وضمن هذا الاعتبار، لا تصحّ الاستهانة بالهجمات التي تعرضت لها القاعدة الجوية الروسية في حميميم مؤخراً؛ سواء تلك التي نُفّذت بمدفعية الهاون، عن طريق التوغّل إلى مسافات قريبة من القاعدة بما يكفي لتحقيق الإصابات؛ أو عن طريق طائرات مسيرة، بدا أنها حملت موادّ متفجرة لا يستهان بها، واعتمدت تكنولوجيا توجيه ليست بدائية تماماً. ولهذا فإنّ وزارة الدفاع الروسية تنظر بجدّية إلى هذه الواقعة، خاصة وأنّ الطائرات انطلقت من مناطق سورية تسيطر عليها فصائل مقرّبة من أنقرة.

وهكذا فإنّ جبهة إدلب قد تبقى في إطار الكرّ والفرّ، حتى تتضح التفاهمات التركية - الروسية - الإيرانية، ثمّ الأمريكية في الخلفية أيضاً؛ حول ما إذا كانت شواط معركة الساحل ستندلع... في أيّ وقت قريب.

السنة التاسعة والعشرون العدد 9064 الأحد 14 كانون الثاني (يناير) 2018 – 27 ربيع الآخر 1439 هـ

دخان معارك إدلب يخيم على العلاقات الروسية ـ التركية

موسكو ـ «القدس العربي»: فالح الحمراني

تواصل قوات النظام السوري هجومها على إدلب رغم قلق منظمة الأمم المتحدة من تداعياته على الوضع الإنساني والاعتراضات التركية من كونه انتهاكا صارخا لاتفاق «تخفيف التصعيد» الذي تراعاه كذلك روسيا وإيران والشكاوى من تعريضه حياة المدنيين للخطر. وتنطوي العملية على سيناريو يهدف إلى تصفية تشكيلات جبهة النصرة والمتحالفين معها، التي من بينها الموالية لتركيا. وتقف انقرة الآن في نقطة حرجة إذ أن نجاح الهجوم سيجعلها في مفترق طرق مع شركيتها موسكو وطهران.

وساعد دعم القوة الجوية الروسية قوات النظام السوري على التقدم بسرعة بالسيطرة على عدد من القرى ومدينة الرهجان الاستراتيجية في طريقها إلى إدلب، والتضييق على مقاتلي الشاكوسية وتركستان و أحرار الشام التي تدور بصورة وثيقة بالمدار التركي. وفي حال تجسيم السيناريو الذي تشن به قوات النظام حملتها، فإن تشكيلات المعارضة المسلحة في إدلب ستجد نفسها منقسمة إلى جزأين، مما سيعني حسب تقديرات المراقبين العسكريين في روسيا «بداية احتظارها». وسيطول ذلك ليس جبهة النصرة، هدف الجانب الروسي في الوقت الحالي، وإنما الجماعات الموالية لتركيا. ومثل هذا التطور سيقود ليس إلى تعزيز مواقع قوات النظام في الشمال وحسب وإنما التشكيلات الكردية أيضا.

الإنذار التركي

وعلى وفق القراءات الروسية فإن رد فعل تركيا الحاد جاء من احتمالات تطور الأحداث وفق ذلك السيناريو، وشملت ردود الفعل التركية على التحفيز على القصف أو محاولة قصف التشكيلات المسلحة الموالية لتركيا حسب معطيات غير رسمية قاعدة حميميم من الدرونات المقاتلة، ولكن الرئيس بوتين قال: «إن تركيا لا تقف وراء تلك الأعمال وإنما محرضون نعرفهم ونعرف كم كم دفعوا لتلك العملية». وتذهب معطيات غير رسمية إلى أن الجانب التركي، وليس الولايات المتحدة أو حلفاؤها كان وراء ذلك القصف. ورصدت مراكز التحليل في روسيا أن تركيا في هذه الحالة كما في حالة تصفية المقاتلة الروسية سو 24 ترسل إشارات لموسكو عن « شعورها « بالقلق من تقدم قوات النظام السوري المدعومة روسيا باتجاه إدلب. ويكشف هذا عن وجود خلافات عميقة مع تركيا في مسألة التسوية السلمية للنزاع السوري.

وعلى خلاف التفسيرات الروسية للتطورات الأخيرة، قال وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو إن قوات الحكومة السورية وبذريعة مكافحة الإرهـاب تقصف المعارضة المعتدلة في محافظة إدلب، لافتا إلى أن من « الضرورة أن تتحمّل إيران وروسيا مسؤولياتهما، إزاء هجمات النظام السوري، على محافظة إدلب المشمولة باتفاق مناطق خفض التصعيد». وأشار الوزير التركي إلى أن «على موسكو وطهران كبح هجمات النظام السوري على مناطق خفض التوتر المتفق عليها»، مشيرا إلى أن من المتوقع أن تحدث بعض الخروقات لاتفاق وقف إطلاق النار، لكن ما يحصل في الفترة الأخيرة، من اعتداءات على مناطق خفض التصعيد، تجاوز حد الانتهاكات المتوقعة». واكد أن «قوات بلاده تواصل إنشاء نقاط مراقبة وقف إطلاق النار، داخل حدود محافظة إدلب». واستدعت وزارة الخارجية التركية في التاسع من الشهر الحالي سفراء إيران وروسيا «على خلفية انتهاك قوات النظام وقف إطلاق النار، كما يقول الجانب التركي، في منطقة إدلب التي تندرج ضمن مناطق تخفيف التصعيد.

ويلفت المراقبون إلى أن الجماعات المسلحة تتقاسم النفوذ على المدن والبلدات في محافظة إدلب، التي من بينها جماعة نصرة الشام، وأنه وعلى خلفية تقدم قوات النظام بهجومها على جنوب المحافظة فقد راحت تتنامى الخلافات بين زعماء التشكيلات المسلحة وغالبا ما تسفر عن موجهات مسلحة بين عناصرها مما يؤدي إلى قتل المدنيين. إن هذا يشهد مرة أخرى لصالح من يسيء لتحركات موسكو وطهران ودمشق والقائل: إن النظام وبذريعة مكافحة جبهة النصرة ينزل الضربات بالمدنيين. وثمة قناعات بأن هذا الوضع يمكن أن يحبط التسوية السلمية. وكان وزير الخارجية التركية قد لمح لذلك بقوله: إن على الأطراف التي ستلتقي في سوتشي خلال المؤتمر الوطني السوري المقرر انعقاده في 29- 30 يناير/ كانون الثاني، أن لا تتصرف بهذا الشكل». واعتبر مراقبون في موسكو أن ذلك التصريح « إنذارا صريحا يتوجب الرد عليه بصورة مناسبة».

الدور الروسي

وتباينت تقديرات المراقبين الروس في تعليقاتهم على الوضع الناشب في شمال سوريا، البعض طرحوا فرضية مفادها أن القوات الحكومية تقوم بعملية في إدلب بديلة عن القيادة الروسية، منتهكة بذلك نظام تخفيف التصعيد، وتحاول من خلالها كسب نقاط لنفسها عشية مباحثات التسوية السلمية الحاسمة. وذهب بعض الخبراء إلى أن موسكو لا تسيطر بالقدر الكافي على بشار الأسد وأعماله. ويرى البعض الآخر أن « العملية في إدلب وحماه بمجملها تجري برقابة العسكريين الروس الشديدة وباشراف مقرهم والدعم الجوي». وتقول لا أحد يخفي أن عملية تصفية جبهة النصرة في إدلب تجري على أساس مبرمج وأن عام 2018 سيكون عاما حاسما لإلحاق الهزيمة بهذه الجماعة. وتشير بذلك إلى بيانات وزارتي الدفاع والخارجية مما يعني أن القيادة السياسية العليا للبلاد تبنت قرارا مبدئيا بصدد هذا الموضوع. وقالت بعض المعطيات إن هذا القرار جاء بعد أن رفضت تركيا دعم فكرة عقد المؤتمر الوطني السوري بصيغته الروسيه فيما عرقل وفد المعارضة وفقا للرؤية الروسية، مباحثات جنيف. بيد أن الأهم يكمن في أن تركيا امتنعت عن دفع قواتها لتطهير إدلب. والخيار الوحيد كان قيام قوات النظام، مدعومة بسلاح الجو الروسي، بتصفية تشكيلات جبهة النصرة وحلفائها من جماعات المقاومة الموالية لتركيا. وهو ما يجري الآن على الأرض. وقال خبير مركز الدراسات الإسلامية التابع لمعهد الاستشراق الروسي بوريس دولجوف إن القوة الجوية الروسية لعبت دورا رئيسا ومهدت الطريق لقوات النظام بإنزالها ضربات بدفاعات جبهة النصرة.

وعلى خلفية تلك التطورات نشطت التحضيرات لعقد المؤتمر الوطني ولكن من دون مشاركة الجماعات الموالية لتركيا فيما سيحضر الكرد من حزب الاتحاد الديمقراطي. وتجدر الإشارة إلى أن هذا التطور يعني أن الكرد سيشاركون لاحقا في عملية التسوية، مما سيعرقل مشاركة القوى الموالية لتركيا في مثل هذه الأنشطة. وأعلنت إيران على لسان وزير خارجيتها جواد ظريف خلال مباحثاته الاربعاء مع نظيره الروسي سيرغي لافروف أن طهران مستعدة للتحرك في اتجاه واحد مع روسيا. وقال «إننا نلتزم بالتعاون معكم ومع أصدقائنا الأتراك والتحرك في اتجاه واحد من أجل عقد المؤتمر الوطني في سوتشي وإيجاد السبيل المؤدي إلى تسوية الأزمة السورية بالطرق السلمية». ووفقا لقوله فإن اللقاء في سوتشي سيساعد على تحقيق النجاح في مباحثات جنيف الجارية برعاية الأمم المتحدة.

إن كل الدلائل تشير إلى أن معركة إدلب غدت بمثابة مفترق الطرق التي يقف عندها اليوم محور روسيا ـ إيران ـ تركيا. والسؤال الذي يتطلع الخبراء للرد عليه هو فيما إذا ستلتزم تركيا بموافقتها على الانضمام إلى روسيا وإيران في عملية تصفية جبهة النصرة والجماعات الموالية لها، أم أنها ستتمسك بموافقها الخاصة التي قد تهمش دورها، أم تلجأ إلى التطبيع مع أمريكا والتعاون معها في الشأن السوري!

Volume 29 - Issue 9064 Sunday 14 January 2018

أردوغان يهدد بـ «تدمير وتبديد» حلفاء أمريكا شمال سوريا والجيش التركي يبدأ قصفا مكثفا للوحدات الكردية في «عفرين»

إسطنبول ـ «القدس العربي» إسماعيل جمال:

لم يكد يُنهي الرئيس التركي رجب طيب أردوغان خطابه الذي توعد فيه، أمس السبت، بـ«تدمير وتبديد» حلفاء أمريكا في شمالي سوريا، حتى بدأ الجيش التركي بتنفيذ ضربات مدفعية غير مسبوقة من حيث الكثافة ضد مواقع وحدات حماية الشعب الكردية في «عفرين»، في إشارة على ما يبدو إلى قرب العملية التي هددت تركيا بتنفيذها مراراً على مدار الشهور الماضية.

وحسب ما أكدت مصادر سورية وتركية متطابقة نفذت المدفعية التركية بدءاً من ظهر السبت عشرات الضربات المدفعية ضد عدد من المواقع العسكرية التي يتمركز فيها مسلحو تنظيم «ب ي د» الذي تقول تركيا إنه الامتداد السوري لتنظيم «بي كا كا الإرهابي»، فيما تحدثت وكالة الأناضول الرسمية عن تنفيذ الجيش 36 رشقه مدفعية شملت مناطق «باصوفان»، و«جنديريس»، و«راجو»، و«دير بلوط»، في عفرين.

وفي تطور لافت شاركت المدفعية التركية المتمركزة في نقاط المراقبة التي أنشأها الجيش التركي بموجب اتفاق مناطق خفض التوتر في إدلب بتنفيذ الضربات وذلك لأول مرة، حيث يُقيم الجيش التركي 3 نقاط مراقبة داخل إدلب بموجب الاتفاق الأخير مع روسيا وإيران، وأُعلن قبل أيام عن بدء الجيش التركي بإقامة نقطة المراقبة الرابعة.

وبموجب الاتفاق يفترض أن يُقيم الجيش التركي 12 نقطة مراقبة لخفض التصعيد والتوتر في إدلب، لكن الجيش التركي بدأ بإقامة النقاط الممتدة على طوال الخط الفاصل بين إدلب وعفرين، وذلك في خطوة قالت وسائل إعلام تركية إنها تهدف إلى منع تمدد الوحدات الكردية نحو إدلب، واستخدام هذه النقاط في العملية العسكرية المرتقبة ضد عفرين، فيما أظهرت صور بثها الجيش التركي لأول مرة إحدى نقاط المراقبة التي بدت كمقوع عسكري يحتوي على عشرات المدرعات والآليات وأنظمة الصواريخ.

هذه التطورات الميدانية جاءت بالتزامن مع تهديدات الرئيس التركي بـ«تدمير» معاقل الوحدات الكردية في عفرين «في حال عدم استسلام المسلحين»، وقال أردوغان في خطاب أمام أعضاء من الحزب الحاكم، السبت: «من خلال عملية درع الفرات غرزنا خنجراً في مشرع الممر الإرهابي، وندمر الجناح الغربي للحزام من خلال عملية إدلب. وعلى الجميع أن يعلموا أنه في حال لم يستسلم الإرهابيون بعفرين فسوف ندمرهم».

وأضاف أردوغان: «من يصر على تقسيم بلادنا فسنهاجم أوكاره بطائراتنا ودباباتنا ومدافعنا»، وهاجم سياسات أمريكا في سوريا بقوة، مخاطباً واشنطن بالقول: «عندما تليسون إرهابيا زيا عسكريا، وترفعون علم بلادكم على مبنى يتحصن فيه (شمالي سوريا)، فهذا لا يغطي الحقيقة. الأسلحة (الأمريكية) أرسلت إلى المنطقة بواسطة آلاف الشاحنات والطائرات، يباع جزء منها في السوق السوداء، والجزء الآخر يستخدم ضدنا»، وأضاف: «أمريكا تظن أنها أسست جيشا ممن يمارسون السلب والنهب (في سوريا)، وسترى كيف سنبدد هؤلاء اللصوص في أقل من أسبوع».

وتعارض أمريكا بقوة أي توجه تركي لمهاجمة الوحدات الكردية في سوريا، ودعمت طوال السنوات الماضية هذه الوحدات تحت غطاء «قوات سوريا الديمقراطية» التي تتكون في معظمها من الوحدات الكردية، وتقول أنقرة إن واشنطن دعمت هذه القوات بـ4 آلاف شاحنة أسلحة لتحولها إلى جيش فعلي يُقيم «دولة إرهابية» على الحدود السورية مع تركيا تكون بمثابة أداة أمريكية للضغط على تركيا.

سيتم الرد بالمثل

في السياق ذاته، توعد رئيس الوزراء التركي، بن علي يلدريم، السبت، بالرد على الهجمات الموجّهة ضد بلاده عبر حدودها الجنوبية (مع سوريا)، وقال: «ينبغي أن يعلم الجميع بأن الهجمات والاعتداءات الموجّهة ضد تركيا ومواطنيها عبر حدودها الجنوبية لن تبقى بدون رد»، مضيفاً: «سيتم الرد بالمثل على الذين يحاولون إلحاق الضرر ببلادنا من الداخل والخارج عبر الإرهاب».

وبالتزامن مع هذه التطورات، قال موقع «خبر7» الإخباري التركي إن مصادر مقربة من المباحثات الأخيرة التي جرت في أستانا قالت إن روسيا وإيران ردوا على الطلب التركي بالقيام بعملية عسكرية في عفرين بأن الأمر يعود لها وأن موسكو وطهران لن يعيقا العملية، لافتةً إلى أن المعضلة الأخيرة ما زالت تتمثل في الموقف الأمريكي المعارض.

وخلال الأيام الماضية، تصاعدت الخلافات بين تركيا والولايات المتحدة الأمريكية على خلفية استمرار تقديم الدعم للوحدات الكردية في سوريا، ولهذا السبب استدعت الخارجية التركية، الخميس، القائم بالأعمال الأمريكي في العاصمة أنقرة «فيليب كونستيت»، وأبلغت الخارجية التركية «كونستيت» انزعاجها من مسألة الدعم المقدم إلى تنظيم «ب ي د»، والجمعة، حذرت تركيا مواطنيها من السفر إلى أمريكا عقب تحذير أمريكي مشابه.

وما زاد حدة الغضب التركي من واشنطن، قيام وفد من وزارة الخارجية الأمريكية، الجمعة، بتنظيم زيارة إلى المناطق التي تسيطر عليها الوحدات الكردية في شمالي سوريا، وقالت تركيا إن الوفد التقى مع قيادات خطيرة من تنظيم ب ي د وبي كا كا «الإرهابيين» ومنهم من جاء من جبال قنديل شمالي العراق حيث تتمركز قيادات تنظيم العمال الكردستاني.

ولا تبدو التطورات الأخيرة في عفرين بمعزل عن التطورات التي سبقتها في إدلب لا سيما مع وجود اتهامات روسية غير مباشرة لأمريكا بالمسؤولية عن هجوم الطائرات بدون طيار الذي استهدف قاعدتين رئيسيتين للجيش الروسي في سوريا، وما تبع ذلك من محاولات روسية «لابتزاز» تركيا، وسط محاولات من الرئيس التركي رجب طيب أردوغان لاستغلال التطورات الأخيرة لصالح إطلاق عملية عسكرية ضد الوحدات الكردية في عفرين.

وفي حين تدفع روسيا بشكل غير مسبوق باتجاه إجبار تركيا على الدخول في مواجهة مباشرة مع المجموعات المسلحة في إدلب وخاصة جبهة تحرير الشام «النصرة سابقاً»، وهو ما سعت تركيا لتأجيله كثيراً منذ اتفاق مناطق خفض التصعيد، يحاول أردوغان إنجاز عملية «عفرين» بغطاء روسي.

هذا الأمر ظهر جلياً في التصريحات التركية والروسية عقب سلسلة الاتصالات التي جربت بين الرئيسين رجب طيب أردوغان وفلاديمير بوتين، وبين وزيري الخارجية مولود جاويش أوغلو وسيرغي لافروف، وبين كبار المسؤولين في الجيش والاستخبارات من الجانبين، حيث جرى التأكيد على أن الجانبين اتفقا على تعزيز وتنسيق جهود محاربة الجماعات الإرهابية في سوريا»، وهو ما يؤشر بالتأكيد إلى جماعات غير تنظيم «الدولة» الذي أعلنت روسيا هزيمته ولم يتبق منه سوى بعض الجيوب في مناطق متفرقة من سوريا.

كما أجرى أردوغان مباحثات مطولة مع قائد الجيش خلوصي أكار، ورئيس الاستخبارات هاكان فيدان عقب اتصاله مع بوتين، دون الإفصاح عن فحوى هذه المباحثات.

مصادر خاصة مقربة من الرئاسة التركية تحدثت لـ«القدس العربي» أكدت أن موسكو تسعى بقوة لاستغلال التطورات الأخيرة في إدلب من أجل ممارسة مزيد من الضغوط على تركيا و«ابتزازها» فيما يتعلق بالوضع في سوريا، وذلك من خلال التأكيد للمسؤولين الأتراك في الاتصالات التي جرت الأيام الماضية على أن «هجوم الطائرات» انطلق من مناطق النفوذ والسيطرة التركية، متهمين تركيا بأنها لا تمتلك «السيطرة الكافية» على الفصائل المعارضة في إدلب وأن المخابرات الأمريكية تعمل مع هذه الفصائل بعيداً على الرقابة التركية.

محاولات الابتزاز هذه، أكد المصدر الذي رفض الكشف عن اسمه أنها تأتي على الرغم من تصريحات الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الأخيرة، حيث أبدى بوتين في تصريحات صحافية، الخميس، عن «قناعته بأن لا علاقة لأنقرة لهجوم الطائرات الأخير»، والتي قالت روسيا إنها انطلقت من إدلب لا سيما «مناطق خفض الاشتباك» الواقعة تحت سيطرة تركيا.

ونقلت وسائل إعلام تركية عن بوتين قوله: «أنا مقتنع بأن لا علاقة للعسكريين ولا للسلطات التركية بهذا الأمر».

الهجوم استفزاز

وركزت وسائل الإعلام التركية وكبار المحللين الأتراك على اعتبار أن الهجوم الذي حصل على القواعد الروسية تم التخطيط له على الأغلب من قبل واشنطن وأنه هدف إلى الإيقاع بين الدول الثلاث الضامنة لاتفاق مناطق خفض الاشتباك وهي روسيا وتركيا وإيران، وهو ما ألمح إليه بوتين أيضاً بالقول: «الهجوم استفزاز يهدف إلى تقويض الاتفاقات التي تم التوصل إليها بين موسكو وأنقرة وطهران، والى تدمير علاقات موسكو بكل من إيران وتركيا».

مصادر تركية رجحت لـ«القدس العربي» أن تكون أنقرة لا تعارض الموقف الروسي بالتخلص من الجماعات «المتشددة» في إدلب، لكنها تفضل الانتهاء أولاً من إقامة نقاط المراقبة في المدينة لتسهيل العملية وتمكين الجيش التركي من المنطقة.

وفي المقابل، تسعى تركيا لاستغلال الغضب الروسي على الولايات المتحدة وحلفائها في سوريا من أجل انتزاع موقف روسي نهائي بإعطاء أنقرة الضوء الأخضر بالقيام بعملية عسكرية لطرد مسلحي الوحدات الكردية من مدينة عفرين شمالي سوريا، وهو ما تسعى له أنقرة بقوة منذ أشهر.

عناصر من المعارضة المسلحة يهيئون الذخيرة في منطقة المشيرفة في إدلب استعدادا للمعركة المقبلة

السنة التاسعة والعشرون العدد 9064 الأحد 14 كانون الثاني (يناير) 2018 – 27 ربيع الآخر 1439 هـ

هل ستكون معركة إدلب آخر معارك جبهة «فتح الشام»؟

رائد الحامد

ركز التحالف الدولي وعموم دول العالم على خطر تنظيم «الدولة» (داعش) بشكل أوسع نطاقا من خطر تنظيم قاعدة الجهاد والمجموعات المرتبطة بها، مثل جبهة النصرة لأهل الشام قبل وبعد فك ارتباطها مع تنظيم القاعدة لتصبح جبهة فتح الشام.

ووفقا لرؤية التحالف الدولي فإن القضاء على أحدهما دون الآخر لن يساهم بشكل كامل في تأمين متطلبات الأمن القومي الأمريكي، أو أمن الدول الغربية بشكل أعم.

ومع تشديد ضربات التحالف الدولي منذ تشكيله في أغسطس/آب 2014 وتركيزه على تنظيم «الدولة» ظلت جبهة فتح الشام في دائرة استهداف التحالف الدولي كهدف مؤجل إلى مرحلة ما بعد الانتهاء من قتال التنظيم.

وأتاح تركيز الولايات المتحدة والتحالف الدولي على استهداف تنظيم «الدولة» بالدرجة الأولى متسعا من الوقت والفرص للتنظيمات الأخرى المحسوبة على الجهاد العالمي، مثل جبهة فتح الشام، لتنمية مواردها البشرية وبناء قدراتها وتعزيز بناها وهياكلها التنظيمية.

وضعت جبهة فتح الشام في أولويات عملها ما يجعلها أكثر بعدا عن «شبهات» الارتباط بتنظيم القاعدة، وأكثر قربا من المجتمعات المحلية التي تسيطر عليها الجبهة بالتنسيق والشراكة مع فصائل سورية موصوفة بالاعتدال؛ وبدت الجبهة تتعامل بأسلوب أقل تشددا مع السكان الخاضعين لسيطرتها كسياسة تؤدي في نهاية المطاف إلى تداخل العمل العسكري مع العمل المدني بخطين متوازيين «قد» يضمن للجبهة البقاء بين السكان حتى في حال هزيمتها عسكريا.

وعلى الصعيد الداخلي استطاعت جبهة فتح الشام إقناع جنودها ومؤيديها «بسورنة الجهاد» وعدم تخطيه حدود البلد بعد أن أعلنت فك ارتباطها عن تنظيم القاعدة، وهو خلاف ما عليه تنظيم قاعدة الجهاد العالمي الذي يركز على تنفيذ عمليات تستهدف «العدو البعيد» في الدول الغربية قبل أن تتراجع نشاطاته في هذه الدول. لكن هذا لا يعكس استراتيجيات التنظيم بعيدة المدى إنما هي «قد» تكون خطوات مؤجلة لحين الانتهاء من حسم الصراعات التي تشهدها ساحات عدة في المنطقة.

وكانت معظم هجمات تنظيم القاعدة في العالم قد تم تنفيذها في وقت كانت المنطقة العربية تشهد استقرارا نسبيا وبعيدة إلى حد ما عن الصراعات الدموية الداخلية.

واعتمدت جبهة فتح الشام في حقيقة الأمر سياسات بعيدة المدى لحشد المزيد من الدعم الشعبي من خلال النشاطات التي تؤديها في المدن الحضرية مستفيدة من موقف السكان المحليين الذين يهمهم في المقام الأول توفير الخدمات والأمن، في الوقت الذي تزي جهات دولية معنية بالتنظيمات «الجهادية» أن الجبهة تؤسس لمشروع دولة أو إمارة إسلامية من خلال مأسسة عملها في محاكم شرعية ومكاتب جباية ومؤسسات إعلامية وغيرها.

كما ركزت جبهة فتح الشام على العمل ضمن سقف مطالب المعارضة السورية المعتدلة المناهضة للرئيس السوري بشار الأسد، والتداخل مع معظم الفصائل عن طريق التنسيق الميداني والاجتماعي معها، أو عن طريق الدخول في تحالفات وجبهات بما فيها جبهات متحالفة مع دول إقليمية أو عربية، مثل جيش الفتح سابقا الذي يتلقى دعما من تركيا العضو الحليف في التحالف الدولي للحرب على تنظيم «الدولة».

وعلى الصعيد العسكري، تبنت جبهة فتح الشام سياسة الوثوب إلى صدارة المشهد للجماعات المقاتلة ضد قوات النظام كجماعة جهادية سنية على أمل إسقاط النظام وإقامة إمارة إسلامية شبيهة إلى حد ما بإمارة افغانستان التي أقامتها حركة طالبان قبل الغزو الأمريكي وإسقاط الإمارة في 2001؛ كما أن الارتباط التنظيمي مع تنظيم القاعدة يمكن أن يجعل من الجبهة جزءا من الجبهة الجهادية العالمية المعادية للغرب والولايات المتحدة.

لكن طبيعة المواجهة العالمية للجماعات «الجهادية» تفرض على تنظيمات مثل جبهة فتح الشام خفض سقف مشروعها المرحلي وانتقاله من العالمية إلى المحلية.

وبدت جبهة فتح الشام القوة الأكبر في الساحة السورية بعد تراجع تنظيم «الدولة» وخسارته المتتالية لمناطق سيطرته، واجتذبت الجبهة المزيد من المقاتلين إلى صفوفها أو من خلال تحالفات ثنائية وضعتها في صدر المشهد القتالي الذي ركزت فيه على جوانب اكتساب الشرعية الشعبية من خلال التركيز على قتال قوات النظام وتصعيد الخطاب المناهض للشيعة والعلويين في سوريا بما ترى أنه تعزيز لمصداقيتها في المواءمة مع اتجاهات الرأي العام في سوريا الذي يشكل السنة غالبيتهم العظمى.

ومنذ بدايات الحرب الأهلية السورية وظهور جبهة فتح الشام كطرف فاعل في ساحة الصراع، تأرجحت كفة موازين القوى بين قوات النظام السوري والمعارضة المسلحة وفقا لمعطيات المكان والفصائل المسلحة المتواجدة فيه وأهمية منطقة ما للنظام دون أخرى، وفي الغالب ظلت الكفة راجحة لصالح المعارضة السورية المسلحة إلى أن تدخلت روسيا عسكريا في سبتمبر/أيلول 2015 لتنقلب الموازين إلى حد ما لصالح قوات الرئيس السوري الذي اعترف في يوليو/تموز 2015 بأن قواته قد «تعبت».

وفي الواقع اتجه الصراع المسلح بعد معركة حلب نهاية العام 2016 نحو سياق ثابت تمثل في نجاح قوات النظام باستعادة السيطرة على الأراضي من تنظيم الدولة وفصائل المعارضة السورية المسلحة سواء بالقتال أو بالمصالحات والهدن المناطقية في ما ظلت مناطق سيطرة هيئة تحرير الشام التي تمثل جبهة فتح الشام (النصرة سابقا) الفصيل الأكبر فيها بمنأى عن الخسارة حتى اندلاع القتال في ادلب وريف حماه الشرقي منذ بداية هذا العام.

وشكلت معركة حلب نهاية 2016 علامة فارقة في مسار الحرب الأهلية السورية والصراع بين قوات النظام والمعارضة المسلحة التي استقطبت ادلب الآلاف من مقاتليها الذين أرغموا على مغادرة حلب بعد تسوية رعتها روسيا وشاركت فيها تركيا كطرف ضامن لفصائل المعارضة.

بعد معركة حلب أصبحت ادلب الخاضعة لسيطرة جبهة فتح الشام وفصائل أخرى أقل نفوذا، المعقل الأهم لتجمع، أو في حقيقته تجميع لمقاتلي مختلف الفصائل التي عقدت اتفاقيات مصالحة مع النظام في مناطق ريف دمشق والزبداني ووادي بردى وعشرات البلدات القريبة من العاصمة التي غادرها المسلحون ممن رفضوا البقاء في مناطقهم للعمل كجزدو ضمن قوات النظام وفضلوا المغادرة إلى ادلب ومناطق أخرى بالدرجة الثانية.

مواطن سوري وزوجته ينعيان طفلهما الذي قتل في غارة جوية شنتها القوات الحكومية على حي دوما في الثامن من الشهر الجاري

وحضرت ادلب بشكل واضح في ذهنية النظام بعد استعادة دير الزور بداية خريف 2017 على لسان أكثر من مسؤول، من بينهم مستشارة الرئيس السوري بثينة شعبان التي أكدت على أن الهدف بعد دير الزور هو الرقة وادلب؛ ويسير النظام بخطوات ثابتة نحو استعادة جميع الأراضي والمدن التي فقد السيطرة عليها خلال الحرب الأهلية.

وعلى الرغم من أن جبهة فتح الشام لم تشكل أي تهديد لمصالح الولايات المتحدة والدول الإقليمية الحليفة لها سواء داخل سوريا أو خارجها صنفت الولايات المتحدة جبهة النصرة (جبهة فتح الشام) على أنها منظمة «إرهابية» في ديسمبر/كانون الأول 2012، وهو التصنيف الذي لا يزال نافذا حتى بعد إعلان فك ارتباطها مع تنظيم القاعدة، وهو الإعلان الذي أيده أمير تنظيم القاعدة أيمن الظواهري.

لكن الولايات المتحدة معنية ضمن استراتيجياتها في سوريا بالقضاء على جبهة فتح الشام بعد أن انتهت إلى حد ما من تحجيم خطر تنظيم «الدولة» الذي خسر جميع مراكزه الحضرية وبات ينتشر على شكل مجموعات صغيرة متنقلة في العراق، أو في جيوب متفرقة على الأراضي السورية.

وتفضل الولايات المتحدة أن لا تخوض حربا مباشرة ضد جبهة فتح الشام طالما هناك قوى أخرى تخوض هذه الحرب التي تراقبها عن كثب، حيث تركت مواجهة التنظيمات «المتطرفة» الأخرى مثل جبهة فتح الشام لكل من روسيا وقوات النظام بمساندة المجموعات الشيعية المسلحة الحليفة لإيران.

وإذا كان من الصعب التنبؤ بمستقبل جبهة فتح الشام بعد معركة ادلب، يبقى إصرار الولايات المتحدة واستراتيجياتها في القضاء على الجبهة بعد أن فرغت تقريبا من قتال تنظيم «الدولة» في قائمة الأولويات التي ستؤدي حتما إلى تحقيق الهدف الأمريكي في القضاء على الجبهة طالما ظلت مصنفة على لائحة المنظمات «الإرهابية» حتى مع محاولات جبهة فتح الشام من خلال فك الارتباط الإيحاء بإمكانية استيعاب الجبهة ودمجها في إطار توصيف الفصائل المعتدلة بوسائل سياسية أو غير سياسية.

طهران من إدلب: «نعم غزة... نعم لبنان»!

نجاح محمد علي

لم تكن العملية العسكرية التي ينفذها الجيش السوري والحليف الإيراني في إدلب التي تقع ضمن مناطق خفض التوتر المتوافق عليها خلال مباحثات أستانا، وليدة اللحظة رداً على استهداف قاعدة الحميميم الروسية في سوريا بطائرات من دون طيار أثارت الكثير من التساؤلات عن الجهات الإقليمية والدولية التي تقف خلفها والأهداف منها، فكبير مستشاري المرشد الإيراني الأعلى سيد علي خامنئي قال في التاسع من نوفمبر/ تشرين الثاني في سوريا إن الجيش السوري «سيبدأ قريباً» عمليات لانتزاع السيطرة على مدينة إدلب» شمال غرب سوريا ومناطق شرق البلاد التي تسيطر عليها المعارضة.

وتحدث علي أكبر ولايتي عن العملية وكأنها عملية إيران قبل أن تكون عملية الجيش السوري قائلاً: «قريباً سنمشط شرق سوريا ثم منطقة إدلب في الغرب».

وأثنى ولايتي على ماوصفه بـ «تحالف إقليمي مع إيران يمتد من طهران إلى بيروت»، ما يسلط الضوء على عمق الدور الذي تلعبه إيران في العراق وسوريا ولبنان.

وبينما نقل الإعلام الحربي التابع لحزب الله لبنان عن ولايتي أثناء زيارة لمدينة حلب السورية، أن تدخل طهران في سوريا حال دون اتساع دائرة العنف، ذكرت وكالة أنباء تسنيم التابعة للحرس الثوري أن كبير مستشاري المرشد قال لمجموعة من المقاتلين المتطوعين إن «خط المقاومة يبدأ من طهران ويعبر من بغداد ودمشق وبيروت ليصل إلى فلسطين».

من هنا فإن العملية العسكرية في إدلب باعتبارها هدفاً عسكرياً لم يكن بالأمر المفاجئ، لاسيما بعد إحكام الجيش السوري والحليف الإيراني سيطرته على مناطق حدودية مع العراق بدعم روسي يتكرر في إدلب إذ سبق هذه العملية بفترة تصريح وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، أنه وبعد هزيمة تنظيم «الدولة» فإن الهدف المقبل لروسيا هو جبهة النصرة.

لماذا إدلب؟

ومع اندلاع المظاهرات المطلبية التي سرعان ما تحولت إلى احتجاجات ثم أعمال شغب واضطرابات وأخيراً إلى «مؤامرة أو تحريض» كما يروج الخطاب الرسمي الإيراني وتأكيد متظاهرين على رفع شعار «لاغزة خير اللقاء على أنه استدعاء، وشدد أيضاً على تعبئة عناصره وجمهوره عبر مجموعات أسسها فيلق القدس في تطبيق تليغرام مثلاً، على أن تركيا تقدم الدعم للفصائل المتواجدة داخل مطار أبو الضهور، وعلى رأسها جبهة النصرة أو هيئة تحرير الشام والحزب الإسلامي التركستاني وفيلق الشام وحتى تنظيم «الدولة» (داعش) الذين تنادوا لصد الهجوم والدفاع عن مطار أبو الضهور العسكري تحديداً. وجاء في أحد الأخبار العاجلة للحرس الثوري أن القوات السورية والحليفة استولت على مدرعة تركية من ضمن مدرعات ومعدات سلمتها تركيا لمقاتلي فيلق الشام وهو ما تنفاى نقله وسائل الإعلام القريبة من الحكومة.

تقرير

في تقرير مفصل نشره فيلق القدس يوم الجمعة لجمهوره بالفارسية تحت عنوان «تحليل للعمليات التركية في إدلب» كرر الحرس الثوري اتهام أنقرة بتقديم دعم استخباري واسع النطاق للفصائل المسلحة خلال هجوم عنيف شنته ليل الخميس/ الجمعة على الجيش السوري والقوات المتحالفة معه في جنوب شرق إدلب، وأعتبر التقرير أن « الهجوم هو في الواقع هجوم تركي» موضحاً أن هذه الفصائل كانت متنازعة لكن المخابرات التركية استطاعت جميعها في غرفة عمليات واحدة في «معرة النعمان» حيث تم توزيع الأدوار لتنفيذ هجوم واسع نجحت فيه الفصائل في استعادة بعض المواقع لكنها خسرت في المقابل معركة المطار.

وتتهم طهران في وسائل الإعلام أنقرة بأنها مسؤولة عما يجري في إدلب لأنها بدأت في الثامن من تشرين/ اول أكتوبر عملية وصفتها بغير مشرعة من قبل السلطات السورية في إدلب، فقد أقام الجنود الأتراك مركزي مراقبة في إدلب لم يحولا دون قيام تلك الفصائل بهجوم باستخدام الطائرات المسيرة على القاعدة الروسية حميميم ومركز الدعم اللوجستي في طرطوس. وقد أقلعت الطائرات المسيرة من جنوب غربي منطقة خفض التصعيد في إدلب كما تقول القيادة العسكرية الروسية.

ورغم أن الرئيس الروسي فلادمير بوتين اعتبر الحادث ضد قاعدة حميميم محاولة للاستفزاز ولتقويض العلاقات مع الشركاء وبينهم تركيا، فقد استغل الحرس الثوري هذا التطور ليوسع مع الحليف السوري من نطاق عمليته العسكرية لتعزيز موقف الحكومة السورية أكثر في المحادثات السياسية.

مبادرة

وحسب معلومات من مصادر إيرانية تتابع التطورات ميدانياً في إدلب فإن النجاحات السورية الإيرانية وبالتالي الروسية في الميدان ستسمح لطهران التي كلفت في الأيام الأخيرة من تواصلها مع حماس في غزة بعد قطيعة بسبب موقف الحركة من الأزمة السورية لكي تطرح مبادرة لحلها ناقشها وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف مع نظيره الروسي. ومن المقرر أن تضيف عليها موسكو ما تراه مناسباً قبل أن تعرض بعد موافقة دمشق عليها على أنقرة لإبداء ملاحظاتها وهي تتألف من النقاط التالية :

- البدء بتشكل حكومة وحدة وطنية ومشاركة من المعارضة والنظام.
- إعادة الأمن والاستقرار ووقف كل أعمال العنف ومحاربة الفصائل المصنفة إرهابية وكل فصيل يرفض الحل السياسي.
- التحضير لانتخابات عامة بإشراف دولي يشارك فيها بشار الأسد أو من يمثله.
- تتولى الأمم المتحدة تنفيذ هذه المبادرة وتحصل على قرار من مجلس الأمن الدولي يفتح ممرات إنسانية ويعيد اللاجئين والنازحين وتشكل صندوق دولي لدعم إعادة البناء والإعمار.

وقيل في هذا الصدد إن هذه المبادرة ليست نهائية وكان يفترض مناقشتها من قبل بشار الأسد ومبعوث الرئيس الروسي إلى سوريا الكسندر لافرينتييف الذي عقد معه الخميس اجتماعاً مطولاً في دمشق. وقال الأسد خلال استقباله للافرينتييف إن «الانتصارات الهامة التي يحققها الجيش السوري بالتعاون مع روسيا والحلفاء الآخرين على صعيد القضاء على الإرهاب شكلت عاملاً حاسماً في إفشال مخططات الهيمنة والتقسيم التي وضعها الغرب وعملاؤه لسوريا والمنطقة» مضيفا أن «هذه الانتصارات تسهم في تعزيز المساعي الرامية لإيجاد حل سلمي يعيد الاستقرار إلى سوريا».

وبدا واضحاً أن أنقرة التي تطور علاقاتها مع طهران لتحجيم السعودية كما تؤكد مصادر إيرانية، تتفهم رغم الاحتجاجات، الدوافع الإيرانية الروسية من عملية إدلب وبرز ذلك في تأكيد وزير الخارجية التركي مولود جاووش أوغلو، أنّ بلاده تخطط للتعاون مع روسيا وإيران، من أجل إحياء مسار جنيف حول سوريا، والوصول إلى حلّ سياسي دائم هناك، مشدداً بشكل لافت في مقابلة مع مجلة «إيست ويست» الإيطالية امس الأول الجمعة، على رغبة تركيا في «رؤية سوريا مستقرة ومزدهرة وديمقراطية في المستقبل القريب»!

Volume 29 - Issue 9064 Sunday 14 January 2018

مخاوف من عمليات إبادة

إدلب ـ «القدس العربي»: سلطان الكنج

استطاعت قوات النظام وفي أيام قليلة من السيطرة على مساحات واسعة كانت خاضعة لسيطرة المعارضة السورية إذ وصلت قوات النظام إلى مشارف مطار أبو الظهور العسكري بعد سيطرتها على بلدة سنجار والقرى بينها وبين بلدة أبو الظهور، كما تمكن النظام من التقدم في ريف حلب الجنوبي متجها نحو المطار من الجهة الشمالية مقتربة من فرض حصار على مناطق تعادل ثلث مساحة لبنان.

وحول مآلات الوضع العسكري يقول الباحث والصحافي السوري خليل المقداد إن النظام أوقع نفسه في مأزق بتقدمه نحو مطار أبو الظهور لأن قواته شبه محاصرة ويترنح في هذه المناطق ومن السابق التكهن بنتائج معاركه علما أن المعركة قد تنتهي لصالحة.

ويقول المقداد في حديث لـ «القدس العربي»: «تعامل الفصائل كان عبارة عن ردة فعل، وللأسف دائما ننتظر حتى يتقدم النظام لكي ندافع عن المناطق، فقرار الفصائل ليس حرا علما أن المعارك الحالية تثبت أن النظام أوهن مما نظن، فالفصائل استعدت بساعات قليلة ما تقدمه إليه النظام بأشهر وهذا عندما تتوفر الإرادة والقرار وهذان الأمران لم يتوفرا».

وحذر من أن النظام يمكن أن يصل إلى إدلب وهذا يتعلق بأمور عدة منها التوافقات الدولية واتفاق خفض التصعيد، كما أن هذا يتعلق بقدرة الفصائل على مواجهة النظام وهجومه فهرضه قائمة لكي يعيد فرض نفسه كدولة وجيش وهو مدعوم عالميا وعربيا مثل السعودية والإمارات فالجميع بات يتحدث عن بقاء الأسد.

واعتبر أن النظام في حال وصوله لإدلب سيكون هناك استسلام كامل وستكون إبادة لأن هناك آلاف المهجرين في إدلب ولابد من استخدام أسلوب عسكري يقوم على عدم الاحتفاظ بالمدن وضرب النظام من خلال حرب عصابات، لافتا إلى تحرك فصائل الجيش الحر الأخيرة بدل على رغبة تركية في أن لا تظهر بمظهر المستسلم وربما، مجريات الأحداث تدل على صفقات من قبيل أبو الظهور مقابل منبج كل هذا وارد.

وأكد أن تركيا وقطر هما الدولتان الوحيدتان اللتان لا تزالان تدعمان الثورة السورية «بالنسبة لتركيا لم تكن جادة فهي لم تشكل جسما عسكريا سياسيا جديا يجابه الدعم الإيراني وبالتالي هي مضطرة للتنازل عن الملف السوري مقابل مصالحها وخاصة المسألة الكردية».

من جهته يقول الناشط خالد الجنوبي إن النظام يسعى لفرض حصار على منطقة تقدر بثلث مساحة المحرر في الشمال السوري.

ويقول الناشط في حديث لـ «القدس العربي»: إن «النظام يريد الوصول إلى مطار أبو الظهور الذي وصل لمشارفه ويتحرك من جهة الشمال من تلة الأربعين وقرية أبو الرويل وهما يبعدان عن المطار 13 كلم وبالتالي يطبق النظام حصاره على مناطق واسعة، كما أنه يتقدم في جبل الحص، وبذلك يكون النظام قد حاصر تحرير الشام وفصائل المعارضة إضافة إلى تنظيم «الدولة» الذي هو الآخر يتجه نحو مطار أبو الظهور ويسعى للوصول إلى جبل الحص الذي يوفر له جغرافية عسكرية يستفيد منها».

ويذهب الناشط إلى أن النظام في حال نجح في هذا السيناريو سيتجه للانتقال لمرحلة الاتجاه نحو عمق إدلب والوصول إلى كفرنبا والفوعة وذلك انطلاقا من محاور أبو الظهور وقرية الحاضر التي يسيطر عليها النظام. وهنا يصل إلى شرق إدلب وبالتالي سيصعد من هجماته الجوية التي ستشكل ضغطا على الدنيين المتواجدين بكثافة في منطقة جغرافية صغيرة تحوي أعدادا هائلة من البشر فأي ضربة جوية تودي بحياة العشرات.

واعتبر أن النظام سيحصر الفصائل في منطقة صغيرة على الحدود التركية وهنا يفرض الحل الذي يريده وينهي الثورة عسكريا وسياسيا وكذلك من خلال حرقه للمدن التي تشكل حواضن الثورة.

ولفت إلى أن النظام سيفتح معركة قريبة جدا وهي محور مورك وخان شيخون والوصول إلى المعرة التي تشكل خزانا بشريا كبيرا وثوريا أيضا، وهذا ما نرى مقدماته الآن وبذلك يؤمن النظام الطريق الاستراتيجي دمشق – حلب الدولي.

في هذا الصدد يعتبر القيادي المقرب من الجهاديين أبو حذيفة الشامي أن ما يجري فيه أمور عدة: الأول توافق تركي روسي بموافقة فصائل المعارضة على سيطرة النظام على هذه المناطق. الثاني هو التخبط العسكري الذي تعيشه الفصائل الجهادية بسبب الخلافات الموجودة بينها وخاصة الخلاف بين تحرير الشام وأنصار القاعدة كما أن تحرير الشام لم تستعد للمعركة بشكل جيد على اعتبار أنها فخ منصوب لها يستهدف استنزافها. الأمر الثالث هو أن تحرير الشام تريد أن تقول للفصائل المشاركة في الأستانا أن هذا ما جنته المفاوضات مع الروس.

ويقول القيادي إن «هجوم الفصائل الثورية الأخير هو مناورة سياسية وإعلامية من قبل تلك الفصائل تهدف لإبعاد التهم الموجهة إليها من قبل تحرير الشام والحواضن الشعبية، كما أنها تريد أن تثبت أن الذي يسلم المناطق ليست هي بل تحرير الشام التي هي من كان يسيطر على المناطق التي تقدم إليها النظام».

وأشار إلى أن الفصائل كلها لم تستعد لهذه المعركة بشكل جدي لأسباب منها عدم التوافق بين الفصائل على تشكيل غرفة عمليات تواجه تقدم النظام وأيضا وجود المناكفة بين الفصائل التي أصبحت هي من يحدد كل التوجهات الفصائلية. ومن الأمور المهمة هو أن تحرير الشام تواجه النظام منذ أكثر من شهرين في أرياف حماه وحلب الجنوبي وريف إدلب الشرقي، وأبرز سبب جعل الفصائل لا تستعد لهذه المعركة التي كانت متوقعة هو الإرادة الدولية وخاصة من قبل الدول المحسوبة على الثورة، كما أن الفصائل تتهم تحرير الشام بعدم إرجاع حقوقها من السلاح والذخيرة. والحقيقة هذه مطالب حق يجب على تحرير الشام أن تسارع فيها لأن هذه المرحلة ستكون حاسمة في عمر الثورة السورية».

في هذا الموضوع يقول المحلل العسكري النقيب في الجيش الحر عوض الأحمد إن النظام يتبع أسلوب معاركه ضد تنظيم «الدولة» في الشرق السوري وذلك من خلال السيطرة على تلال خارج البلدات والمدن وبالتالي فرض طوقا على تلك البلدات والمدن، وهذا يعطي قوات النظام سرعة أكبر في التقدم وبخسائر أقل لأنه يتجنب خوض معارك المدن والبلدات إلا في حال حصارها فسيطرته على التلال خارج المدن مكشوفة وهذا يساعده باعتبار امتلاكه سلاح الجو والدبابات وهذه الأنواع من السلاح فعالة في الأماكن المكشوفة.

ويقول الأحمد في حديث لـ «القدس العربي»: «إذا بقيت الفصائل تتعامل عسكريا مع أسلوب النظام هذا المتبع فإن تقدمه سيكون سريعا فعلى الفصائل تحصين التلال وجر النظام لمعارك المدن والبلدات التي تحجم سلاح النظام الثقيل، وعلى الفصائل اتباع أسلوب المباغتة وضرب النظام في نقاط ارتكازه وقطع خط عرضه العسكري الذي يبلغ حاليا في اتجاه أبو الظهور 10كلم وهذا يسهل قطعه وإربك رأس حربة النظام المتقدمة، كما أن الفصائل عليها اتباع تكتيك الكمائن وهذا ناجع في تعطيل خطط النظام».

في حال وصول النظام السوري إلى إدلب

السنة التاسعة والعشرون العدد 9064 الأحد 14 كانون الثاني (يناير) 2018 – 27 ربيع الآخر 1439 هـ

القوات الأمريكية لن ترحل من سوريا وشكوك حول موقف واشنطن حول دولة انفصالية في الشمال

واشنطن – «القدس العربي»: رائد صالحة

يعترف الأمريكيون بأن مهمتهم لم تنته في سوريا حتى الآن ولكنهم يصرون على أنهم حققوا نجاحات كبيرة منذ ظهور تنظيم «الدولة الإسلامية» (داعش) في عام 2014 وقالوا إن تركيزهم في الفترة الأخيرة ينصب عل هزيمة «داعش» والجماعات الإرهابية ومكافحة النفوذ الإيراني ومنع استخدام المواد والأسلحة الكيمائية وضمان سلامة إجراءات لتخفيض العنف والتوتر في جنوب غرب سوريا. وقد أدت جهود وقف إطلاق النار بالفعل إلى انخفاض كبير في العنف وهو شرط ضروري لزيادة عمليات توصيل المساعدات الإنسانية. وفي 8 تشرين الثاني/ نوفمبر وقعت الولايات المتحدة وروسيا والأردن مذكرة مبادئ تستند إلى وقف إطلاق النار. وتتضمن هذه المبادئ ضرورة استمرار الاجتماعات لتقديم تعريفات أكبر للقواعد والآليات لرصد وتعزيز الاتفاق وتقديم التزام ثلاثي للمساعدة في الحكم والترتيبات الإدارية في الأراضي التي تسيطر عليها المعارضة. والأهم من ذلك كله فإن المذكرة تؤكد على أن الأجانب بما في ذلك القوات الإيرانية وحزب الله عليهم الانسحاب من المناطق الواقعة ضمن خطوط وقف إطلاق النيران.

هذا التحديث الأخير للسياسة الأمريكية بشأن سوريا يوفر لنا صورة كبيرة قد تقدم إجابات بشأن الأحداث الأخيرة المتلاحقة في إدلب التي حذرت المنظمات الدولية الإنسانية من احتمال تعرضها لكارثة كبيرة بسبب الصراع المعقد.

ازدواجية المعايير في السياسة الأمريكية تجاه الشرق الاوسط ليست تهمة وإنما حقيقة برهنتها الأحداث على مدى عقود بما في ذلك الأحداث الأخيرة في إدلب حيث صمتت إدارة ترامب على مئات الضحايا من المدنيين الذين قتلوا جراء القصف في حين كانت تحرض العالم ضد إيران بسبب اتهامات مفادها أن طهران تقوم بقمع المتظاهرين. وقد اكتفت وزارة الخارجية بتعليقات روتينية وبلغة غير قوية لاستنكار ضرب المستشفيات في المدينة بواسطة طائرات تابعة للنظام السوري والقوات الروسية.

ورددت منصات إعلامية أمريكية تقارير عن قلق المجتمع الدولي من تصاعد القتال والدمار في محافظة إدلب شمال غرب سوريا، وهي آخر منطقة رئيسية في البلاد يسيطر عليها المتمردون. وبرز اهتمام في وسائل إعلام أمريكية بالتوقعات التي تشير إلى اقتراب نزوح أكثر من 100 ألف شخص بسبب الهجوم على إدلب مع إشارات إلى أن قوات النظام السوري لم تتخذ أي تدابير لتفادي وقوع إصابات بين المدنيين.

هذه الازدواجية المصحوبة بصمت متعمد انتقلت إلى مرحلة أكثر خطورة بعد تردد تقارير تفيد بأن الولايات المتحدة قد تتخذ خطوات الاعتراف الدبلوماسي بالمناطق السورية في شرق نهر الفرات التي تسيطر عليها قوات الدفاع الذاتي. وعلى الرغم من توضيح وزارة الخارجية بأن واشنطن تؤيد السلامة الإقليمية لسوريا موحدة وديمقراطية إلا أنه لا يمكن الوثوق في مواقف إدارة ترامب التي تسعى إلى إحراج روسيا وتركيا وإيران في ضربة واحدة ناهيك عن أي التزام حقيقي بوحدة أي دولة عربية.

سوريون نازحون من قرية جنوب إدلب هربا من مناطق النزاع المسلح

Volume 29 - Issue 9064 Sunday 14 January 2018

عملية إدلب مؤشر على احتدام الحرب في سوريا واستمرار التنافس الإقليمي والدولي

إبراهيم درويش

تؤشر العملية الجديدة في إدلب إلى عدد من الدلالات في الحرب المشتعلة منذ عام 2011 وهي أن المعركة على سوريا لم تنته بعد، وأن المتصارعين لم ينتهوا من تحقيق طموحاتهم، والأطراف الدولية ستواصل التأثير على البلاد سواء عبر الجماعات الوكيلة أو الدبلوماسية التي تقودها ظاهريا الأمم المتحدة وفعليا روسيا. وتحضر الأخيرة لمؤتمر يجمع فصائل من المعارضة السورية وليس كلها بالإضافة للنظام والدولتين الراعيتين لمناطق خفض التوتر إيران وتركيا، وربما حضرت الأمم المتحدة وأمريكا والسعودية. ولو حصل هذا فسيكون فلاديمير بوتين الذي أعلن الانتصار على تنظيم «الدولة» (داعش) نهاية العام الماضي قد حقق ما يريد، أي شرعنة مساره التفاوضي على حساب مسار جنيف الذي عقدت فيه ثماني جولات عبثية بدون أي تقدم حيث ظل الجدال يدور عن سوريا بالأسد أم بدونه.

وعليه تكتسب العملية في إدلب أهمية خاصة نظرا لأنها تشير لاستمرارية الحرب وإمكانيات تواصلها عام 2018 فإن كان عام 2017 هو عام ملاحقة تنظيم «الدولة» الذي طرد من معاقله الرئيسية في كل من العراق وسوريا فهذا العام قد يكون عام الغوطة وإدلب التي يعيش فيها أكثر مليوني سوري وهي أكبر منطقة خاضعة للمعارضة لنظام بشار الأسد. وتأتي العملية بناء على إنجازات العام الماضي حيث وسع النظام في دمشق من مناطق سيطرته في الشرق ونجح بالتخلص من بعض الجيوب المحاصرة ضمن اتفاقيات خفض التوتر ونقل المقاتلين وعائلاتهم بالحافلات إلى إدلب. وفي الوقت نفسه تشرذمت المعارضة العسكرية وقطع حلفاؤها الخارجيون عنها الدعم العسكري والمالي فيما همشت المعارضة السياسية.

ولم تعد مسألة خروج الأسد من السلطة مطروحة في الخطاب السياسي الغربي والأمريكي إلا من ناحية تأكيد تكرار الموقف لا الحديث عن الواقع الذي يجري على الأرض. ولا يبدو أن العملية الأخيرة للنظام تهدف للسيطرة على كامل المحافظة، فقد نقلت مراسلة «بي بي سي» ليز دوسيت عن مسؤولين سوريين قولهم إن روسيا لا تدعم حملة واسعة لاستعادة المحافظة، وربما وجد الأسد فرصة خاصة أنه تعهد باستعادة كل «شبر» من سوريا خسره منذ عام 2011. وتظل في النهاية عملية ذات أهداف محددة وهي تأمين الطرق إلى حلب والساحل والسيطرة على مطار أبو الظهور والمناطق ذات الكثافة السكانية القليلة كمقدمة للتقدم نحو مدينة إدلب إلا أن هذا يعتمد على قدرة الروس الحصول على موافقة تكتيكية من الأتراك أم لا. وفي الوقت الحالي اعترضت أنقرة على لسان وزير خارجيتها، خاصة أن لديها نقاطا عسكرية في المنطقة وتخشى من تدفق موجات جديدة من اللاجئين حيث قدرت الأمم المتحدة عدد النازحين بسبب العملية الأخيرة بحوالي 100.000 شخص.

وربما ناقش النظام السوري ودا عموه أن المناطق التي يستهدفها ليست خاضعة لاتفاقيات خفض التوتر وأن الجماعة المعارضة التي تسيطر عليها هي «هيئة تحرير الشام» التي تعتبرها روسيا والولايات المتحدة منظمة إرهابية. وفي ضوء تردد جماعات المعارضة المشاركة في مؤتمر «الحوار الوطني» في منتجع سوتشي فالمواجهة مستمرة ليس فقط في منطقة إدلب ولكن مع ما تبقى من جيوب للمعارضة وهي الغوطة الشرقية التي كثف النظام ضرباته الجوية عليها والحصار في محاولة منه لوقف إنطلاق الصواريخ إلى العاصمة دمشق. وهناك الرستن بالحل العسكري وهزيمة ما تبقى من جيوب للمعارضة. أما الثاني فهو الملف الكردي والذي يمكن أن يتحول إلى مواجهة مع النظام. صحيح أن قوات النظام السوري تواجه قوات سوريا الديمقراطية اليوم على ضفة نهر الفرات إلا أن ما يمنع المواجهة هو سيطرة الطيران الأمريكي على الأجواء السورية و10 قواعد عسكرية في مناطق الأكراد بالإضافة إلى 3.000 جندي أمريكي. لكن الحماية الأمريكية ليست مضمونة رغم تأكيد البنتاغون. وفي ظل رئيس متقلب في البيت الأبيض واستعداد الأمريكيين التخلي عن المصالح الكردية كما كشفت أحداث كركوك في تشرين الأول /أكتوبر 2017 فأكراد سوريا يشعرون بالقلق. وفوق كل هذا فتركيا غير راضية عن الدعم الأمريكي لحزب تعتبره فرعا لحزب العمال الكردستاني الانفصالي الذي يخوض حربا ضد الدولة التركية. وعلى المدى البعيد فلن تستمر القوات الأمريكية في الانتشار في مناطق الأكراد وسيحد النظام السوري طرقا للتأثير على منطقة الحكم الذاتي إما من خلال التلاعب السياسي أو المواجهة العسكرية. وهناك عامل ثالث وهو وتأمل روسيا أن يتعزز النظام أكثر من خلال مؤتمر سوتشي الذي دعت إليه أطراف من المعارضة السورية وحتى الكردية بصفة غير رسمية. وتريد أن تعقد تفاهمات بين النظام والأكراد وتبادل مناطق خاصة الرقة مقابل اعتراف دمشق بمنطقة حكم ذاتي كردية على طول الحدود السورية مع تركيا. ويرى أستاذ العلاقات الدولية في كلية كوين ماري في جامعة لندن بتحليل نشره موقع «ميدل إيست آي» (2018/1/10) أن سوتشي سيقوي من موقع الأسد، ملمحا إلى أن المحور الثلاثي - موسكو وطهران ودمشق لم يبد نزعة تصالحية خلال الحرب الدائرة منذ 6 أعوام ولن يفاجأ أحد لو تم تعويق أي اتفاق أو تجاهله. وعليه فمهما حدث في سوتشي فلن يكون نهاية للحرب لأن الديناميات المحلية والإقليمية والدولية تؤشر إلى أن الحرب ستتواصل خلال عام 2018 لأسباب منها إيمان الأسد وداعميه بالحل العسكري وهزيمة ما تبقى من جيوب للمعارضة. أما الثاني فهو الملف الكردي والذي يمكن أن يتحول إلى مواجهة مع النظام. صحيح أن قوات النظام السوري تواجه قوات سوريا الديمقراطية اليوم على ضفة نهر الفرات إلا أن ما يمنع المواجهة هو سيطرة الطيران الأمريكي على الأجواء السورية و10 قواعد عسكرية في مناطق الأكراد بالإضافة إلى 3.000 جندي أمريكي. لكن الحماية الأمريكية ليست مضمونة رغم تأكيد البنتاغون. وفي ظل رئيس متقلب في البيت الأبيض واستعداد الأمريكيين التخلي عن المصالح الكردية كما كشفت أحداث كركوك في تشرين الأول /أكتوبر 2017 فأكراد سوريا يشعرون بالقلق. وفوق كل هذا فتركيا غير راضية عن الدعم الأمريكي لحزب تعتبره فرعا لحزب العمال الكردستاني الانفصالي الذي يخوض حربا ضد الدولة التركية. وعلى المدى البعيد فلن تستمر القوات الأمريكية في الانتشار في مناطق الأكراد وسيحد النظام السوري طرقا للتأثير على منطقة الحكم الذاتي إما من خلال التلاعب السياسي أو المواجهة العسكرية. وهناك عامل ثالث وهو السعوديين والمعارضة السورية على المشاركة. ويعتقد لينتش ان سيطرة الروس على الملف السوري أصبح متاحا بسبب التردد الأمريكي حيث ركزت إدارة دونالد ترامب على محاربة تنظيم «الدولة»، ومنع إيران من تشكيل مستقبل البلد الذي مزقته الحرب. ولخص المبعوث الأمريكي السابق إلى التحالف الدولي لإضعاف تنظيم «الدولة» وهزيمته الجنرال المتقاعد جون ألن الحال بالقول: «تقوم روسيا بتحديد المسار السياسي ومن أكثر من منحى. للأسف لم يعد للولايات المتحدة سوى قدرة بسيطة على ممارسة دور قيادي أو المشاركة في هذه العملية». ويربط الكاتب بين مؤتمر سوتشي ومحادثات أستانا التي بدأت في كانون الثاني /يناير 2017 بمشاركة إيرانية وتركية وتغيب أمريكي حيث تركز الحديث على مناطق خفض التوتر. أما سوتشي فتريده أن يكون بمثابة النقطة الذي تنطق منه عملية تشكيل مستقبل سوريا وتأمل أن يكون الأسد من ضمن التسوية. وعبرت الدول الغربية وأطراف المعارضة أن يؤدي سوتشي لأخذ زمام المبادرة من جنيف، خاصة أن هناك من يرى في موسكو عاملا من عوامل الأزمة لا الحل. ويرى لينتش أن عملية جنيف لم تعد قابلة للحياة وهذه مشكلة، فالدعم العسكري الذي قدمه الجيش الروسي للأسد جعل من حكومة دمشق أقل استعدادا للتخلي عن الحكم مقابل عملية نقل للسلطة. وهو عنصر مهم في خطة جنيف. بالإضافة إلى أن واشنطن لا تفعل الكثير من أجل إبقاء عملية جنيف على قيد الحياة. واشتكى الحلفاء الأوروبيون، وإن بطريقة هادئة، من أن الولايات المتحدة لم تستخدم تأثيرها لدعم عملية جنيف.

فمن خلال الرسالة السعودية للمعارضة والانقسامات داخل الأمم المتحدة فإن هناك في الحقيقة من يتحمل العبء: الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، مع أن مسؤولين في إدارة ترامب يزعمون أن الولايات المتحدة لها نفوذ في سوريا أكثر من ذي قبل، خاصة أن الأكراد يسيطرون على مناطق واسعة، وهناك قوات أمريكية على الأرض.

وتؤكد الرسالة السعودية نجاح الدبلوماسية الروسية، ومحاولتها تشكيل مستقبل سوريا ما بعد الحرب التي باتت تنافس جهود الأمم المتحدة في جنيف التي عانت الفشل على مدار السنوات الخمس الماضية». ويتحدث لينتش عن خلاف في الأمم المتحدة حول مزايا المشاركة في سوتشي من عدمها، فالمبعوث الدولي ستيفان دي ميستورا يعمل من وراء الستار لتأمين مقعد في سوتشي ويحث إسرائيل التي لا تريد وجودا إيرانيا ولحزب الله على الأراضي السورية، وكثفت من غاراتها على القوافل العسكرية في داخل سوريا. وهناك فرص لأن تتدلع الجولة المقبلة من الحرب مع حزب الله على أرض سوريا ولبنان أيضا.

وعلى العموم فربما ربح الأسد الحرب إلا أن معركة السلام طويلة وشائكة. ففي ظل الغياب الأمريكي عن الساحة وتسليمها الملف الدبلوماسي لروسيا تحاول هذه عملية السلام والتمسك بالأسد فيما تريد المعارضة السلام بدون الأسد. وهناك نوع من التقبل الدولي لدور الروس. ففي مقال لكولام لينتش بـ «فورين بوليسي» «الرقص على النغمة الروسية» (2018/1/8) تحدث فيه عن قبول الولايات المتحدة والسعودية، وحتى المبعوث الدولي إلى سوريا بدور روسي أوسع في حل الأزمة السورية. ويشير إلى ما قاله وزير الخارجية السعودي عادل الجبير لوفد من المعارضة السورية في 24 كانون الأول /ديسمبر دعاه إلى الرياض ليخبره بأن السعودية ستخفف من جهودها الداعمة للإطاحة بنظام بشار الأسد. وقال الجبير إن الوقت قد حان لأن تكرس المعارضة جهودها وتأمين تسوية سياسية مع دمشق، من خلال مؤتمر السلام المقرر في سوتشي. وأكد الوزير السعودي أن المعارضة لو كانت جاهزة بالقدر الكافي فستؤمن اتفاقا لعملية نقل السلطة. ويعتقد لينتش أن ما نقله إليه مسؤولان في المعارضة أن «دعوة الجبير تعد إشارة أخرى على تراجع حظوظ المعارضة السورية للأسد والمحاصرة، التي خسرت الدعم السري من الحكومة الأمريكية.

من النظام السوري

وقال حسون «لقد أكدنا على أن أي إيراني في المنطقة هو هدف مشروع، وكان الموقف التركي مع موقفنا وتجاوب الروس لذلك، ومن أعطى أوامر المعارك والرمايات الخلبية هم الإيرانيون ليتقدموا بهذه الطريقة للمنطقة».

وكشف المسؤول العسكري أن المندوب الإيراني في أحد الاجتماعات أرسل رسالة لأحد القادة في الوفد وقال له تريدون دخول تركيا لإدلب وترفضوننا؟ أقول لكم لن يتم هذا الاتفاق وأنا بذلك زعيم.

وقال المسؤول العسكري حسون: «المغامرات والمعارك الخلبيّة التي قامت بها بعض الفصائل، وبرعاية ودعم ممن يُعارض الاتفاق أدت إلى خروقات كبيرة في الاتفاق، وبعد فشله لا يوجد أي التزام به وما يجري من معارك وقصف ومجازر هي نتائج إفشال الاتفاق ولا يمكن لأي اتفاق أن تكون نتائجه التنازل عن أرض حررناها بدماء شهدائنا».

من يقوم بالتصدي لهذه الهجمة على شراستها وقوتها هي الفصائل المشكلة لوفد قوى الثورة العسكري وأهالي المناطق وشبابها بينما يحصد المدنيون نتائج المعارك الوهمية.

خرجت القاعدة العسكرية الروسية عن صمتها مع التقدم العسكري الكبير الذي أحرزته المعارضة السورية في ريفي حماه وإدلب. وقال المتحدث الرسمي باسم القوات الروسية في حميميم اليكسندر إيفانوف: «يتعين على الجانب التركي إبداء موقف واضح تجاه التنظيمات المتطرفة الموجودة في سوريا، وعلى المجتمع الدولي تكثيف الجهود للمساهمة مع روسيا في القضاء على الإرهاب المتفشي في البلاد».

وقالت مصادر في الرئاسة التركية إن الرئيس رجب طيب أردوغان أبلغ نظيره الروسي فلاديمير بوتين في اتصال هاتفي بضرورة وقف هجمات النظام السوري على محافظة إدلب ومنطقة الغوطة الشرقية قرب دمشق من أجل نجاح قمة سوتشي وعملية أستانا. كما ألمحت تركيا حول مصير سوتشي ومشروعيته محكومة بوقف النظام السوري وروسيا لعملياتهم العسكرية الجارية في إدلب شمالي سوريا.

وبعد المعارك العنيفة التي شهدها ريفي حماه وإدلب بتغطية جوية كبيرة من قبل الطائرات الروسية التي اتبعت سياسة الأرض المحروقة، أظهرت صوراً بثها الجيش السوري الحر «فيلق الشام» استخدام الفيلق لمدرعات حديثة تركية في المعارك، الحدث الذي رأى فيه مراقبون للشأن السوري تطوراً كبيراً ورسائل تركية واضحة المعالم، أن أنقرة لن تتخلى عن محافظة إدلب والمعارضة السورية المعتدلة بهذه السهولة، وأن عدم التزام موسكو بمخرجات الاتفاقيات الدولية والانتهاكات الكبيرة بحق السوريين لن يكون دون مقابل.

الباحث في الشؤون الروسية التركية الدكتور باسل الحاج جاسم اعتبر أنه من غير الواقعي القول إن ما يجري في محافظة إدلب مؤخرا لم يكن متوقعا، بل هو يأتي في إطار المعارك المؤجلة، فطالما هناك أطراف ومجموعات مصنفة في قوائم الإرهاب الدولية، فهذا يجعل المنطقة هدفا عسكريا لأكثر من جهة. والسجال الذي دار حول رد الفعل والموقف التركي لم يخرج عن إطار اتفاق أستانا، حيث أن الهجوم العسكري الأخير استهدف المعارضة المعتدلة أيضا.

وقال جاسم: التقارب التركي الروسي الذي نراه مؤخرا، ولا سيما بعد تجاوز حادثة إسقاط تركيا الطائرة الروسية التي قالت إنها اخترقت أجواءها، وهذا التقارب يمكن وصفه بأنه أقل من تحالف وأكثر من مجرد اتفاق ولا سيما فيما يخص سوريا.

كل من تركيا وروسيا بحاجة للسلام في المنطقة، وهذا يشكل نقطة تلاق رئيسية، بالإضافة إلى الشق الاقتصادي والطاقة، وهو ما يصبح أساساً للتعاون السياسي بين البلدين، ومزيد من استمرار الحرب في سوريا يجلب المزيد من الخسائر في الجنود الروس، وكذلك انتشار الإرهاب والانفصال وعدم الاستقرار في تركيا، وفي المنطقة، على نطاق أوسع. وفق ما قاله الباحث في الشؤون الروسية التركية.

الجيش الحر يأخذ زمام المبادرة

أنطاكيا – «القدس العربي»: حسام محمد

اعتبرت العديد من المصادر المسؤولة وتحليلات الخبراء بأن احتدام الصراع المسلح في إدلب جاء كنتيجة حتمية لفشل المؤتمرات السياسية والأطراف المنخرطة فيها، وخاصة روسيا التي وقفت ودعمت بشكل كبير العمليات العسكرية للنظام السوري في ريفي إدلب وحماه، وتخلت عن مخرجات أستانا التي اتفقت على مضمونها مع تركيا وإيران.

وحملت المصادر روسيا ما آلت إليه التطورات الميدانية، خاصة عجلة التهجير التي طالت عشرات القرى والبلدات والصغيرة، وقضاء أكثر من 400 مدني سوري وإصابة أكثر من 1400 آخرين في الغوطة وإدلب وحماه، فيما تظهر المؤشرات بأن النظام السوري لا يعول على أي اتفاق دولي، وأن استغلال العامل الزمني أكثر ما يهتم به الأسد لتحقيق مكاسب ميدانية على حساب المعارضة.

تقدم النظام وعودة أسرع للمعارضة

نجحت قوات النظام السوري خلال أيام قليلة فقط من التقدم بشكل كبير في ريفي حماه وإدلب. وقالت مراكز استراتيجية بأن النظام السوري تقدم قرابة 800 كيلو متر خلال أيام. إلا إن المعارضة السورية المسلحة، وخاصة المشاركة منها في مفاوضات أستانا، عادت بشكل أسرع للمشهد، لتستعيد زمام المبادرة وتنتزع مناطق استراتيجية ومواقع هامة من قبل النظام السوري والميليشيات الموالية له. ففي حصاد اليوم الأول من المعارك في ريفي حماه الشمالي الشرقي وإدلب الجنوبي سيطرت المعارضة السورية المسلحة على سبع قرى ومزارع هي (أم الخلاخيل، المشيرفة، أرض الزرزور، الجدعانية، مزارع عطشان، الوبيدة والخزنة) وكانت المعارضة قد سيطرت في البداية على 14 قرية ومزرعة.

ورأى القائد العسكري في حركة أحرار الشام الإسلامية حسام سلامة أن خرق اتفاق خفض التصعيد من قبل النظام السوري والقوات الروسية كان ناتجا عن شعور روسي بفشل مؤتمر سوتشي بعد مقاطعته بشكل كبير من قبل المعارضة السورية.

وقال سلامة لـ «القدس العربي»: «روسيا تريد إلزام المعارضة السورية بمؤتمر سوتشي بهدف إعادة تدوير النظام السوري من جديد، واعتمدت روسيا على المعارك بهدف الضغط العسكري للحصول على تنازلات، ومن هنا عادت لغة الرصاص للساحة من جديد».

العقيد الركن فاتح حسون، رئيس اللجنة العسكرية في وفد المعارضة إلى أستانا، قال لـ «القدس العربي»: «ما يحدث بشكل خرقا كبيرا لكل التفاهمات والاتفاقيات التي حصلت بين فصائل الثورة بواسطة الضامن التركي من جهة وبين النظام وضامنه روسيا من جهة أخرى.»

وزاد: «إن لم تعد روسيا إلى الخلف وتتراجع عما أقدمت عليه وتضع نفسها في مكان الضامن الصادق، فلا أعتقد أنه سيكون هناك مؤتمرات أستانا مقبلة، وأما سوتشي فلا توافق حوله حتى اليوم أي من قوى وفصائل المعارضة الحقيقية.

وقال العقيد الركن فاتح حسون، الذي يشغل أيضاً منصب القائد العام لحركة تحرير الوطن، إن «فصائل الجيش الحر أخذت زمام المبادرة، ونفذت هجوما معاكسا من محاور عدة استطاعت من خلاله استعادة السيطرة على عدد كبير من القرى والمناطق، ولن تتوقف عن الاستمرار في المعارك حتى تحقيق الأهداف الموضوعة». وفي جولة مفاوضات أستانا 6 لم يتم تبادل خرائط أو الاتفاق على شكل نهائي لمناطق خفض التصعيد في إدلب، وكان الطرح الذي تم تداوله أن يكون كل ما هو غرب السكة تحت سيطرة المعارضة مع انتشار لنقاط مراقبة للجيش التركي. وكل ما هو شرق السكة منطقة لا يتواجد فيها النظام وميليشياته ويقوم بإدارتها من قبل أهالي المنطقة (كلهم مجالس ثورية وأبناء فصائل) على أن يتم نشر نقاط شرطة عسكرية روسية وبأعداد محدودة شرق السكة. الإيرانيون طلبوا أن يكون لهم مراقب واحد ضمن نقاط الشرطة الروسية، وتم رفض هذا الطلب من قبل وفد قوى الثورة.

حوار

عبد العزيز أفتاتي القيادي في حزب «العدالة والتنمية»: إعفاء بن كيران انقلاب ثان على المسار الديمقراطي بعد الانقلاب الأول على اليوسفي

حاورته: سعيدة كمال

عـام «البـلوكـاج ». بـهـذا يمكن تلخيص سـنـة 2017 فـي المـغـرب سياسيا وأيضا اجتماعيا، كما تميز العام باحتجاجات اجتماعية طويلة النفس في منطقة الريف شمال المغرب، وانتهت السنة لتبدأ أخرى على وقع حراك آخر اندلع في مدينة جرادة شرق البلاد. في هذا الحوار مع عبد العزيز أفتاتي وهو قيادي بارز ومثير للجدل في صفوف حزب العدالة والتنمية، يحدث «القدس العـربـي» عـن كـل ذلـك. وهـنـا نص الحوار:

○ بالرغم من تصدر حزب العدالة والتنمية لنتائج انتخابات السـابـع من تشـريـن الأول/أكتوبر 2016 إلا أنه عرف وضعا داخليا اسـتـثنائيا بـدأ مباشـرة بعـد أزمة تشـكيل الحكومة أو «البلوكاج» الحكومي؟

● البلوكاج كان عملية مدبرة للانقلاب على الانتقال الديمقراطي وعلى عبد الإلـه بـن كـيـران، بعد إفشال آخر محاولة للانتقال التي كانت مع عبد الرحمن اليوسفي، كان «بلوكاجا» له أغراض انقلابية على العملية الديمقراطية، لأن هناك من يعتقد أنه يمكن أن يسود بدلا من الشعب، وتلك الجهات ما زالت تحلم بالتحكم في القرار السياسي والـثـروة، ولذلك قامت بالعملية الانقلابية ضد محاولة الانتقال الديمقراطي التي كان يدبرها بن كيران.

○ كيف تنظر إدارة الحزب وعبد الإله بن كيران لتلك المرحلة؟

● إدارة المعركة لم تكن سهلة. لأن الجهة التي تقف خلف العملية الانقلابية، لها أجندة رهيبة. لذلك فإدارة هذه المعركة لم تكن مسألة هينة أبـدا. كانوا يريدون إزاحـة بن كيران، لأن في إزاحته نوع من الحيلولة دون التوجه الانسيابي نحو الملكية البرلمانية. والحيلولة دون استمرار بن كيران كانت تعني عرقلة التدرج والتقدم في إعمال المنهجية الديمقراطية، وتعني عدم السماح لرئيس الحكومة أن يشكل تحالفه حسب إرادتـه، انسجاما طبعا مـع مـخـرجـات الاقـتـراع. الإزاحـة كانت تروم عدم السماح لبن كيران بتشكيل فريق منسجم، لذلك فالأمور كلها تشكل إضرارا بالانتقال الديمقراطي.

○ تم إعفـاء بن كيـران وتعيين العثمانـي خلفـا لـه وتم تشـكيل الحكومة في ظرف قياسي مقارنة مع ما استغرقه بن كيران.

● كانوا يريدون شق الحزب لنصفين، ضرب الحـزب بالحزب من خلال إعفاء بن كيران واختيار العثماني على أسـاس أن يكون هـذا الاخـتـيـار نقيضا للمسار وللاختيارات السابقة وهذا الذي حاولوا إبرازه بكل الطرق والحقوا ضررا بليغا بالفريق وبالتحالف، حـيـث أنـه تم فـرض جـزء من التحالف ومـن الفريق الحكومي مـن خـلال اسـتـثـمـار الـظـروف الدولية والإقليمية، والاستثمار في علاقات المغرب ببعض شركائه سواء الشريك المرجعي أو الشركاء العشائريين.

○ وتم لهـم ذلـك عـن طريـق العثماني؟

● لا، ليس عن طريق العثماني. تم لهم ذلك من خلال الاستثمار في المعطيات الإقليمية والدولية، والذي وقـع هـو عملية إعـاقـة للانتقال. القضية ليست مرتبطة بالنيل من العدالة والتنمية بمفرده وإنما هو نيل من المسار الديمقراطي.

○ الحزب رغم أنـه قرر، التفاعل الإيجابي مع بلاغ الديـوان الملكي، إلا أن العثماني تلقى ضربات موجعة من إخوانـه بلغت حد التخوين، هل كان لزامـا عليه أن يتبـع منهج بن كيران؟

● القـضـيـة لـيـسـت مرتبطة بالعثماني. هي قضية حزب. لأن الحزب هو الذي أدار العملية بعد الإزاحـة السلطوية لـبـن كـيـران، ولذلك أنـا لا ألـوم العثماني. إذا كان من لوم فيجب توجيهه للحزب برمـتـه، وأتـصـور أن الـرد الـذي كان مناسبا ساعتها هو الدعوة لانتخابات سابقة لأوانـهـا، مع الأسف الحزب اختار اختيارا آخر، ومع ذلك فالجهات النكوصية لم تكتف بهذا وحـاولـت أن تضرب الحزب بالحزب، وحاولت أن تبرز قدرا كبيرا من المواجهات البينية ومـن التناقضات داخـل العدالة والتنمية وذلـك بتصوير الأمـور على غير ما هي عليه، حيث أنهم يحاولون تقديم أن هناك تنازلا للعثماني بعدما كانت هناك ممانعة لبن كيران.

○ أليست هذه هي الحقيقة؟

الحقيقة أن الحـزب برمته هو الذي تعاطى مع الموضوع، لنكن واضحين. ولذلك كم من مؤاخذة ينبغي أن يؤاخذ عليها الحزب؟ لو أراد الحزب أن يذهب لانتخابات سابقة لأوانها لذهبنا إليها، لكن كانت لـه رؤيـة أخـرى من خلال تقديرات مـا. لذلك فليس سليما ولـيـس مـن الـصـحـة أن نخص العثماني باللوم، والـحـزب كان ينبغي أن يذهب في اتجاه انتخابات مبكرة بعد إعفاء بن كيران. كان ينبغي أن نعود للشعب، وآنذاك إذا كان لهم ما يكفي من التجاسر على إرادة الشعب فليمضوا في تزوير الانتخابات.

○ بعد تشـكيل الحكومـة، ظل قياديون من داخل الحزب يوجهون اللـوم للحكومة ويصفـون أدائها بالباهـت ويوجهـون الأصابـع للعثماني، هل كان بن كيران سيقوم بما لم يجرؤ عليه العثماني؟

● بن كيران لم يعد ممكنا أن يـكـون، لـذا يجب أن ننتهي من الحكاية ونواجه مصيرنا بشكل موضوعي. ولذلك إمـا أن نؤطر العثماني لكي نرفض ما نتصور أنه ينبغي أن نرفضه، وينبغي أن نقر أن هذا الذي يتم، يتم بإرادة الحزب.

ما يقوله الإخوان حول العثماني غير سليم وبـدلا من أن يواجهوا الجهات التي تسببت في الوضع، يواجهون جزءا من الحزب، وجزءا من مقومات العملية الديمقراطية ومن رموز العملية.

○ وكأنك تقـول أن من يوجهون انتقادهـم للعثمانـي يلتفون على التناقض الأساسي؟

● هـذه معركة خطأ، وينبغي على الإخوة والأخوات أن يتوقفوا عن خوضها. المعركة مع الجهة التي تسببت في الالتفاف على الانتقال الديمقراطي، الجهة التي أزاحت بن كيران، والتي فرضت جزءا من التحالف وجزءا من التحالف الحكومي، الجهـة الـتـي تسعى أن تكون الإدارة خـارج توجيه الحكومة. المعركة يجب أن تتوجه إلى هؤلاء.

○ وهـل تـرى أن العثمانـي ومناصريه قـادرون علـى توجيه البوصلة نحو الجهـة التي تتحدث عنها؟

● لـيـس هـنـاك عـثـمـانـي ومـنـاصـروه، العثماني يتحمل المسؤولية باسم العدالة والتنمية في الديمقراطية، فاختلط عندهم الأمـر وبقيت حـاضـرة المقاربة المسطرية وطغت على السياسية التي استندت على أن اليوم هناك وضعية استثنائية في المغرب وتتطلب حلولا استثنائية.

○ خروج بن كيران وعدم التمديد له كان إجراء مسـطريا فقط ـ لا يد لذلك إما أن نستعيد المبـادرة من خلال مجموعة من الأمور بما فيها رئاسة الحكومة أو أن نقول للعثماني بـأن يطلب انتخابات سابقة ويعيد المفاتيح لصاحبها. هناك اختياران لننهي الحكاية، لا يمكن أن نستمر في هذه المقاربة لأنها خاطئة والعدالة والتنمية قوامه بن كيران والعثماني.

○ في المؤتمر الأخيـر أثير جدل حـول مخرجاته، مـا إن كانت فعلا انتصارا للديمقراطيـة الداخلية أم تهميشـا لبن كيران وتغليب صوت واحد؟

● أهـم رسـالـة بعثها مؤتمر حـزب العدالة والتنمية هـي أنه مستعد لكلا الخيارين، لأن يستعيد المبادرة من خلال إسهام الحزب والطليعة المجالسية والبرلمانية ومن خلال رئاسة الحكومة، أو أن يستعيد المـبـادرة من خـلال أرض الله الواسعة. هذه هي أبلغ رسالة للمؤتمر.

○ هناك من يرى التصويت بين القرب من بن كيران والعثماني تعبير على شـرخ صـارخ داخل الحزب.

● ليس هناك شرخ، هذا الشرخ موجود في خلفية الدولة العميقة والدولة الموازية والتي هي اليوم في مأزق كبير.

○ خـلال المؤتمر تحفظت على أن الحجج التي تقدم بها رافضو الولاية الثالثة (يقاطع)؟

● نعم هي حجج غير مقنعة، لأنه لما تم تعيين العثماني لم يكن أمينا عاما للحزب، وكان يمكن أن يستمر رئيسا للحكومة بدون أمانة عامة. ولا أتصور أنه يمكن أن ننتج حـلا دون أن نبقى موحدين في المعركة.

○ بن كيـران خرج من رئاسـة الحكومـة بقـرار من السـلطة، هل خروجه من رئاسة الحزب كان بقرار أو لنقل بتأثير من السلطة؟

● هذا أمر جزئي، في المؤتمر كان حاضرا عندنا النقاش السياسي، وأن أقـصـر الـطـرق لاسـتـعـادة المبادرة هو التمديد لبن كيران بحكم الالتفاف الكبير حـول شخصه، لكن هذا النقاش السياسي اختلط بنـقـاش مسـطـري وديمـقـراطي داخـلـي، حيث أن مجموعة من الإخوة والأخوات لهم حساسية تجاه موضوع مراجعة إجراءاتنا وأعرافنا باعتبارنا مدرسة عريقة في الديمقراطية، وبقيت حـاضـرة المقاربة المسطرية وطغت على السياسية التي استندت على أن اليوم هناك وضعية استثنائية في المغرب وتتطلب حلولا استثنائية.

○ خروج بن كيران وعدم التمديد له كان إجراء مسـطريا فقط ـ لا يد لذلك إما أن نستعيد المبـادرة من خلال مجموعة من الأمور بما فيها رئاسة الحكومة أو أن نقول للعثماني بـأن يطلب انتخابات سابقة ويعيد المفاتيح لصاحبها. هناك اختياران لننهي الحكاية، لا يمكن أن نستمر في هذه المقاربة لأنها خاطئة والعدالة والتنمية قوامه بن كيران والعثماني.

○ في المؤتمر الأخيـر أثير جدل حـول مخرجاته، مـا إن كانت فعلا انتصارا للديمقراطيـة الداخلية أم تهميشـا لبن كيران وتغليب صوت واحد؟

● أهـم رسـالـة بعثها مؤتمر حـزب العدالة والتنمية هـي أنه مستعد لكلا الخيارين، لأن يستعيد المبادرة من خلال إسهام الحزب والطليعة المجالسية والبرلمانية ومن خلال رئاسة الحكومة، أو أن يستعيد المـبـادرة من خـلال أرض الله الواسعة. هذه هي أبلغ رسالة للمؤتمر.

○ هناك من يرى التصويت بين القرب من بن كيران والعثماني تعبير على شـرخ صـارخ داخل الحزب.

● ليس هناك شرخ، هذا الشرخ موجود في خلفية الدولة العميقة والدولة الموازية والتي هي اليوم في مأزق كبير.

○ خـلال المؤتمر تحفظت على أن الحجج التي تقدم بها رافضو الولاية الثالثة (يقاطع)؟

● نعم هي حجج غير مقنعة، لأنه لما تم تعيين العثماني لم يكن أمينا عاما للحزب، وكان يمكن أن يستمر رئيسا للحكومة بدون أمانة عامة. ولا أتصور أنه يمكن أن ننتج حـلا دون أن نبقى موحدين في المعركة.

○ بن كيـران خرج من رئاسـة الحكومـة بقـرار من السـلطة، هل خروجه من رئاسة الحزب كان بقرار أو لنقل بتأثير من السلطة؟

● هذا أمر جزئي، في المؤتمر كان حاضرا عندنا النقاش السياسي، وأن أقـصـر الـطـرق لاسـتـعـادة المبادرة هو التمديد لبن كيران بحكم الالتفاف الكبير حـول شخصه، لكن هذا النقاش السياسي اختلط بنـقـاش مسـطـري وديمـقـراطي داخـلـي، حيث أن مجموعة من الإخوة والأخوات لهم حساسية تجاه موضوع مراجعة إجراءاتنا وأعرافنا باعتبارنا مدرسة عريقة في الديمقراطية، فاختلط عندهم الأمـر وبقيت حـاضـرة المقاربة المسطرية وطغت على السياسية التي استندت على أن اليوم هناك وضعية استثنائية في المغرب وتتطلب حلولا استثنائية.

○ خروج بن كيران وعدم التمديد له كان إجراء مسـطريا فقط ـ لا يد لذلك إما أن نستعيد المبـادرة من خلال مجموعة من الأمور بما فيها رئاسة الحكومة أو أن نقول للعثماني بـأن يطلب انتخابات سابقة ويعيد المفاتيح لصاحبها. هناك اختياران لننهي الحكاية، لا يمكن أن نستمر في هذه المقاربة لأنها خاطئة والعدالة والتنمية قوامه بن كيران والعثماني.

○ في المؤتمر الأخيـر أثير جدل حـول مخرجاته، مـا إن كانت فعلا انتصارا للديمقراطيـة الداخلية أم تهميشـا لبن كيران وتغليب صوت واحد؟

● أهـم رسـالـة بعثها مؤتمر حـزب العدالة والتنمية هـي أنه مستعد لكلا الخيارين، لأن يستعيد المبادرة من خلال إسهام الحزب والطليعة المجالسية والبرلمانية ومن خلال رئاسة الحكومة، أو أن يستعيد المـبـادرة من خـلال أرض الله الواسعة. هذه هي أبلغ رسالة للمؤتمر.

○ هناك من يرى التصويت بين القرب من بن كيران والعثماني تعبير على شـرخ صـارخ داخل الحزب.

● ليس هناك شرخ، هذا الشرخ موجود في خلفية الدولة العميقة والدولة الموازية والتي هي اليوم في مأزق كبير.

○ خـلال المؤتمر تحفظت على أن الحجج التي تقدم بها رافضو الولاية الثالثة (يقاطع)؟

● نعم هي حجج غير مقنعة، لأنه لما تم تعيين العثماني لم يكن أمينا عاما للحزب، وكان يمكن أن يستمر رئيسا للحكومة بدون أمانة عامة. ولا أتصور أنه يمكن أن ننتج حـلا دون أن نبقى موحدين في المعركة.

○ بن كيـران خرج من رئاسـة الحكومـة بقـرار من السـلطة، هل خروجه من رئاسة الحزب كان بقرار أو لنقل بتأثير من السلطة؟

● هذا أمر جزئي، في المؤتمر كان حاضرا عندنا النقاش السياسي، وأن أقـصـر الـطـرق لاسـتـعـادة المبادرة هو التمديد لبن كيران بحكم الالتفاف الكبير حـول شخصه، لكن هذا النقاش السياسي اختلط بنـقـاش مسـطـري وديمـقـراطي داخـلـي، حيث أن مجموعة من الإخوة والأخوات لهم حساسية تجاه موضوع مراجعة إجراءاتنا وأعرافنا باعتبارنا مدرسة عريقة

للسلطة فيه؟

● حـضـرت فـي الـتـمـديـد إرادة جـزء من الإخـوة، لا علاقة للضغوطات أو الإملاءات، وبعيدا عن تأثير السلطة، لأن هناك إخوة لـهـم حساسية تجـاه المـسـاطـر، تشبثوا بولايتين ويقولون أن بن كـيـران يمكن أن يناضل مـن أي موقع وليس فقط حتى يكون أمينا عاما. لقد اختبر أكثر منذ عشرين سنة تجربة ولايتين داخـل حركة التوحيد والإصلاح وداخل الحزب.

وهـنـاك مـن استحضر البعد السياسي في عـدم التجديد لبن كـيـران ويـقـول أن هـنـاك وضعا سياسيا لا يمكن للحزب أن يتحمله ومن الأحسن أن يتجنبه، لكن جزءا من الإخوان ليس هذا ما تحكم في قرارهم بل حكمتهم مقاربة داخلية مرتبطة بالبنيان وليس بالنقاش السياسي. الحلقية والدوران حول الأشخاص ألخ هذه قناعتهم.

○ هل لإعفاء بـن كيران ورفض التمديـد لـه، وقعـا علـى مسـار «الدمقرطة» في المغرب؟

● أن هناك إرادة واضحة للدولة العميقة، وهـي تجريد الانتقال الديمقراطي، ولكن هل ستستطيع النجاح في ذلـك؟ أنـا لا أعتقد. لا يمكن أن نعود بالمغرب إلى بداية الخمسينية السابقة والالتفاف على إرادة الشعب، فاليوم هناك منسوب وعي كبير والتزام كبير في صفوف المواطنين، والمواطنون سفهوا الدولة العميقة في أكثر من مناسبة بما في ذلك في مناسبة الانـتـخـابـات، وبالتالي أزاحـوا بن كيران ولـم يستطيعوا إزاحـة الـحـزب، والـتـفـوا على جـزء من التحالف وليس التحالف بأكمله وبـذلـك الـحـقـوا أضـرارا جسيمة بالمسار لكنهم لم يحسموا المعركة ويصعب عليهم حسمها وأنت تتابعين ما يحدث في أكثر من إقليم في الحسيمة وفي جـرادة حاليا، حيث يتبين أن الدولة العميقة في مأزق كبير جدا ولا يمكن أن تؤطر الناس بالبؤس والخزعبلات.

○ تكرر كثيـرا «الدولة العميقة» ليس عندك شـك فـي وجودها وفي مسؤوليتها في ما يقع؟

● ليس عندي أدنى شك في أن هناك دولة عميقة موازية حقيقية تشتغل على المؤسسات على مدار الساعة، لكن أعتقد أن إرادة الشعب اليوم فوق كل شيء.

○ هل النقـد الـذي تم توجيهه للأحـزاب والفاعلين السياسـيين والإجـراءات الـتـي تم اتخاذها في إطار هذا «الزلزال» ربط المسـؤولية بالمحاسـبة ووقف على المسـؤولين الحقيقيين؟

● لا أتـصـور أن هـنـاك من سيتأسف على إزاحـة عناصر الإدارة الترابية وخاصة كبيرهم الذي علمهم السحر، ولكن ينبغي الانتباه إلى ضرورة إعمال الدستور في المحاسبة، لا يمكن القفز على الدستور في العملية.

○ كيـف تنظـرون إلـى تقرير المجلس الأعلى للحسـابات والذي كان هو ركيزة هذه القرارات؟

● هناك ملاحظات على كيفية اسـتـدعـاء المجـلـس والـتـدخـل، ملاحظات تتعلق بنوع من الانزياح المؤسساتي في اسـتـدعـاء هذه المؤسسة.

○ هل سـيكون للإعفاءات تأثير على أداء الحكومة؟

● هـذا هـو المـراد وخـاصـة الإعفاءات التي طالت وزراء التقدم والاشتراكية والتي تدخل في إطار قص أجنحة العدالة والتنمية.

○ حتى السـاعة لم يتم تعويض الـوزراء الذي أعفـوا بآخرين، هل نحن أمام «بلوكاج « ثان؟

● هناك جهة تريد الظهور في كل مرة أنها سيدة الموقف وليست المؤسسات والحكومة ورئاسة الحكومة، وتريد أن تقول للشعب أنها حاضرة ومستمرة وقراراتها لا ترد ومساعيها لا يمكن لأحد أن يقف في وجهها وهي التي تقرر، وبذلك فالعملية واضحة، هناك دولة عميقة تشتغل.

○ منـذ نهايـة 2016 وبالتوازي مع بدايـة «البلوكاج» انفتحت كذلك ملفات اجتماعيـة كبرى، من ضمنها حراك الريف؟

● هذا من المؤشرات الكبيرة على أن الدولة العميقة في مأزق حقيقي وكبير. لأن الذراع السياسي للدولة العميقة هـو الـذي يؤطـر الجهة وكثير من الأقاليم في الشمال بما فيها الحسيمة، وهـذا «البـؤس» (الحديث عن حزب سياسي..) من صنيعتها. حيثما وجد البؤس تجد الدولة العميقة في مأزق، وفي كلا الجهتين (حسيمة وجرادة) هناك بـؤس حزبي وبـؤس اقتصادي وهناك رجـال أعمال «فبركتهم» الـدولـة «فبركة» كاملة وهـم من يمـولـون «الـبـؤس الـسـيـاسـي» ودعموا ليسيطروا على المجالس وفي الجهتين هناك جمع رهيب بين السلطة والثروة.

○ كيـف تـنـظـر إجمـالا لمقاربـة الدولـة للاحتـجـاجـات المتصـاعدة في الريف أو زاكورة وحاليا جرادة؟

● ليست هـنـاك أي مقاربة، فالمـقـاربـة الحقيقية هـي إعمال سـيـادة الـشـعـب، ليست هناك مقاربة وجيهة دون الرضوخ لإرادة الشعب وعدم التدخل في صناعة المنتخبين وعدم التدخل في صناعة الثروات المشبوهة، هذه هي المقاربة المطلوبة. المطلوب سيادة الشعب على السلطة وعلى الثروة.

○ كيـف تنظر للأفق السياسـي والديمقراطي؟

● بعد 20 شباط/فبراير 2011 لم يعد في إمكان أي جهة أن تلتف على إرادة الشعب المغربي، اليوم يثبت الشعب أنه متشبث ومتمسك أكثر من أي وقت مضى بالكرامة وبـالحـيـاة، ولا بـد أن يستجيب القدر. ونحن أقـرب من أي وقت مضى إلى تحقيق مراد الشعب في سيادته على السلطة والثروة أي بناء الديمقراطية الحقيقية.

- الـجـهـة الـتـي تـقـف خـلـف الـعـمـلـيـة الانـقـلابـيـة، لـهـا أجـنـدة رهـيـبـة
- الـمـواطـنـون سـفّـهـوا الـدولـة الـعـمـيـقـة فـي أكـثـر مـن مـنـاسـبـة
- هـنـاك رجـال أعـمـال «فبركتهم» الـدولـة وهـم مـن يمـولـون «الـبـؤس السياسي»
- الـمـطـلـوب سـيـادة الـشـعـب عـلـى الـسـلـطـة والـثـروة

جانب من مواجهات الحسيمة

حريات

الطالبات المحجبات عرضة للمساءلة في بريطانيا

أصوات تنادي بمنع الحجاب في المدارس البريطانية ونشطاء مسلمون يعتبرون ذلك تمييزا وإخلالا بحرية المعتقد

وجدان الربيعي

الطالبة البريطانية شابينا بيغوم امام محكمة تنظر في قضية الحجاب في لندن

يبدو ان عدوى حظر الحجاب في المدارس انتقلت من فرنسا وبعض الدول الغربية إلى بريطانيا التي تتباهى بحرية التعبير والمعتقد، ما يقلق المهاجرين المسلمين أن القضية تأتي ضمن ما يعرف بمسلسل مكافحة الإرهاب الذي أخذ أشكالا عديدة أعاقت ممارسة المسلمين لطقوسهم الدينية. وكان من أبرز تلك المعوقات «الإسلاموفوبيا» التي تسببت في ازدياد مشاعر وسلوك الكراهية ضد المسلمين وكل الرموز الدينية الإسلامية، أما الضحية الأكبر فكانت المرأة المسلمة المحجبة تحديدا والتي تعرضت في الآونة الاخيرة إلى الكثير من التمييز بسبب لباسها وحجابها سواء في العمل أو المدرسة أو الشارع، كما أصبحت ضحية لإعتداءات مثل الضرب والبصق ورش مادة «الأسيد» مما اضطر السلطات إلى إجراء تدابير أمنية لحمايتها في حال تعرضت للخطر.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تطور إلى مشروع قرار أعلنت عنه «أوفستيد» وهي هيئة تفتيشية للمدارس تابعة لوزارة التعليم البريطانية، عن إجراء استجوابات للطالبات المسلمات وتحديدا في المرحلة الإبتدائية وذلك لمعرفة إن كان إرتداء الحجاب في هذه السن المبكرة ناجما عن ممارسة ضغوط عليهن من قبل العائلة. لكن مشروع القرار لم ينفذ بعد حيث اعتبره البعض يمس بحرية المعتقد وقد تم توقيع عريضة رفضا للإعلان من قبل أكثر من ألف أكاديمي بريطاني من الجامعات البريطانية معتبرين الإعلان خرقا للحريات الدينية، بينما يرى البعض الآخر أنه يجب منع أي شكل من أشكال الرموز الدينية تشمل مختلف الديانات ليشعر الأطفال انهم ينتمون لمجتمع واحد ولا فرق بين أحد.

لكن التخوفات تكمن في مدى تعارض حظر الحجاب لو تم مع حرية المعتقد والعلاقة بين الحجاب واضطهاد المرأة كما يرى بعض الغربيين وهل منعه في المدارس البريطانية يعتبر انتهاكا لحقوق الإنسان؟ وما مدى خطورة الربط بين الحجاب والإرهاب في المجتمعات الغربية؟ وهل هناك تقصير في التعامل مع هذا الموضوع من قبل أئمة المساجد والمراكز الإسلامية في بريطانيا؟

تساؤلات طرحتها «القدس العربي»على أكاديميات وناشطات مسلمات يقمن في بريطانيا.

أجندة ممنهجة

لانة الصميدعي، عضو رابطة دار السلام العراقية ورئيسة جمعية المرأة المسلمة سابقا تقول لـ«القدس العربي»: منذ أحداث 11 ايلول/سبتمبر حتى الآن ونحن نعاني من مسلسل اسمه مكافحة الإرهاب. وهناك أجندة ممنهجة تستهدف تدمير الإسلام والمسلمين والضغط عليهم، والحجة هي مكافحة الإرهاب التي تخترق الحرية الدينية وبالذات للمسلمة كونها تتميز بحجابها. ونفاجأ قبل فترة قريبة بإعلان مؤسسة «أوفستيد» أنها ستبدأ في استجواب الطالبات المحجبات في المدارس البريطانية. نعم نحن الآن نواجه تحديا كبيرا. وعلمنا أن مشروع قرار الاستجواب سوف يكون بطرح الأسئلة على التلميذة المحجبة كالتالي: من ألبسك الحجاب؟ هل تلبسين الحجاب بناء على رغبتك؟ هل أنت مجبرة على ارتداء الحجاب؟

وتضيف: لك ان تتصوري حجم المصيبة المقبلين عليها. نحن نعتبر الحجاب جزءا من ديننا وإيماننا، لكن عندما تؤخذ الطالبة للاستجواب فسوف تكون لها تبعات كبيرة، وكيف ستكون أصلا نفسية الطفلة؟ هناك مظاهر دينية أخرى في المدارس البريطانية لا تخص المسلمين فحسب بل السيخ واليهود والمسيحيين والسؤال لماذا هذا التمييز الواضح ضد المسلمين عن سواهم؟

نتعامل في عالم متناقض وفقط يسلط الضوء على المسلم ولا ندري لماذا، في بلد يزعم انه يرعى الحريات.

حقوق الإنسان

أما الدكتورة فلة لحمر، الأكاديمية والباحثة في المجال التربوي والاجتماعي، فتحدثت عن المخاوف المتأتية من وراء هذا القرار إذا تم تفعيله على أرض الواقع بالقول: عدد المسلمين في الغرب بين 9 إلى 15 مليونا، وهم موزعون بين الدول الأوروبية المختلفة، هذه الجاليات تناقش قضاياها من زاوية كيف يتم دمجها في المجتمع الأوروبي والمرأة تأتي كمفتاح لسياسة الدمج في المجتمع الأوروبي. المشكلة ليست في ان المرأة يجب ان تقوم بدورها في المجتمع الأوروبي، ولكن المشكلة تكمن في عدم قبول المجتمع الغربي لهويتها وحجابها وهذا ينافي إعلان حقوق الإنسان في حرية المعتقد والملبس.

لا نستغرب عندما تحدث ديفيد كاميرون عن المسلمات على انهن «مستسلمات» وإنهن يحتجن للتعليم، وإنه يجب عليه أن يضع ميزانية من أجل دمجهن في المجتمع البريطاني وتعليمهم اللغة الانكليزية.

وتضيف: للأسف نجد اليوم المشرفة على «أوفستيد» وهي الهيئة التفتيشية الخاصة بالمدارس وأن المفتشية العليا لهذه الهيئة بعد اجتماعها مع مجموعات ضغط ضد الحجاب، تعلن ان من حق المفتشين أن يسألوا الطالبات المسلمات المحجبات في المرحلة الابتدائية عن سبب ارتدائهن للحجاب، وهذا يعرّض الصغيرة للخوف وهي لا تملك القدرة على الرد على من يستجوبها من الكبار فستكون في موقف ضعف وتتعرض هويتها للتهديد.

وترى لحمر ان هذه الممارسات لو نفذت ضد المحجبات فستخلق نوعا من التوتر في المجتمع البريطاني من زاوية ان الإجراء يعتبر تمييزا ضد المسلمين.

وقد شاركت د. لحمر في التوقيع على عريضة ترفض إعلان «أوفستيد» من خلال لائحة اعتراض ورسالة وقعها أكاديميون وأساتذة جامعيون ورجال دين بريطانيون، حيث وصل عدد التوقيعات إلى أكثر من ألف وستة وثلاثين توقيعا، واعتبر الموقعون ان هذه الخطوة هي بمثابة تمييز خطير ضد المرأة المسلمة وضد حرية المعتقد.

وهي تعتبر ان هناك أصواتا تريد تشويه مفهوم الحجاب كخطوة أولى من أجل التقليل من قيمة المرأة المسلمة والتعامل معها بشكل استثنائي سلبا.

والخطوة التالية لاستجواب المحجبات ان ينتقل ليصبح مؤسساتيا وبالتالي سيفتح باب النقاش حوله واسعا، وستوضع المرأة المسلمة في فئة المستثناة من بقية أولياء الأمور الذين لهم الحق في تنشئة أبنائهم باللباس الذي يريدون، ومحاولة الإيحاء بأنها مختلفة ودون المستوى وغير أهل للتعليم، ولذلك يسمحون لأنفسهم أن يسألوها عن طريقة تربيتها لأولادها والتحقق من انهم يتلقون الرعاية الصحيحة. فالبنت المسلمة هنا تتعرض لتمييز عنصري من مؤسسة تعليمية وهذه نقلة خطيرة ولها تبعات لا تحمد عقباها إذا لم يتم التحرك لوقفها.

معتقدات الناس

وترى أسماء حنيف، وهي بريطانية مسلمة من أصل باكستاني، أن الوضع سيكون صعبا على الأسرة المسلمة التي

طالبتان مسلمتان في مدرسة بريطانية

يساور النساء القلق ليس في بريطانيا حسب إنما في عدد من بلدان أوروبا وبالأخص الطالبات اللائي تفرض عليهن الدراسة أن يكن جزءا من المجتمع وذلك بسبب التوتر الذي يثيره الحجاب أو الهوية الدينية. ويعود الأمر بالدرجة الأولى إلى الفترة التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول عام 2001 عندما استهدفت أربع طائرات للنقل المدني برجي مركز التجارة الدولية في منهاتن بنيويورك ومقر وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) في واشنطن. يومها بدأ التضيق على المسلمين في الدوائر والمدارس وأماكن العمل. وانتقلت عدوى الإسلاموفوبيا إلى مدن أوروبية أخرى ما خلق انقساما حادا في المجتمعات بين من يدعون إلى حرية المعتقد وبين من يدعون إلى منع الآخرين من ممارسة شعائرهم الدينية.

كانتربري السابق اللورد كاري فيقول إن إضفاء الصفة الرسمية على الحجاب في المدارس الإبتدائية «يجب مواجهته بقوة».

لكن وزارة التربية تقول إن البت في سياسات الزي المدرسي يعود إلى المدارس، مضيفة أنه «إذا ما قررت مدرسة السماح للطالبات بارتداء البرقع أو الحجاب فهذا شأنها».

ودعت شايستا جوهر، رئيسة جمعية شبكة النساء المسلمات في بريطانيا، إلى فتح باب النقاش والجدل الداخلي بشأن الحجاب بين مسلمي بريطانيا، مشيرة إلى أن هناك حاجة إلى البحث في موضوع الحجاب عموما على نحو يبتعد تماما عن النزعة العنصرية.

لكنها أعربت عن قلقها من احتمال ان يستخدم السياسيون هذه القضية كأداة في حملات الانتخابات العامة المقبلة.

وتشير جوهر إلى أن المسلمين صاروا تدريجيا تحت الضوء، وأن حزب الاستقلال والحزب القومي يلعبان على حبل الكراهية للمسلمين، وأن هناك قلقا حقيقيا في أن تستخدم قضية الحجاب كأداة في الانتخابات، لكن هذا لا يعني استنساخ ما يفعله الفرنسيون.

وكان جاك سترو، وزير الخارجية البريطاني السابق، قد أغضب جماعات إسلامية في عام 2006 عندما قال ان ارتداء النقاب أو البرقع أو الحجاب «بيان واضح للتفرقة والاختلاف» ويرى ان هذا من شأنه تعقيد العلاقات الاجتماعية في البلاد.

وقد اعتبر الزعيم السابق لحزب الاستقلال البريطاني نايجل فاراج، أن الحجاب بأنواعه رمز من رموز الانقسام الاجتماعي في البلاد، وأنه قمع للمرأة، ويمكن أن يكون تهديدا أمنيا، داعيا إلى منعه بالكامل.

أما الحزب القومي البريطاني فقد دعا بالفعل إلى منع الحجاب بكل أنواعه في المدارس البريطانية.

وقالت صحيفة «صنداي تايمز» البريطانية، إن مفتشين حكوميين سيستجوبون التلميذات اللاتي يرتدين الحجاب في المدارس الإبتدائية، وسط قلق من أن تكون الفتيات البالغات من العمر أربعة أعوام مجبرات على ارتدائه.

وأضافت الصحيفة، في تقرير نشرته مؤخرا، أن أماندا سبيلمان، كبيرة المفتشين في المدارس البريطانية، أعلنت هذه الخطوة التي وصفتها الصحيفة بـ«المثيرة للجدل» وستكون هذه المرة الأولى التي يتم فيها تحدي التنامي المتزايد لارتداء الحجاب رسميا في الفصول الدراسية في المدارس الحكومية في البلاد.

وقالت سبيلمان، في بيان صادر عنها مؤخرا، إن الحجاب في المدارس الإبتدائية يمكن النظر إليه على أنه يضفي طابعا جنسيا على الأطفال، لأن الحجاب يتم ارتداؤه تقليديا كعلامة على التواضع أمام الرجال، عندما تصل الفتيات المسلمات إلى سن البلوغ.

ولكن الصحيفة تلفت إلى أن تلك النسب قليلة جدا في المناطق ذات الجالية الكبيرة من المسلمين، حيث تحدثت عن 6 في المئة من أصل 77 مدرسة في ليستر، وثمانية مدارس من أصل 133 في مانشستر (6 في المئة).

وقد ظهرت بعض ردود الأفعال المؤيدة والرافضة من بينها موقف النائبة السابقة عن حزب العمال في البرلمان أمينة لون، وهي مسلمة، تقول إن الحجاب في النص الإسلامي يُفهم على أنه للمسلمات حين يصبحن في سن البلوغ. مضيفة أن عددا قليلا من المسلمين يدعون إلى أن ترتدي القاصرات زي الحجاب. أما رئيس أسقفية لضغوط من الأهالي أو رجال الدين لتغيير أنظمة الزي المدرسي.

وأشارت دراسة للصحيفة إلى أن حوالي 20% من الـ800 مدرسة ابتدائية (18في المئة) بما فيها مدارس الكنيسة، التي تمت دراستها في 11 منطقة في إنكلترا، تدرج الحجاب ضمن سياسة الزي المدرسي المسموح به.

وبالأرقام أيضا، فإن 46 في المئة من أصل 72 مدرسة ابتدائية في برمنغهام تم رصد مواقعها الإلكترونية تذكر الحجاب بوصفه زيا مسموحا به، وتبلغ النسبة 34 في المئة لـ68 مدرسة في تاور هاملیتس، و36 في المئة في لوتن.

مدرسة الخير البريطانية

ترد أن تنشأ بناتها على تعاليم الإسلام الصحيح وأن تدخّل «أوفستيد» من خلال استجواب المسلمات في المدارس سوف يؤثر على علاقة البنات بأهلهن وسيعيق تربية الأهل لهن على الطريقة التي يرونها مناسبة لتنشئتهن. يريدون تغيير معتقدات الناس على طريقتهم للأسف وهذا ينافي احترام الحريات الدينية التي تتباهى بها المملكة المتحدة.

لكن حنيف من جانب آخر ترى انه بالرغم من ضرورة احترام معتقدات الآخرين إلا ان لبس الحجاب لا يجب ان يكون في سن مبكرة جدا، من الأربع أو الخمس سنوات، خاصة ان تعاليم الدين الإسلامي تشير إلى ان ارتداء الحجاب يفضّل عند البلوغ، معتبرة أن هذا القرار لو نفذ سوف يزيد من شدة الاحتقان في المجتمع البريطاني الذي بدأ يتأثر بكل رموز الإسلام والانطباع السائد انها رموز مرتبطة بالإرهاب. وتشير إلى انه من الضروري التحرك كمؤسسات إسلامية في بريطانية على دعم الفتيات المسلمات في حرية الاختيار دون الخوف من أي إجراءات تعسفية أو الانتقال إلى مدارس إسلامية لضمان الالتزام بالمعتقد.

سياسة الزي المدرسي المسموح به

وورد في دراسة أجرتها صحيفة «صنداي تايمز» البريطانية حول إدراج الحجاب كجزء من الزي المدرسي في بعض المدارس البريطانية، أن الآلاف من المدارس الابتدائية الحكومية في بريطانيا تسمح للفتيات في عمر خمس سنوات أن يرتدين الحجاب، وهو ما أثار قلق البعض من أكاديميين وأساقفة وناشطين.

وتنقل الصحيفة عن مكتب «أوفستيد» المسؤول عن شؤون الأطفال في وزارة التربية، قوله إن ثمة «قلقا متزايدا» بشأن هذا التوجه، مؤكدا أن المفتشين يحققون في ما إذا كان الأساتذة يتعرضون

كتب

مجموعة الشاعر الفلسطيني عمر شبانة: «سيرة لأبناء الورد»:

المفرد حقل أمام تجليات مراياه

المثنى الشيخ عطية

في مجموعته الشعرية الجديدة «سيرة لأبناء الورد»، وهي الخامسة، لا يخدع الشاعر الفلسطيني عمر شبانة ـ بهذا العنوان الذي يوحي بالجماعية، ولا بإهداء المجموعة «إلى أحفاد عروة بن الورد» ـ قارئَه الذي تمر عليه جميع قصائدها تقريباً بصيغة حديث الشاعر عن نفسه، أو مخاطبتها أمام مرآته. فالشعر في طبيعته، إن كان شعراً، كما هو شعر شبانة، أن يكون الكون في المفرد، وأن يرى الشاعر في إيقاع غيابات ذاتـه، ويسمع في حضور صورهـا، حيث تتبادل الحواس صراخ نشوة تلاقحها، الكونَ متفجراً ومتمدداً فيه إلى ما لا نهايات العوالم. والشعراء هم هكذا، وهكذا خُلقوا، أو ركّبتهم الطبيعة محظوظين أو معذبين بمنحهم حبّ أَسْر الغاوين بما «لا يفعلون».

من خلال ست قصائد، يكسر رتابة طولها ويُغْني موسيقاها تقسيمُها إلى مقاطع بعناوين أو بأرقام، يصيغ شبانة بالشعر ما حاول تلخيصه في إهدائه النثري: «الحياة، الحرية، الحب، والجمال»، كأجداد وآباء وأمهات وأبناء لرمز مختار بدقة ومعبر عن قيم مروءة الأسلاف. ويُلْحظ أثره في بعض قصائد المجموعة، من دون ذكر اسمه، عروة بن الورد، الأب الحامي للفقراء، والضعفاء، والشعراء الصعاليك الذين يخبئون في قلوبهم أسرار التوق والانعتاق من أسر أشكال القسْر، ويبثونها في الناس عدلاً ورحمة وتعاطفاً وشغفاً إلى عيش الجمال والحب والخير.

ويفعل ذلك دون أن يتخلى في تطوير غنائيات تفعيلاته عن ضرورة التجريب لكسر الرتابة، في بعض المقاطع، وذلك بمحاولته الارتقاء بالإيقاع إلى موسيقى القصيدة الخاصة بها. ولنشهد كمثال هذا التنسيق للتفعيلة، ومدها نثراً مفعلاً، لكن أيضاً، مع الخروج بجراح هذا التجريب، التي تختلف الآراء حول بعض تفصيلاتها، مثل أن يتم تسكين نهاية شطر من دون أن يشمل التسكين جميع الأشطر المترافقة:

«في غابة الأسماء
كانَ الأنبياء، والصَعاليكُ،
وتاريخ من الدماء حارقٌ،
وكان ثمة السيد والعبيدُ،
كان الماء من زمزم والنبيذُ،
كل واحد يقودني في غابة،
وكل غابة تأخذني، من أذنّي نحو غابة،
تدور بي كأس هنا،
وموجة من البكاء في الكأس،
كأنني هناك
وبين كأسين من الجنونِ
والصلاة في المعابدْ
ما بين قلبي واقفاً
أو راكعاً أو ساجداً
في عتمة كأنها جزيرة الهلاك»...

كما يفعل الشاعر ذلك، شكلاً بأسلوب حديثه عن نفسه، ومضموناً بما هي تكوينٌ يعود في امتداده ماضياً إلى حضارة الأسلاف، وحاضراً إلى واقعها ضمن مجموع مقهور، ومستقبلاً إلى حلمها بأن تكون ولوداً يضمه صدر أم كوني. وينجح الشاعر في الارتقاء بهذا الحديث إلى تلوينه بمدى شاسع ثري من التمثل والمغايرة والمخالفة، سواء في البحثُ والأكتشاف والتحديد لاسم الذات كوجود حر في قصيدة: «اسمي الذي يليق بي»: «كتبت اسمي على الألـواح: موسى ــ ثم في الإنجيل عيسى ـ ثم في القرآن أحمد ـ ثم من طين ومن ماء ونار»؛ أو في تلمس حضن الذات في الآخر، كآلهة أمومية هي عشتار، في قصيدة: «وأريد هذا الثوب بيتاً»: «في ثوبها ـ أمي ـ وجداتي ـ إلهتيَ الوحيدة... عشتروتُ ـ في ثوبها ـ أنا كائن من ياسمينٍ ـ وابن نعناع ـ وجذرٌ لا يموت»؛ أو في امتزاج الكائنَين، وتوحدهمَا في القبلة كحياة وجنات، في قصيدة «القبلات»: «والقبلات سهول وحكايات وسنابل»... «قبلاتنا جناتنا في الأرض»؛ أو في ولاداته الآنفات، واللاحقات والمشتهيات في قصيدة: «الولادة والملاذ»، كميلاد لا ينتهي في قصيدة «ندم»: «في كل ميلادٍ ـ أراني طائراً ـ والأفق تحتي أمتطيهِ ـ أطير في أوتاره رقصاً ـ أنا الفينيق أنفخ في دمي، ـ من روح أسلافي لأولد من رمادي».

وبين كل هذا الثراء: شكلاً في تنوع التفعيلات ضمن القصيدة الواحدة، ومضموناً في تجسد الذات بأشكال الحياة (حقولاً وأزهاراً وفراشات وأمطاراً وتموجات خصب)، وبأنبياء الديانات الثلاث، وشعراء التاريخ العربي؛ فإنه يُلحظ بقوة إصرار الشاعر على العطاء والانحياز للبسطاء والمنتجين والضعفاء: «أنا الفلاح، فلاح يروح من حقول صاغها الأسلاف من أرواحهم»... «أنا المبعوث في أمم الرعاة».

كما يلحظ استخدامه لأبيات شهيرة في تراث الشعر العربي، جرت أمثالاً في الذاكرة الجمعية، واستخدام أسماء شعرائها، ليس إغناء لقصيدته فحسب، بل معارضة للقيم القبلية الأنانية الضيقة بقيم الأثرة وحقوق الإنسان:

«أحتاج ثوبكِ يا.. أنا
احتاجني،
لأقول إني لم أكن يوماً
شربت الماء صفواً
لست ممن قالَ:
يشرب غيرنا كدراً وطينا..
لا، فلست أنا الذي..
إني الذي من عينه يسقي العطاشَ
ومن حقول يديه يطعم جائع الطرقات.. ليلا».

وتمتد هذه المعارضة إلى مجمل التراث والمعتقدات وبالأخص ما يتعلق منها بالنظر إلى المرأة وتكوينها بالنسبة للرجل:

«لا.. يا امرأةْ
أنا لست آدمك الذي من ضلعه تأتينْ
أنا من سيولد من ضلوعكْ
واكون حقلاً من حقولكْ
أو نجمةً في ليل قلبكْ
وأظل طفلك، في سريرك، أشتهيكِ
لأكون آخر معجزات الرب فيكِ»...

ولأن المجموعات الشعرية كثيراً ما تُظلم في القراءات المبتسرة لها، بسبب سعة وعمق ومدى ما تخلقه إيقاعات الشعر وجمله وتراكيبه، فإن من الصحيح حقيقةً توجيه القارئ إلى عيش قراءته الخاصة لهذه المجموعة المفتوحة قصائدها على التنوع الموسيقي وعلى الجمال والحب والولادة والبساطة والخير، والختام بما يفتح القلب على الأمل:

«القلب.. هذا الطفلُ
يولد من جديد كل حينْ
القلب يخرج كل يوم للعملْ
وبلا ملل
يجري هنا وهناكَ
بحثا عن أمل».

عمر شبانة: «سيرة لأبناء الورد»
الأهلية، عمّان 2017
151 صفحة.

المغربية زهرة زيراوي في «الفردوس البعيد»:

الرواية الوحيدة وطموح قول كل التجربة

محمد معتصم

من نافل القول الحديث الآن عن زيادة اهتمام الكتاب والقراء والنقاد والباحثين بالمتخيل السـردي الروائـي، خاصة بعد انفتاح خطابه على كل الأنـواع السردية المجـاورة والخطابات غير الأدبية، استنادا إلـى مفاهيم نـقـديـة أسـاسـيـة كـالآتـي: الانسـجـام والـتـرابـط بـين المحكي الإطـار والمحكيات السردية المكملة والتي تقوم بتوسيع آفاق المتخيل لدعم موقف أو مقصد عام أو متبنًى في السرد يروم السارد التركيزَ عليّه واتخاذه محورا لعمله التخييلي. إن الـروايـة الحديثة والمـعـاصـرة جعلت من التنوع الخطابي وتداخل الأنواع والتضمين وتجـاور الأشكال خاصية من خاصياتها المميزة، التي بواسطتها يمكن ضم وتصنيف وتنضيد الخطابات في خطاب واحد شامل، وهو: السرد الروائي.

والـروايـة الوحيدة «الـفـردوس البعيد» للكاتبة المغربية المرحومة زهرة زيراوي، بعد عدد من المجموعات القصصية والشعرية، تعد نموذجا للرواية التي تنوي كاتبتها قول كل شيء؛ تريد كتابة سيرة روائية لشخصية «نجمة» تروي فيها معاناتها الاجتماعية والأسرية، وتحتفل بالزمن الجميل الذي تفتحت فيه مشاعرها وعاطفتها عندما كانت تلميذة وأحبت زميلها في الصف «عبدو» والذي يحيل إليه عنوان الرواية «الفردوس البعيد»: «تعجب للزمن وهـو يجمع يد حفيدتها نور إلى يد جاد، ويقفان معا أمام بورتريه عبدو، الـذي أحبته يوما في ذلك العالم الفردوس البعيد. وتريد أن تسجل موقفها من السياسات المدنية والثقافية المتعاقبة بعد الاستقلال حتى اليوم لتحملها مسؤولية الأحـوال المـتـردية والمـتـأزمة اجتماعيا وأخلاقيا التي تثقل كاهل المواطنين اليوم، وتحول فردوسهم إلى جحيم.

وتريد أساسا أن تقوم برد الاعتبار للذات والانتقام من هؤلاء الفاسدين الذين ضيقوا آفـاق الأجيال ليوسعوا أشـداق أفواههم وبطونهم النهمة والشرهة، ومحو وجودهم وتذويبه في التعبير الفني والصباغي: تماما كفريدا كالو، ومع ذلك انتصرت الفرشاة، الآن أن التهجير قد انتهى. لقد علمتها العزلة وعلمها أحمد والزمان، كيف تمحو. «ليس المحو من أجل النسيان، إنه محو ما يوجع لرسم حياة قادمة، محو لا تتنكر فيه لأناس التقتهم يوما ما على رصيف الحياة».

رغم أن السرد جاء بصيغة الغائبة (هي) إلا أن روح السرد ظلت قريبة من السيرة الروائية للشخصية الروائية «نجمة»، يدل عليه التتبع الخطي لحياة الشخصية منذ الطفولة حتى التقاعد ودخول نجمة عقدها السابع:

ا- الطفولة: لقد تميـزت طفولة نجمة بالإبعاد والإقصاء لفترة ليست بالقصيرة خارج فضاء الأسرة ودفئها، مدة في بيت «دادا حليمة» في وسط فقير وبيت معتم وعـادات مختلفة، ثـم المـخـاوف فـي بين «خـدوج»، قبل العودة إلى الأسـرة. تتسم فترة الطفولة بجرح عميق في نفسية نجمة، ظل المحرك الأساس للسرد؛ إنه «التهجير» والإبـعـاد والاقـتـلاع:» فجأة اقتلعوها من حليمة. لا تعرف ما السبب؟»، فتشكل في نفس وذهن الشخصية نجمة مركب نقص تم التعبير عنه في المتن القصصي بالخوف والتبول والشعور القاهر بالنقص والخجل. يقول السارد: «كانت ترى الغول فعلا، تراه وترى ظله الذي يعكسه ضوء الفتيل الزيتي على الجـدار المتآكل، وتـراه ينتصب على كل جدار. تغمض عينيها وتضع رأسها في صدر دادا حليمة، وتنام محشوة بالرعب، وقد نفذت بـرودة إلى كل عظامها. «حتى اليوم لا تعرف أبدا لماذا أعطتها أمها لدادا حليمة وهي في عامها الثاني؛ هل يولد بعض الأطفال بإدانة ما؟».

2.المراهقة: تميزت بالجد والاجتهاد ونمو شجرة الحب، وهي الفترة التي سميت بها الرواية وظلت الملجأ الذي تحتمي فيه الذات من العراء الروحي أمام تبدل القيم وانحدارها السياسية، وتقدم العمر، إن شجرة الحب الأول (نجمة وعبدو) والثاني (نجمة وأحمد الشاعر) هي الشجرة الوارفة المخضرة على مدار العمر، تظلل الذات من حماة الهجير السياسي والثقافي والاجتماعي.

يقول الـسـارد: «تستعيد ماضيها كله، تعرف أنها أحبت قبله عبدو، عبدو كان المنقذ الذي أنقذ حياتها من الجذب الموحش، أحست معه أن الحياة تتسع لها وتدعوها لتعيش، فلماذا استبدلته إذن بأحمد؟». هي لم تستبدله. «الحياة رممت قلبها بأحمد، هو ترميم لما تساقط من الذات. لم تكن تفكر وهي على مقاعد الدراسة، سوى بمارجريت دوراس، أو ماريا كوري، أو الملك الضليل أو شكسبير. تريد منهم العدوى، فالتقت بعبدو».

الحب العفوي الـصـادق الجـارف وإن فشل في التحقق في الزواج بفعل الاختلاف الاجتماعي والتفاوت الطبقي أو قسوة منطق الحياة وتقاطع طرقها وتنافر المصائر رغم توافق العواطف والرغبات، يظل الكهف البعيد في قمة الجبل حيث تلوذ الذات بذاتها وتؤوب إلى جوهرها الملتهب تستدفئ به. في هذا الكهف كتبت زيـراوي بصدق عما تؤمن به، فجاء الخطاب الـسـردي مليئا بالتضمينات والاستشهادات التي اتخذت وظائف متعددة ومتنوعة أضفت على السرد الروائي أبعادا كثيرة وامتدادات منها:

لقد استخدمت الكاتبة التضمين النصي ليقوم بوظيفة توسيع المحكي السردي الإطار: (سيرة نجمة).

واستخدمته ليؤدي وظيفة التعدد النصي وتداخل الخطابات خاصة غير السردية، من قبيل النصوص الشعرية الفصيحة والمحكية (الزجل)، وكذلك النص المسرحي في الفصل المعنون «مسرحية إننا نسينا البارحة»، ص 255–258.

واستخدمته لـيـؤدي وظيفة التقابل المـرآوي، ليعسر المـاضـي الـحـاضـر، في اسـتـحـضـارهـا قـصـة المـعـتـمـد بـن عباد وسجنه بأغمات وبكائه المر الـذي لا يفيد فـي اسـتـرجـاع ملك ضيَّعهُ وأضـاع معه تاريخا حافلا بالانتصار والمنجزات العلمية والعمرانية، وهل يعيد البكاء قطار الأمة على قضبان الحضارة والتقدم العلمي والعيش الكريم، والوحدة والوئام. إنها وقفة تذكر بوقوف نيرون متأملا خساراته التي تلتهمها النار. في هذا التقابل المرآوي تتجلى سقطة الحضارات والأمم.

ولقد استخدمت الكاتبة التضمين في رواياتها ليقوم بوظيفة تعميم حالة إنسانية أو اجتماعية، لتتحول الحالة المروية والتي تم التركيز عليها إلى نموذج اختزالي لحالات مماثلة منفية أوتم تجاهلها، من قبيل الحي الخلفي الذي ولد فيه وترعرع أحمد الشاعر (أحياء الصفيح). إنها الأحياء الخلفية التي تتبرأ منها المدينة الكبيرة، ولكن لكي تتخلص منها لا تقـوم باتخاذ الـقـرارات الجـادة والمجدية، بل تنزع نحو الأيسر والمهين: رفع الأسـوار الإسمنتية أعلى وغرس الأشجار لإخفاء الوجه المقترح للمدينة أمـام أنظار الوجاهات والواجهات الاجتماعية.

واستخدمت التضمين كذلك لتعضيد فكرة أو إسقاط حالة إبداعية على حالة إبداعية أخـرى، عندما تستحضر شخصية فريدا كالو أو مارغريت دوراس»، أو شخصية إيما بوفاري «المتخيلة»: «اتجهت نحو المكتبة تبحث عن فلوبير صديقها هذه الليلة، سلت من الرف مدام بوفاري، تعرف أنها أدمنت قـراءة الرواية، توقفت عند الصفحة تردد وهي تبتسم: أما إيما فلم تسائل نفسها قط عما إذا كانت تحبه، فهي تعتقد أن الحب يفد فجأة مصحوبا ببرق...كما لو كان عاصفة تنقض من السماء على الأرض، فتقلب كيانها وتنزع الإرادات انتزاعا لأوراق الشجر، وتجرف القلب، ولم تفطن إلى أن المطر يحيل الشرفات بحيرات إذا كانت المـيـازيب مغلقة، وهكذا ظلت مطمئنة، حتى اكتشفت فجأة صدعا في الجدار، جدار قلبها».

استحضار إيما بوفاري وعبر تحديد معنى الحب، الحب العاصفة التي لا تهتم بما قبلها أو بعدها، جاء في سياق تبرير حب نجمة لأحمد الشاعر، بعد حب استغرق الذات لمدة طويلة كان عنوانه «عبدو» زميل الدراسة وأول حب مدرسي، فكيف يأتي حب ليركب حبا سابقا أو يمحو آثـاره أو يرافقه في السكن (القلب) جوارا سلميا حضاريا.

وقد استخدمت الكاتبة التضمين النصي عبر بعد وامتداد آخرين تمثلا في إبراز ثقافة الساردِ أو الكاتبة الموضوعية والإحالة على مرجعياتها الفكرية ومحددات مواقفها من موضوعات محورية في الحياة قبل النص؛ كالحب والـزواج والدين والله، والسياسة والفقر، والترف والإسراف الخلقي، والفن والجمال...

ثم استخدمت الكاتبة التضمين النصي كعتبات نصية لفصول الـروايـة بوظائف متعددة منها إضـاءة الفصل أو اختزال موضوعة الفصل أو الإحـالـة على حالة مماثلة سابقة واقعية أو متخيلة.

كتبت زيـراوي روايتها الوحيدة، كتبت فيها كل شيء، ذاتها والذوات التي رافقتها في مسيرة العمر، ذوات حقيقية وأخرى متخيلة، وقدمت للحياة خلاصات شخصية غير مستنسخة ولا مستخرجة من المتون وحيوات الآخرين، خلاصات مجربة وذاتية، حـول الحـب والـديـن والسياسة والأدب والكتابة والرسم (الصّباغة)، وعن التدريس والفلسفة وتنافر أو تعايش أو تفاعل الأجيال.

زهرة زيراوي: «الفردوس البعيد»
منشورات دار العين، القاهرة 2016
292 صفحة.

المقال

بلال فضل

سطوة اللحظة الراهنة

خالد علي

سأفترض أنك لست راضياً عن الواقع الذي تعيشه، وأنك إن لم تكن من الساعين لتغييره، فأنت على الأقل تتمنى تغييره، ولذلك فقط أسألك: هل ترى سبيلاً إلى تحقيق أي تغيير، طالما ظللنا نُسلم أنفسنا لسطوة اللحظة الراهنة؟ لاحظ من فضلك أنني قلت «نُسلم أنفسنا»، لأفرق بين من يمتلكون لأسباب متعددة خيار عدم الاستسلام الكامل لها، وبين الذين لا يملكون سوى الاستسلام لها، لتقليل خسائرها واحتواء تداعياتها، كأن تكون مثلاً قريباً لمعتقل أو مختف قسرياً، أو يكون كل ما يشغلك هو الإفلات من الخوازيق اليومية المنتشرة في جنبات البلاد وزخائقها.

دعني أشرح فكرتي أكثر بهذا المثل: منذ أيام نشبت مشادة بين صديقين على الفيسبوك، بعد أن كتب أحدهما رأياً عن أهمية الاشتراك في الانتخابات، ولو كان ذلك في ظل الحكم العسكري، مستشهداً على عجالة ببعض تجارب دول أمريكا اللاتينية كالبرازيل وتشيلي، ومع أن رأيه لم يكن فيه جديد مبهر، إلا إنه على ما يبدو داس على «كالو» ملتهب في نفسية صديقنا الآخر الذي علق ساخطاً: «هو ربنا مش هيتوب علينا من العَبط، البلد بتغرق وإنت تقولّي البرازيل وتشيلي، فوقوا بقى من الغيبوبة دي»، ليرد الأول بقسوة مماثلة، ويطلب منه التوقف عن متابعته أو حذفه إذا كان كلامه يزعجه، فيرد الآخر بأن هذه فكرة وجيهة تأخرت ووجب تنفيذها، لتبدأ مجهودات أولاد الحلال لنزع فتيل الأزمة، التي لعلك تعاصر مثلها كثيراً، بعد أن أحكمت السلطات الأمنية منافذ المجال العام بالضبّة والمفتاح، فلم يعد للناس إلا الفضفضة - ولا أقول البهبهة - عبر حساباتهم الشخصية، حتى يجد الرئيس عبد الفتاح الكوري الشمالي وأتباعه صرفة فيها.

لاحظ أن طرفي هذه الأزمة لم يختلفا في رفضهما للواقع المرير، بل لأن أحدهما يرى أن اللحظة الراهنة بكل كآبتها ودمويتها، لا تحتمل أي نظر إلى خارجها، ولو كان ذلك من باب التفكير والحلم، ولذلك كان سيتفاهل بحرارة مع صديقه، لو كتب يلعن التسييس في أحكام الإعدام التي لم يسبق أن شهدت مصر مثيلاً لجنونها، أو نشر شكوى أسرة معتقل أو رسالة مهاجر مأزوم، أما الآخر فيرى أن إدراكنا لكل هذه المآسي والكوارث، يجب أن يدفعنا إلى قراءة تجارب شبيهة في قسوتها وجنونها، لعلنا نستفيد منها بأي شكل، بدلاً من حالة الاستسلام الكامل للواقع، وانتظار وقوع معجزة تغيِّره، أو كارثة تسرّع خطى مواجهته.

سترى تنويعات على هذه الأزمة، حين تتابع أخبار حملة الحقوقي البارز خالد علي الساعية للمشاركة في الانتخابات الرئاسية المقبلة، وما تثيره من جدل حاد عما إذا كان ذلك سيجعله محللاً للسيسي في مسرحية معدة سلفاً، كما حدث في انتخابات 2014 الهزلية، أو ما إذا كان ذلك السبيل الوحيد المتاح لتنظيم جهود الراغبين في التغيير. طيب، هل يمكن أن أستكثر الغضب الموجه ضد قرار المشاركة، حين يصدر ممن يرى كيف يُعدم العشرات بعد أحكام متعجلة مستندة لاعترافات منتزعة بالتعذيب، أو ممن يدرك كيف تُدار المحاكم والجلسات البرلمانية والبرامج بتليفونات ضباط الأجهزة السيادية، خاصة وقد أصبح كل يوم يحمل للناس نبأ مصيبة جديدة تحل على من يعرفونه، أو تذكرهم بما يمكن أن يكونوا هدفاً له من تنكيل وإهدار للحقوق؟

لكن، مع ذلك كله، هل يمكن أن تستهين بشجاعة من يدرك ذلك كله، ثم يقرر أنه لن يكتفي بالسخط أو الفرجة، بل سيتخذ من الاشتراك في حملة خالد علي الرئاسية، سبيلاً للمشاركة السياسية التي ثبت أن غيابها جنى الكثير على ثورة يناير/كانون الثاني، وإذا كان من الممكن أن يتعرض المواطن للسجن، لمجرد أنه كتب رأياً على الفيسبوك، أو لم يعجب ضابط بشكله في ميكروباص، فلماذا لا يستغل أي مساحة متاحة للحركة ليساهم في التغيير، خاصة أن ما ارتكبه نظام السيسي من كوارث وإخفاقات، يعطي فرصة لوجود قدر من التعبئة السياسية، يمكن أن يتم البناء عليه مستقبلاً، كما فعل الذين تحركوا ضد الأنظمة العسكرية الدموية في أمريكا اللاتينية، والذين استشهد بهم صديقنا إياه.

طيب، ما الذي يضمن غشومية السلطة، التي كلما شعرت بالتوتر عقب كارثة أو أزمة، زادت حدّة «تلويشها» في البطش، لأنها تتصور أن إسقاط نظام مبارك بدأ من سلالم نقابة الصحافيين التي كانت مثاراً للسخرية والتأليس، قبل أن يتضح لاحقاً خطورتها، فتجعلها سلطة السيسي من الكبائر الموجبة للعقاب الفوري، لكي لا تتسع منافذ الحركة في الشارع، فتجذب إليها الساخطين من الفقر والغلاء والظلم، ومع أن قمع هذه التحركات لن يكون مستحيلاً على سلطة قتلت المئات في يوم بمباركة شعبية، لكن آثارها في النهاية ستكون سلبية على النظام الذي يكتسب شرعيته لدى القوى المانحة و«الظارفة»، من كونه المسيطر على البلاد والساكم للعباد، لذلك ربما كان يسمح الآن لخالد علي وأنصاره بحركة محدودة في نطاقات آمنة، فإذا رأى أن حركتهم تعدت النطاقات المتخيلة، فإن خالد لن يكون أكثر استعصاء على التحجيم والتهديد والتشويه من شفيق وسامي وقنصوة وجنينة وأنور وما يُستجد، لذلك تترقب سلطة السيسي نتائج حركة جمع التوكيلات لخالد علي، إذ لربما فشلت، فأعطت النظام «بُنطاً» سهلاً يواصل به العربدة الأمنية والقضائية والإعلامية، أما إذا أنذرت بحركة شعبية مقلقة، سيكون عليه أن يحسم خيار التعامل معها، إما بالقمع الفوري المسنود بأحكام القضاة وبلاغات المحامين وسعار المذيعين، أو بالتحجيم «الغتيت» المدعوم بالتزوير، لتكرار سيناريو 2014، بأرقام أعلى أو أدنى، حسب حصافة «الشيف» الذي سيتم اختياره لإدارة الطبخة النهائية.

لكن، هل لدى أعضاء حملة خالد علي الرئاسية حل آخر، سوى المضي في المسارات التي يتيحها الواقع، ليس بهدف إسقاط السيسي عبر الصندوق من أول جولة، فذلك وهمٌ أعفي جميع العاقلين منه، بل بهدف بناء حركة سياسية غير كرتونية وغير مصنوعة في دهاليز الأمن، لن يُشكلها إلا خوض التجربة التي ستكون مريرة ودامية، لأن صراعها لن يكون فقط مع السيسي والمنتفعين بنظامه، بل سيكون أيضاً مع الكارهين في المنطقة لكل ما تمثله مطالب العيش والحرية والعدالة الاجتماعية، وسيكون أيضاً مع المحبطين الذين وقعوا تحت سطوة اللحظة الراهنة، ومن يمكن أن يلومهم على ذلك، خصوصاً إذا كان في مأمن من بطشها المباشر، وسيكون أيضاً مع من بقي خارج السجون من أنصار جماعة الإخوان، إما «المهيبرين» منهم المشغولين بالبحث عن انتصارات سهلة على صفحات الإنترنت، أو «الراكزين» الذين يوقنون أن استمرار نظام السيسي في بطشه، يكتب بالضرورة للجماعة عمراً كما حدث من قبل، لتستمر ثنائية العسكر والإخوان التي تدفع مصر ثمنها غالياً منذ أكثر من ستة عقود.

في ظني أن مشكلة حملة خالد علي لن تكون مع كل هؤلاء فقط، بل ستكون - في حالة استمرار الحملة وعدم التنكيل الشرس بها - مع المواطن العادي الذي لا يؤيد السيسي حباً فيه، بل خوفاً من مغبة رحيله. المواطن الذي قد يتعاطف مع من يحملون تجربة كفاح مشرفة مثل خالد، لكنه لا يثق فيهم بالضرورة كحكام، بل يفضل عليهم وهم الخبازُ المجرب وإن سرق نصف الرغيف، الذي يشتاق إلى التغيير لكنه ليس مستعداً لأن يروح هو وعياله «فطيس» من أجله، خاصة بعد أن رأى كيف تواطأ اللواءات والقضاة والإعلاميون ورجال الأعمال على دماء وحريات الذين حلموا بالتغيير. والسؤال الأهم هنا: هل ستنجح حملة خالد علي في تطوير خطاب قوي وعقلاني في الوقت نفسه، يجعل من أمثال هذا المواطن ظهيره الأقوى، إن لم يكن في هذه الانتخابات ففي التي تليها والتي تليها، فتنشأ بخالد وبأسماء تشابهه، تجارب سياسية مدنية كالتي نشأت في بلاد كانت تعاني من بشاعة الحكم العسكري، فأصبحت في مكان أفضل بكثير مما كانت عليه قبل عقد وعقدين من الزمان؟.

ولعلك تتفق معي أن أي إجابات على هذا السؤال التراجيدي، لن تكون مقترنة بالأمل المشرق أو اليأس المطبق أو التفاؤل الأهطل أو التشاؤم المقبض، بل بالاختيار الشخصي المباشر والمشروع، الذي يجعلك تُفضِّل التضحية أو الفرجة أو الدعم أو التنفيض أو التعاطف أو التقطيم أو الاستسلام الطوعي لسطوة اللحظة الراهنة.

كل التقدير والاحترام لأعضاء حملة خالد علي فرداً فرداً، وعسانا لا نقول قريباً: الحرية لخالد علي.

رأي

كاريكاتير: اسامة حجاج

زيد خلدون جميل

شرلوك هولمز وسطوة رموز التراث البريطاني

تعتبر شخصية شرلوك هولمز من الأكثر ارتباطا بالشخصية والتراث البريطانيين والأكثر ظهورا في تاريخ السينما والتلفزيون، فقد مثل دور المحقق العبقري أكثر من سبعين ممثلا وبعضهم من أشهر ممثلي عصرهم مثل بيتر أوتول وكرستوفر بلمر وكان ذلك في أكثر من مئتي فلم، ناهيك عن آلاف العروض المسرحية والتمثيليات الإذاعية وحتى ألعاب الفيديو وتطبيقات أجهزة الهاتف المحمولة. وتخيل الكثيرون من المعجبين شخصية هولمز وكأنه شخصية حقيقية وازدادت المناقشات حول حياته وماضيه وبحث الكثيرون عن منزله استنادا إلى العنوان المذكور في قصصه، ولكنهم عادوا خالي الوفاض لاكتشافهم أنه عنوان خيالي. وكتب الكثيرون قصصا عنه بعد وفاة المؤلف الأصلي فاقت ما كتبه هو نفسه. وهناك جمعيات كثيرة في جميع أنحاء العالم لهولمز وأكبرها في اليابان حيث تضم أكثر من ثمانين ألفا في عضويتها.

ولكن من هو هولمز؟ إنه شخصية خيالية أسست مفهوم المحقق الخاص private detective في الأدب البوليسي وهو نوع من الأدب يحتل مكانة مرموقة من حيث الشعبية على الرغم من أنه لا يعتبر من أنواع الأدب الراقي. وقد اخترع الشخصية الطبيب البريطاني آرثر كونان دويل (1859 - 1930) بعد محاولات أدبية متواضعة ولكن شخصية هولمز حولته إلى أشهر كاتب في بريطانيا في عهده مما شجعه على كتابة أنواع أخرى من الأدب بغزارة. وقد كتب آرثر كونان دويل 56 قصة قصيرة وأربع روايات عن هولمز.

ظهرت شخصية هولمز إلى الوجود للمرة الأولى عام 1887 عندما أخذت مجلة أدبية بريطانية بنشر أول قصة عن المحقق الخاص، على شكل سلسلة. وقد كلفت المجلة رساما مقتدرا لرسم صور تصاحب القصص. وهنا بدأت شهرة الشخصية سريعا ومعها شهرة الكاتب والمجلة نفسها وقد استمر المؤلف في النشر حتى عام 1927.

وأكثر ما اشتهر في شخصية هولمز كانت طريقة عمله والتي اعتمدت على ما سمي بالأسلوب العلمي في حل الجرائم، وكان قاسيا لا يعرف العاطفة أو الحزن أو أي نوع من المشاعر وحتى تجاه أجمل الفتيات، بل أنه يبدي بعض الاحتقار تجاههن. ويمتاز بثقته الكبيرة بنفسه وبأدبه الجم ولكن المؤلف الأصلي كان يغير قليلا في صفاته أحيانا حسب القصة، فهو هاو للملاكمة في إحدى القصص أو ماهر في استعمال السيف أو المسدس في أخرى ولكن العنف لم يكن أبدا من سماته بشكل عام وسلاحه الأساسي كان دائما ذكاءه وملاحظته الدقيقة. وشملت هذه التغييرات الطفيفة مجالات أخرى، فهو مثلا يتكلم الفرنسية ببراعة في إحدى القصص ولكنه يجهلها في قصة أخرى.

وقد تمسك جميع من تناول شخصية هولمز بمظهره المميز، فهو طويل القامة، سريع الحركة ويرتدي دائما القبعة نفسها والمعطف ويدخن الغليون المعقوف. ومع ذلك فإنه ليس شخصية أصلية جدا، فالمحقق ذو الأسلوب العلمي ودقة الملاحظة كان قبل ذلك من صفات الشخصية الخيالية مفتش الشرطة الفرنسي الشهير أوغوست دوبن والذي كان من ثمار مخيلة الكاتب الأمريكي الكبير إدغار آلان بو (1809 - 1849) وظهر إلى الوجود للمرة الأولى عام 1841. ولكن دوبن كان محقق شرطة بينما كان هولمز محققا خاصا، أي مستقلا، ويقدم خدماته لمن يستعين به مقابل أجر، وهو أول محقق خاص في تاريخ الأدب وتكررت هذه المهنة كثيرا لاحقا بالنسبة لشخصيات خيالية أخرى. واقتبس مؤلف قصص هولمز بعض الصفات الأخرى من شخصية خيالية فرنسية أخرى وكانت ذات شعبية في ذلك الوقت. وأما صفات صرامة الشخصية وانعدام إظهار أية عواطف تجاه الآخرين أو حزن وعدم وجود صديق واحد له إلى درجة أنه كان يتفاخر بوحدته وعدم حاجته للآخرين. وكانت هذه الصفات متداولة في أوساط المجتمع البريطاني الأرستقراطي للرجل البريطاني المثالي في ذلك الوقت، ولذلك فقد مثل هولمز الشخصية المتميزة والمثالية حسب مفاهيم العصر. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار النجاح الهائل لقصص هولمز فإن المرء يستطيع أن يستنتج مدى تقبل القارئ البريطاني لهذه الصفات الشخصية. ولكن المؤلف الأصلي لم يتطرق إلى الصفات الأخرى لمظهر هولمز. ولذلك فإن هذه الصفات كان منبعها مصادر أخرى، فقد أتى المعطف والقبعة المميزين من الرسوم التي رسمها الرسام البريطاني في المجلة التي نشرت قصص هولمز. وأما الغليون المعقوف فقد كان من أفكار أول من أشتهر بتمثيل دور هولمز، وهو الممثل الأمريكي وليام جيليت (1853 - 1937) والذي مثل الشخصية أكثر من ألف مرة على المسرح في جميع البلدان الناطقة باللغة الإنكليزية. وقد أختار وليام جيليت الغليون المعقوف لأنه اعتقد أن الغليون العادي سيعيق الجمهور من رؤية وجهه جيدا وهو على خشبة المسرح وأعاد تمثيل الدور في أول فلم عن هولمز، وكان صامتا. وأضاف وليام صفة الأدب الجم واللهجة الإنكليزية الراقية للشخصية والتي لصقت بها حتى الآن.

لقد استمر الإعلام الغربي في إنتاج القصص والأفلام عن هولمز وسخره لخدمة أهداف مختلفة، كما ألصق مقولات بالشخصية أصبحت من أهم ما يتذكره الكثيرون عنها، بينما لم تذكرها على الإطلاق القصص الأصلية عن هذه الشخصية. وانحرفت بعض الأفلام بشكل جذري عن الشخصية، فالممثل الشهير روبرت داوني جونيور في فيلميه الأخيرين قدم شخصية لا تمت بصلة إلى هولمز عن طريق إضفاء جانب عنيف مبالغ به جدا، بل إننا من الممكن أن نستنتج إنه قدم شخصية جديدة تماما. ولا تعرف شخصية هولمز، الزمن فبعض الأفلام والمسلسلات التلفزيونية عن هذه الشخصية تدور أحداثها في زمننا الحاضر.

ولا يمكن تجاهل المتناقضات عن هولمز، فقد كان هو الذي يتباهى بحبه للوحدة وعدم حاجته للآخرين ولكننا نجده يسكن مع صديقه العزيز الدكتور جون واتسن والذي كانت أغلبية القصص بلسانه. ونجد هولمز يعبر عن احتقاره للأماكن التي يجتمع فيها الناس لتناول المخدرات ولكنه في الوقت نفسه كان يتناول المورفين وأحيانا الكوكايين، والذين كان تناولهما مسموحا في بريطانيا في أواخر القرن التاسع عشر.

لقد حاول المؤلف الأصلي أن يجعل شخصية هولمز مميزة ومثيرة. ومن الطرق التي استعملها كانت اختيار اسم فريد لها وهو هولمز، وكان قد اقتبسه من اسم عائلة قديم في إنكلترا. ومما ساعد على شهرة قصص هولمز هو كون الشخصية بريطانية وتبناها الإعلام البريطاني والذي يعد من أقوى أجهزة الإعلام في العالم، فأهم الشخصيات الخيالية في الثقافة الشعبية العالمية هي من مصادر بريطانية مثل جيمس بوند وفرانكنشتاين ودراكيولا وهركيول بوارو وهاري بوتر. ونستطيع القول إن الإعلام البريطاني أسهم بشكل فعال في تحويل شخصيات بريطانية حقيقية إلى أسماء عملاقة في الثقافة العالمية مثل وليام شكسبير وإسحق نيوتن وستيفن هوكنغ وآخرين. فلو أن هؤلاء ظهروا في دول أخرى لكان احتمال اشتهارهم أضعف بكثير. ولا تقل بقية الشعوب غزارة عن الشعب البريطاني في مجال الخيال ولكنها لا تملك ماكينة إعلامية بكفاءة الإعلام البريطاني.

كاتب عراقي

مسلمون من بنغلاديش يحضرون «اجتماع بيشاو» السنوي

احتشد الآلاف من المسلمين في مدينة تونجي، التي تبعد 20 كيلومترا إلى الشمال من دكا عاصمة بنغلاديش أمس الأول للمشاركة في «المؤتمر الإسلامي العالمي» السنوي، وهو ثاني أكبر تجمع إسلامي بعد الحج، وأكبر تجمع دعوي عالمي.

وخلال هذا التجمع المعروف باسم «اجتماع بيشاو»، والذي بدأ كتقليد ديني منذ عام 1966 بمبادرة من جماعة التبليغ والدعوة بهدف حث الناس على اتباع التعاليم الإسلامية في حياتهم اليومية، يؤدي المشاركون الصلاة، ويناقشون قضايا تركز على الأبعاد الروحية للإسلام، وإيجاد سبل كفيلة بنشر قيم الدين الحنيف، وتعزيز السلام في العالم، دون التطرق لأي أمور سياسية.

ويتلو الحاضرون القرآن الكريم طوال أيام المؤتمر، ويستمعون إلى دروس دينية يقدمها جامعيون ومفكرون إسلاميون من مختلف أنحاء العالم.

آداب وفنون

لأن القارئ كاتب ومتلقٍ في آن معاً: وسائط جديدة وآليات قرائية متغيرة

فاطمة كدو

نشر الناقد الأمريكي نيكولاس كار سنة 2008 مقالا بعنوان «هل يجعلنا غوغل أغبياء؟»، خلّف ردود أفعال عديدة، الأمر الذي دفع الكاتب إلى تطوير الفكرة في كتاب صدر سنة 2010. وأساس الفكرة هو مقاربة الوضعية الجديدة للقارئ في تعامله مع الوسائط الجديدة، ومحاولة المقارنة بين وضعيتين لفعل القراءة: وضعية ورقية وأخرى رقمية/ تكنولوجية. الأولى كلاسيكية تمّ التعود عليها منذ سنين خلت، وهي سلسة وطبعة بحكم التجربة القرائية لكل فرد منا، عكس الثانية التي تتطلب مهارات ذهنية وفكرية، وممارسات ودربة. وقد رصد الناقد هذه التحولات القرائية عند كل مبتدئ يخطو خطواته الأولى في عالم القراءة من خلال شاشة الحاسوب، عارضا تجربته الذاتية من خلال الملاحظات التالية:

– عدم القدرة على القراءة بشكل عميق.

– غياب التركيز الذي يبدأ في الثلاثي بعد قراءة صفحتين أو ثلاث.

– فقدان الصبر على متابعة القراءة، والبحث عن عمل شيء آخر غيرها.

– الإحساس بأنه يعمل باستمرار على إعادة دماغه «الطائش»، وبالقوة، إلى النص.

كذلك رأى أن القراءة العميقة التي كانت تأتي بشكل طبيعي مع الكتب الورقية أصبحت تعرف صراعا مع المحمولات التكنولوجية: الأدب الرقمي، المعاجم الرقمية، المكتبات الرقمية، محركات البحث، المدونات إلخ. وكلما استعملنا صفحات الإنترنت كلما كان على المستعمل المقاومة كي تبقى درجة التركيز عالية، لأن الأمر يتعلق بالقراءة من خلال الروابط؛ وأي إفراط في التعامل معها قد يقود إلى التيهان عبر صفحات الشبكة خصوصا بالنسبة للمستعملين الذين لم يبلغوا بعد درجة الاحترافية في العملية القرائية على شاشة الحاسوب، وأخص بالذكر طلبتنا في الجامعات.

إن المسألة لا تتعلق بانطباعات ذاتية فقط، بل إن الأمر يتعدى ذلك، فقد نشرت مجلة «العلم والحياة» ملفا يحمل عنوان «القراءة تتغير وأدمغتنا أيضا»، حيث لاحظ تيبري باكسينو أن القراءة على شاشة الحاسوب تتطلب زيادة في عملية اشتغال الدماغ، بل وطريقة عمل مغايرة؛ واصفا العين وهي تتجول عبر الصفحات بأنها تشبه حركة الفراشات وهي تطير، حيث الهدف هو التقاط المعلومة بسرعة، أما الفهم والتحليل فهو يأتي لاحقا، وعند الحاجة. وهو الأمر الذي يؤشر على القراءة الانتقائية، أي الانتقال من كتلة معلومات إلى أخرى لانتقاء المعلومة والاشتغال عليها لاحقا.

إن الاشتغال على القراءة من خلال شاشة الحاسوب ليست مسألة فردية، بل جماعية تتحمل فيها الدولة من خلال مؤسساتها التعليمية دورا أساسيا من أجل النهوض بالفعل القرائي التخصصي (في مختلف المجالات الأدبية والفكرية)، الذي هو بوابة المعرفة، والتحصيل المعرفي. ولن يحدث ذلك إلا من خلال جدولة مواد تهتم بالتربية القرائية عند الناشئة: «القراءة الورقية» و«القراءة الرقمية» لا انفصال بينهما، كل واحدة تكمل لذاتيته من خلال فضاءات متعددة ومختلفة تعكس اختيارات مرتبطة بموضوع وفكرة الفيديو؛ وتتوزع ما بين أفضية مغلقة وأخرى منفتحة: داخل بهو المنزل، داخل غرفة، داخل سيارة إما متحركة أو متوقفة، داخل مزرعة، حديقة. ولهذه الأوضاع الجسدية داخل هذه الفضاءات مؤشرات ودلالات رمزية، تحضر فيها الذات منفردة معزولة عن أية جماعة، مع بعض الاستثناءات القليلة جدا التي يظهر فيها زوجان يتحدثان بالتناوب أو جماعة مكونة من عدد من الأفراد يتناوب بعضهم في أخذ الكلمة بالنيابة عن باقي المجموعة.

بليز باسكال

الهاتف المحمول، وكذا تقنيات تقديم المرسل هذه الفيديوهات وما يتخللها من إضافات كالموسيقى وبعض الصور مرفوقة بتعليقات، تدخل في نطاق ما سمته شركة آبل بـ«الواقع المعزز»augmented reality، حيث قال تيم كوك المدير التنفيذي لآبل وهو يقارن بين «الواقع الافتراضي» و «الواقع المعزز» : «إن الواقع الافتراضي جميل لكن الواقع المعزز هو المستقبل».

كل هذا يدعونا إلى تبني قراءات مختلفة تدعونا إليها الوسائط الجديدة، فما هي عدتنا، وما هي قدراتنا كقراء على قراءة وسائطية رقمية، ومجتمعاتنا العربية لا زالت تعاني من ضعف في القراءة الورقية، وتفتقد إلى حس قرائي متواتر، وأنظمتنا التعليمية لم تجعل من فعل القراءة الورقية وتقنياتها مادة قائمة الذات ضمن مواد التدريس، ولا تشجع عليها من خلال إغناء مكتبات المدارس والجامعات، وتجديد محتوياتها؛ فما بالك بالقراءة الرقمية، سواء تعلق الأمر بقراءة الإبداعات الرقمية أم بالقراءة في محتويات الوسائط الجديدة؟

البعض يتحدث عن» أزمة قراءة « طارحا إشكاليات متعددة بعضها مرتبط بالأفراد وبعضها مرتبط بالمؤسسات، ولتجاوز بعض من هذه الإشكاليات ظهرت مبادرات تحاول التشجيع على «القراءة»، مثل « شبكة القراءة» في المغرب و«تحدي القراءة» في دولة الإمارات العربية المتحدة، مثلا لا حصرا، وهي مبادرات وجيهة تستحق الثناء. لكننا نعتقد أن الأمر لا يتعلق بـ«أزمة قراءة» بل بـ«أزمة تفكير». هل تحسن أجيالنا الناشئة التفكير في آليات بناء حضارتنا وثقافتنا؟ هل تفكر في طرق الارتقاء بتحصيلها المعرفي، بل هل تعرف ماهي «المعرفة»؟

أشار الفيلسوف الفرنسي وعالم اللاهوت بليز باسكال (1623–1662) إلى أن كل عزتنا تتمثل في التفكير، الذي ينبغي علينا رفع أنفسنا به، وليس بالمكان والزمان اللذين لا يمكننا ملؤهما. بعد ذلك يقرون بقيت عزة باسكال القائمة على التفكير بلا منازع من الثورات الثلاث التي صادفناها آنفا. ربما لا يزال بإمكاننا أن نتمسك بالرأي القائل إن مكانتنا الخاصة في الكون لم تكن في علم الفلك، أو في علم الأحياء، أو في الوضوح العقلي، ولكنها تكمن في قدراتنا العليا على التفكير.

في عام 1645 نشر باسكال «رسالة إهداء» بعنوان « الآلة الحسابية» يصف فيها جهازا حسابيا جديدا كان قد بناه لوالده لمساعدته على التعامل مع الحسابات المرهقة التي تقتضيها وظيفته كمشرف على الضرائب. تمكنت الآلة من تنفيذ العمليات الحسابية الأربع بشكل تام، وهي تعرف اليوم باسم «باسكالينا». التفكير كان التدبر، والتدبر كان الحساب، والحساب كان ممكنا بفضل باسكالينا. لقد غرست بذور الثورة الرابعة، وأعفتنا أجيال باسكالينا التالية ليس فقط من أعمالنا المرهقة ذهنيا، ولكن أيضا من دورنا المحوري باعتبارنا العناصر الذكية الوحيدة في عالم المعلومات.

في هذا الإطار يمكن اعتبار أن مجتمعاتنا العربية تعاني من أزمة تفكير، وبالتالي أزمة في التدبر: تدبر احتياجاتنا، الروحية والمعرفية، والقراءة في هذا الإطار بوابة من ضمن أخرى، ستساعدنا في تدبر حضارتنا وإمكانيات المساهمة في بناء الإنسانية، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن التكنولوجيا قد قلصت الامتدادات الجغرافية، والهدر الزمني. إن التفكير في آليات القراءة داخل الوسائط الجديدة هو تدبر أنماط الحوار والتواصل وكشف تحولات المجتمع على صعيد بنيته الذهنية، وبناء ذاكرة تكنولوجية جماعية، تخدم الأدب والعلوم الإنسانية.

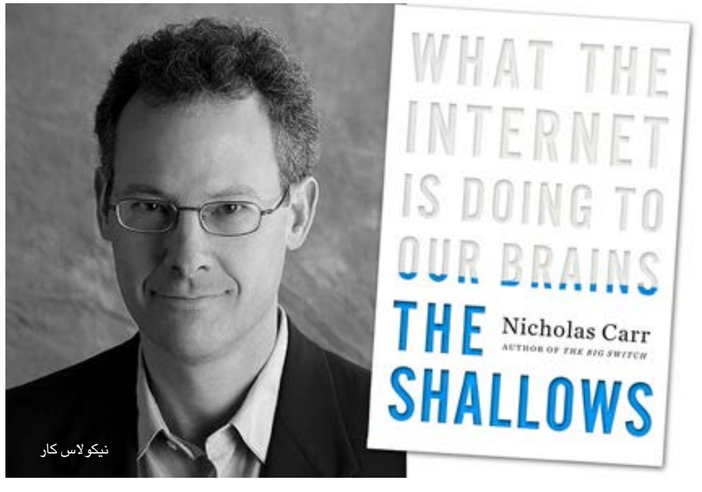

غناء يشبه الضوء المسموع والصمت الصاخب:

نجاة الكبيرة

محمد بودويك

نجاة الصغيرة

صاحبتُ نجاة وما أزالُ، منذ ميعة الصبا، وشرخ الشباب، منذ ارتعش خافقي لنسمة الحب الأولى، وصحا كياني على هتاف الهوى الخَضِل. عشقت نجاة حتى لا مزيد، وَتَيَّمَني صوتها، ودفء طَلّتها وحضورها الباذخ المخملي من دون ادّعاء، وعمقها، وذوبانها كالثلج في كأس شمس وهي تؤدي ما تؤدي من أغان فصيحة أو محكية، من شعر مرهف يليق بها، شعر مغموس في ذوب الرقة، وحلو اللفتة، وبديع الصولة. ومن زجل رفيع يقول روح الإنسان المكلومة، وتوقه إلى الحب والخير والجمال، ويعكس أيضا عذاباته ولواعجه، كما يعكس أفراحه، وأعراس أيامه، وأزاهيره وهي تينع وتصحو وتَضوعُ، ثم تنكمش وتذبل وتُصَوِّحُ.

نجاة الصغيرة، والتي ألبسوها الصفة تمييزا وتفريقا عن المطربة نجاة علي التي كانت - أيامئذ – نائعة الصيت، ونجمة تتلألأ في سماء الأغنية العربية، بدأت كبيرة، وحافظت على صفة الصغر من باب الدلع والصبا والرقة والشباب الدائم الذي كان ينفجر دوما في وقوفها وراء الميكروفون، وفي صوتها الذي استمر بكامل عنفوانه، وفي إحساسها الشعري والغنائي الذي ترجمه أداؤها فادح العذوبة والرخامة والدفء النابع من روح هيمى ظمأى للجمال، ومن صوت نادر ذهبي موهوب، ومعطى، صقلته وفرّدَتْه أكثر بالتجربة والمراس والاجتهاد والذكاء، والحب، حب ما هي فيه من شعر وأداء وموسيقى ينتظرها العطاش هناك. ننتظرها نحن لتخرجنا من صلصال اليومي الرمادي وترفعنا رويدا رويدا، نحو العُلا. نحو سماوات أخرى حيث النجوم الزرق طوع اليد وشعاع القمر كحليب التين الخرافي في حدائق بابل المعلقة، يجري سلسبيلا بين أيدينا.

بدأت نجاة كبيرةً وهي تغني أم كلثوم الكوكب المضيء أبدا، تحاكيها في حضورها الساطع، مؤدية بصوتها الشجي المختلف - وتلك أُعْطِيةٌ سماوية علوية أخرى - أروع ما غنت كوكب الشرق. في حوض الذهب هذا، وحديقة التفاح الغضي، والأشجار السندسية استشعرت سطوة «السِّتّ»، هذه، نشأت نجاة الكبيرة، وترعرعت ونمت، ثم سرعان ما ابتعدت، ما رسمت مسافة بارعة مخصوصة خاصة بها، إذ سعى إليها واحتضنها عمالقة النغم، وجهابذة اللحن، وأساتذة الموسيقى المصريين. سعوا إليها بعدما جذبهم - كما في طقوس سحرية – صوتها، وشخصها، وعشقها للشعر والغناء، وتفوقها في حفظ عشرات القصائد الشعرية الشهيرة، وبداهتها في تفضيل هذا المقطع على ذاك انسجاما مع صوتها، ومديات المقامات والخامات التي تقدر عليها، وتحوزها من طبيعة وسليقة وموهبة، ودربة ومراس. ثم استعدادها الكامل لخوض التجربة الغنائية الموسيقية في دهشتها وطلاوتها، ومستويات تلاوينها، وتَرَخُّلاتها عبر السلالم الموسيقية، وتنقلاتها وفق النوطات، والمقاطع القصيرة والمديدة لأنها شرعت تغنى القصيدة الشعرية الحديثة، القصيدة التفعيلية، قصيدة نزار قباني بشكل خاص، ومأمون الشناوي وغيرهما.

وهي تجربة في الغناء لم يتح لأم كلثوم القيام بها؛ إذ ظلت مخلصة للقصيد الرومانسي التقليدي في شكله، المتحول نسبيا في محتواه ومضمونه. كما ظلت سيدة بما تعنيه السيادة من ظهور وتميز وهيمنة وغلبة وهي تؤدي بقوة صوتها الذي لا يُضاهَى، روائع الأغاني الشعبية الزجلية التي كتبها لها خصيصا شعراء غنائيون مصريون ذائعون.

وربما أن نجاة الكبيرة استشعرت سطوة «السِّتّ»، وتربعها على قُمْرَة القيادة الغنائية في العالم العربي طُرّا، ما قادها مع ثلة من عاشقي صوتها الطروب البديع، وفي مقدمتهم الموسيقار محمد عبد الوهاب، ومحمد الموجي وكمال الشناوي، إلى اختيار نصوص شعرية جديدة بمقياس زمنها، ومقياس التجديد الشعري الرومانسي آنذاك. وإلى تجريب طراز من اللحن والموسيقى، يختلف عن طراز أم كلثوم تحديدا، لتحوز مكانتها الكبيرة وتَتَسَنَّم عرش الغناء الرفيع من جانبها وبدورها. ولم يكن هذا اللحن إلا ثمرة تامة النضج اقتضاها تفاعل حي ومندغم بعبقرية، مع الكلام المغنى سواء أكان شعرا فصيحا، أم شعرا محكيا زجلا شعبيا بتلألأ قصصا «واقعية»، وصورا مجازية تَسِمُه بواللذة والمتعة والشجا، وتدمغه بالجدة والتنوع، والاستجابة لانتظارات المستمعين والمشاهدين الذين يعشقون نجاة، ويتلهفون على جديدها، وإضافتها النوعية التي ما أخطأت طريقها يوما إلى التبلور والتحقق والتطبيق.

والكل يعرف أن الفنانة الكبيرة نجاة ظهرت في وقت صعب، مسدود المنافذ على من كان ضعيفا، هشا، خفيف الوزن في علم الغن، وجمال الأداء، وسطوة الحضور. لم تكن طريق الشهرة والذيوع سالكة، وكيف والساحة الفنية فيها أم كلثوم، وفيروز، وصباح، وسعاد محمد، وعبد الحليم حافظ، وفريد الأطرش، ومحرم فؤاد، وكارم محمود، وماهر العطار، وفايزة أحمد، ووردة الجزائرية، وشادية، ونازك، ونجاح سلام، وغيرهن وغيرهم كثير.

وحدها الموهبة الاستثنائية المتجلية في الصوت والصورة والبراعة والذكاء، هي ما يمكن أن يلفت الأنظار والعقول، ويهز الأفئدة والألسنة، ويستقطب الواجدين العاشقين، ويوجه الهُداة الرُّعاة نحوها. وكان ذلك. كان أن توجه إليها رعاةُ الفن والغناء العالي، وأعدوا للأمر عُدَّته، واجتهدوا في إبداع ألحان وموسيقى تليق بالفنانة بما هي قامة أخرى مختلفة، تزيد المشهد الفني جمالا، وتضفي على الفن الغنائي، جلالا، وغنى وثراء ما أحوج الأذن العربية إليها.

لقد احتدت المنافسة بين نجماتنا الكبيرات، بين فايزة أحمد، ووردة الجزائرية، وسعاد محمد، ونجاة الصغيرة، على أرض مصر تعيينا لجهة مَنْ منهن، الفنانةُ الأشهرُ، الأقرب إلى أم كلثوم. ومن منهن المعشوقة جماهيريا، المطلوبة شعبيا، الأكثر إنصاتا ومتابعة إعلاميا وإذاعيا، وفي ما بعدُ، تلفزيونيا؟ ولسنا في مجال المفاضلة حتى نحسم ونقطع، وننتصر لهذه دون تلك. لكننا نقول باطمئنان: إنهن كُنَّ ولا يزلن محبوبات، محفوظات، يحضرن في الجماعات، كما فَيَ الخلوات، على الْسُنِنا، نختبئ فيما تركن لنا من أعشاش دافئة تغمرها روح الحب، ويملؤها عسل الغناء، وشجو الصوت، وتغريده المهدهد أو الحزين.

وأنت تسمعها تؤدي رائعة: «لا تكذبي»، وهي قصيدة لاهثة، وفيها تضاريس، مصبوبة في لحن صعب، كما يتفق على ذلك، نقاد الموسيقى، والذوق الرفيع، لا تملك إلا أن تنحني، ويأخذك الإعجاب اللامحدود في حضرة صوتها الذي صيرته تصييرا تَبَعًا لمقاطع القصيدة التفعيلية الصعبة وللمقامات الموسيقية المتراكبة. ولن تعفي نفسك من الحزن والأسى وأنت تسمع إلى صوتها الطلق كمحياها، يردد «شَكُل تاني حُبَّك إنْتَ»، أو تغني «سَاكِنْ قُصَادي وَبَحِبّه»، أو تغني «أسهرْ وانْشَغِلْ أنا»، أو «كل شيء راحْ وانقضَى»، أو قصيدة «ماذا أقول»، و«أيظن»، أو «عيون القلب»، أو «لا تنتقد خجلي»...

فنانة لا تُشْبِهُ غيرها. استثنائية في كل ما تَأتيه، وتختاره، وتفعله، استثنائية في كل شيء: في صوتها، وابتسامتها الطفولية المشرقة، وفساتينها البسيطة البهيجة والمبهجة، وأغانيها المختارة برهافة، تلك التي اصطفاها حوار وأخذ ورد، وذوق متعهد ومشحوذ. فلم يكن من المستغرب، والحالة هذه، أن يسعى إليها الكبار، أمثال محمد عبد الوهاب وبليغ حمدي ورياض السنباطي ومحمد الموجي وكمال الطويل. أيّ رواد العصر الموسيقي وشُداتُه ويُنَاتُه.

كما أنه ليس بمستغرب أن يقول عنها الموسيقار الكبير، موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب، «إنها ملكة الصمت الصاخب». وفي هذا ما فيه من دلالة بعيدة الغور على ما لمسه الموسيقار، من جمال وجلال، وهدوء والمعية وذكاء في صوتها، فتعهده بما يليق به من حدب ورعاية ومواكبة حتى أوصله الذروة، ورفعه إلى قمة الفن الراقي، والمجد الغنائي المنيف.

والشيء ذاته أو ما يقاربه قاله الشاعر نزار قباني واصفا ما غنته من كلماته وأشعاره بأنها «الأفضل تعبيرا عن قصائده»، ما يعني أن صوتها الشجي العميق أضفى على شعره حلة جديدة، مخضلة بالضوء والظل، والماء والتغريد. أضفى عليه وَوَسَمَهُ بالترقيص والتطريب، ومنحه بُعْدا آخر تخطاه، أي البعد الشعبي، والانتشار الجماهيري.

زد على ذلك، قولة كمال الطويل الذي استغرقه صوتها، كما استغرقتها الحانه وأنغامه، فشَكّلاَ ما أمتع وأطرب وأفاد خلال مشوار زمني امتد طويلا. وهو يقول فيها بأنها «الأفضل أداء في العالم العربي». وإنها، بعبارة مختصرة وبليغة للشاعر مأمون الشناوي، «الضوء المسموع».

لكل هذا وغيره، أحببت نجاة الصغيرة التي لم تكبر ولم تشخ بمقياس الفن والإبداع أبدا، ونجاة الكبيرة التي أثبتت شموخها وهي غضة هشة منذ أغنيتها «أوْصفوا لي الحُبّ»، ودخلت الزحام في سوق هرج ومرج لا يرحم، فعرفت، بالحرص الذي ظل ديدنها كيف تمشي بخَطْو مُوَقَّع ورشاقة وحَذَر في معترك ألسوّق، من دون أن يسقطها الزحام، فتعفس وتداس، وتنتهي إلى الأبد.

وأكاد أقول إنني فضلت نجاة على أم كلثوم، ولم يَخْفَتْ أو يتراجعْ هذا التفضيل إلى اليوم، على رغم حبي الكبير لـ «السِّتّ»، وإنصاتي لها كل وقت وحين، وعلى رغم عشقي لـ فيروزْ، وأسْمهانْ، حتى لا أذكر إلا النساء. إنهن هؤلاء، وغيرهن ممن ذكرت ووردت أسماؤهن في سياق المقالة، وأشعاره بأنها وجداني، ويملأن عوالي وحياتي، ويُصَحِّبْنني في ما أكتب وأرسم، وأهْمي، لكن نجاة تبقى المفضلة المحبوبة الأبدية، الصاحبة التي لا تخلف الميعادَ.

تحقيقات

العراقيون يبحثون عن بديل لحكم الأحزاب الدينية

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

ليس مصادفة طغيان شعار «باسم الدين سرقونا الحرامية» على التظاهرات المطالبة بالإصلاح في العراق مع تنامي المطالبات بصيغة الدولة المدنية بديلا عن حكم الأحزاب الدينية، بالتزامن مع تحذيرات من نمو حالات الإلحاد في المجتمع، كرد فعل لفساد بعض قيادات الأحزاب الدينية.

ويتفق غالبية العراقيين على ان فترة حكم الأحزاب الإسلامية السياسية خلال الأربعة عشر عاما الماضية في العراق، كانت نموذجا لفشل إدارة البلد ونقص الخدمات الأساسية وتفشي الفساد في كيان المؤسسات الحكومية بشكل غير مسبوق منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة في بدايات القرن العشرين الماضي، مما جعل العراق في مقدمة دول العالم في انتشار الفساد وهدر المال العام وفق مقاييس منظمة الشفافية الدولية.

وليس توجيه النقد لأداء الأحزاب الدينية مجرد نزوع شعبي عام بلا مبرر، بل ان العديد من الأحزاب والقوى الدينية في السلطة، اعترفوا صراحة بهذا الفشل من خلال تصريحات قادة تلك الأحزاب ودعوتهم إلى إصلاح الأوضاع في إدارة البلد، ليس بسبب قناعات أغلبهم بضرورة الإصلاح ولكن من أجل المحافظة على مواقعهم في السلطة وتماشيا مع مطالبات الشارع وانتقادات المرجعية الدينية العليا.

ويؤكد المرجع الديني الشاب مقتدى الصدر زعيم التيار الصدري الذي يقود التظاهرات المطالبة بالإصلاح منذ سنوات، ان الأحزاب السياسية الإسلامية فشلت في العراق، وان الفساد وسوء الإدارة عم البلد، ولذا فهو يدعو إلى قيام كتلة عابرة للطائفية والمحاصصة لقيادة البلد في المرحلة المقبلة. كما يعترف القيادي السابق في حزب الدعوة غالب الشابندر في لقاء تلفزيوني، ان الأحزاب الإسلامية في الطرفين الشيعي والسني، فشلت في قيادتها للسلطة في العراق، وهي تتحمل الجزء الأكبر من مسؤولية تدهور الأوضاع بحكم قيادتها للسلطة «البرلمان والحكومة» منذ 2003، مقرا ان العديد من قيادات حزب الدعوة قد تورطوا في قضايا فساد من خلال توليهم مسؤوليات في الحكومة، ومنهم وزير التجارة السابق عبد الفلاح السوداني وأمين العاصمة السابق صلاح عبد الرزاق وآخرون. ويقول الباحث غسان العطية، صاحب مشروع «المبادرة الوطنية» ان الصراع الآن في العراق هو ليس بين الطوائف سنية وشيعية أو كردية وعربية، بل هو صراع بين التطرف والاعتدال من كل الأطراف، مشيرا إلى ان الأحزاب الحاكمة سنية وشيعية بدأت ترتدي العباءة المدنية وتدعي التغيير لكسب الناس، مؤكدا ان العيب ليس في الإسلام بل في السياسيين الذين يستغلون الإسلام لأغراض سياسية.

ويذكر في لقاء تلفزيوني، ان هناك اتصالات لبلورة تحالف لقوى الاعتدال الإصلاحية سواء كانت دينية أو مدنية من كل أنحاء العراق، مقرا أنها ليس لديها برنامج أو رؤية لكيفية الإصلاح الضرورية لكي يلتف الناس حولها، ولذا فإن «المبادرة الوطنية» تهدف لرسم فكر عراقي يتجاوز عقد القومية والطائفية والشوفينية والتيارات الإسلامية التي تحكم الآن، وتسعى لكي «يلتف الناس حول الفكرة وليس الأشخاص». مشددا على انه «إذا تحولنا من الانقسام الطائفي إلى الانقسام السياسي، نكون وضعنا خطوة صحيحة نحو الأمام» موضحا ان المبادرة تضم أشخاصا من جميع أنحاء العراق، وكلهم يريدون تجاوز الطائفة الدينية.

وحول قدرة الأحزاب المدنية الصاعدة على مواجهة الأحزاب الدينية في الانتخابات، وهل ستكون منافسة حقيقية بينهما، يبين العطية ان الأرضية صالحة الآن لبروز الأحزاب المدنية بسبب نقمة الناس وعزوفهم عن الدينية التي فشلت في قيادة البلد، مقرا ان الأحزاب المدنية مثل الدينية تعاني من التشظي والانقسام، وهي حالة خطرة جدا وتجعلها عاجزة عن التأثير في المشهد السياسي. وأكد ان التحالفات السابقة بين الشيعة والكرد لم تعد موجودة الآن.

التهرب من الطائفية

ولم يكن توجها عبثيا تركيز الأحزاب والتحالفات السياسية ضمن استعداداتها للانتخابات المقبلة على تشكيل ما تسميه بـ«كتل وطنية عابرة طائفية» حيث جاءت هذه الخطوة في محاولة للتقرب من مطالب «الشارع العراقي الرافض للمحاصصة الطائفية التي جلبتها الأحزاب الدينية والتي كانت غطاء للفساد.

ومن أجل البحث عن البديل المناسب في حملة الاستعدادات للانتخابات المقررة في ايار/مايو المقبل، بدا واضحا تنامي مكانة الأحزاب العلمانية والوطنية مثل الحزب الشيوعي وحزب الوفاق الوطني الذي يقوده أياد علاوي وحركة التغيير الكردية، وغيرها من القوى المؤمنة بالدولة المدنية ودولة المؤسسات في الشارع العراقي، مع توقع حصولها على مواقع متقدمة في الانتخابات المقبلة. وحتى إذا لم تتمكن تلك الأحزاب والقوى المدنية من تحقيق فوز كبير في الانتخابات المقبلة بسبب هيمنة الأحزاب الدينية على السلطة والمال والإعلام والمؤسسات الدينية وتوجيهها لخدمة

أهدافها في البقاء في السلطة، فالمؤكد ان قوى التغيير ستحقق نتائج أفضل بكثير من الانتخابات الماضية.

وفي هذا الصدد، يلاحظ ان الساحة السياسية، تشهد بروز تحالفات جديدة بين بعض أجنحة التيار الديني الداعية للإصلاح وبين أحزاب وقوى وطنية غير طائفية أو علمانية معروفة، ومن ذلك الاجتماعات واللقاءات المتكررة التي تعكس التقارب الكبير بين التيار الصدري والحزب الشيوعي العراقي وحزب الوفاق وحركات أخرى.

وكانت التظاهرات المطالبة بالإصلاحات التي تشهدها أسبوعيا العاصمة العراقية وباقي المدن منذ عام 2012 حمّلت الأحزاب الدينية التي تتحكم في السلطة منذ 2003 مسؤولية تدهور الأوضاع في البلد في كافة المجالات، عبر رفع شعارات أبرزها «باسم الدين سرقونا الحرامية» وشكلت التظاهرات صورة ساطعة لحالة الإحباط التي وصل إليها المواطن العراقي وفقدان أمله في امكانية قيام الأحزاب الدينية التي تمسك السلطة بقبضة من حديد، بتغيير سلوكها ونظرتها وقيامها بإصلاح الأوضاع المتردية.

ظواهر ذات دلالة

ولعل اللافت للنظر في السنوات الأخيرة، هو بروز ظواهر كانت غريبة أو نادرة على المجتمع العراقي المعروف بالانفتاح والتسامح والاعتدال الديني، ومن ذلك تنامي التطرف الديني السني «القاعدة وداعش» والشيعي «الميليشيات» وازدياد حالات الانتحار، إضافة إلى تزايد المنخرطين في مشاريع الإلحاد، وغيرها من الظواهر التي تعد بلا شك، ردود افعال لإحباط العراقيين من أداء الأحزاب الدينية بعد تسلمها السلطة من الاحتلال الأمريكي.

وقد أقر عمار الحكيم رئيس التحالف الوطني «الشيعي» بوجود حالات الإلحاد في المجتمع العراقي، محذرا من «شيوع هذه الظاهرة وتعاطي المخدرات. واعترف في تجمع لأنصاره أن «هناك ممتعضين من تمسك المجتمع بثوابته الدينية ومن علاقته بالله سبحانه وتعالى» داعياً إلى «مواجهة هذه الأفكار الدخيلة بالفكر والضرب بيد من حديد على داعمي هذه الأفكار وتعرية الأساليب التي يعتمدونها في نشرها».

وفي السياق نفسه، أكد رئيس قسم الإعلام في العتبة الحسينية، جمال الدين الشهرستاني، خلال لقائه مع وفد من شباب المحافظات الوسطى، إن «من نتائج الأخطاء الماضية الانحراف الحاصل بين الشباب في اتجاه الإلحاد وانتشاره، بسبب الانحرافات والتأثيرات والتدهور الثقافي والاقتصادي في البلد» مبينا أن «هناك فشلا في الأداء الحكومي ويجب أن نقر ونعترف بهذا الفشل، ويجب التصحيح وكشف مواضع الإخفاق والخطأ».

وفي مثال آخر على الإحباط الشعبي من فساد بعض الشخصيات والقوى الدينية، يتداول العراقيون على مواقع التواصل الاجتماعي، أفلاما وأخبارا عن فساد بعض رجال الدين واستغلالهم السلطة الدينية لتحقيق مصالح شخصية في الحكومة، ومن ذلك فيلم ذو دلالة كبيرة، عن تظاهر العشرات في محافظة واسط جنوب بغداد، أمام مجلس المحافظة لطرد رجل دين من داخل المجلس بسبب تورطه في قضايا تتعلق بالفساد الإداري والمالي وكانوا يرددون هتافات «باسم الدين سرقونا الحرامية» إلى أن تم إخراجه من مبنى المجلس تحت حماية رجال الشرطة، وذلك رغم قدسية مكانة رجال الدين في تلك المحافظة.

من جانب آخر على صلة، تنتشر هذه الأيام حالات الانتحار بين الشباب، وخاصة في المحافظات الجنوبية والوسطى المعروفة بكونها مجتمعات متدينة محافظة تحرّم الانتحار، في انعكاس لتردي الأوضاع المعيشية في المجتمع واليأس من إصلاحها، علما ان هذه المناطق لم تشهد مثل هذا الكم من حالات الانتحار حتى في أشد حالات العوز والصعوبات الاقتصادية، كما حدث في فترة الحصار الاقتصادي المدمر الذي فرض على العراق عقب احتلال الكويت عام 1990.

وفي تقييمات الباحثين والمثقفين العراقيين، ان هذه إشارة هامة إلى ان مشكلة رجال الدين عموما في كل الأديان والطوائف، انهم يستبدون بآرائهم ومواقفهم، ويعتبر كل منهم انه الأفضل والأصح في فهم الدين وتطبيق مقاصده في حياة البشر اليومية، ولذا يرفضون القبول بالآخر وخاصة عندما تكون السلطة في يدهم، وهو ما نراه في الأنظمة الدينية في المنطقة، كما يحرصون على نقل آراءهم على أرض الواقع، عبر فرض قوانين وتعليمات، لا تراعي إختلاف الآخرين في باقي الطوائف والأديان، وهو ما حصل مثلا في إصرار أحزاب شيعية على محاولة فرض قانون الأحكام الشخصية «ذو التوجه الجعفري» متجاهلين تعدد طوائف وأديان الشعب العراقي، وذلك رغم الاعتراضات المتكررة من القوى السياسية والمدنية والدينية «السنية والمسيحية وغيرها» إضافة إلى تحفظ جهات دولية على القانون.

وتشير مصادر مطلعة، ان فشل الأحزاب الدينية في قيادة البلد، أدى إلى ظهور أحزاب تدعي المدنية تم انشاؤها حديثا وتنوي دخول العملية السياسية والاشتراك في الانتخابات المقبلة، وتقودها شخصيات محسوبة على دول إقليمية طائفية، وذلك على ما يبدو جاء بعد ان أدركت تلك الدول عزوف الشارع عن التعامل مع معظم الأحزاب الإسلامية الدينية التي أصبحت ورقة محروقة لدى الكثيرين.

ويبدو ان حالة الإحباط واليأس من فشل أداء معظم القوى الإسلامية السياسية الحاكمة في إدارة شؤون البلد، وارتباط أدائها بالفساد المالي والفشل الإداري، ودفاعها عن القيادات الفاسدة فيها، وصلت إلى حالة لا يمكن تجاهلها والسكوت عليها من قبل العراقيين، مع تصاعد الدعوات لوقف التدهور في أوضاع البلد من خلال إيجاد الحكم البديل في القوى السياسية المدنية والعلمانية المعتدلة من أجل تغيير طبيعة السلطة من الصبغة الدينية والطائفية إلى ترسيخ مفهوم الدولة المدنية المستندة إلى القوانين والمؤسسات الدستورية أسوة بدول العالم المتمدن.

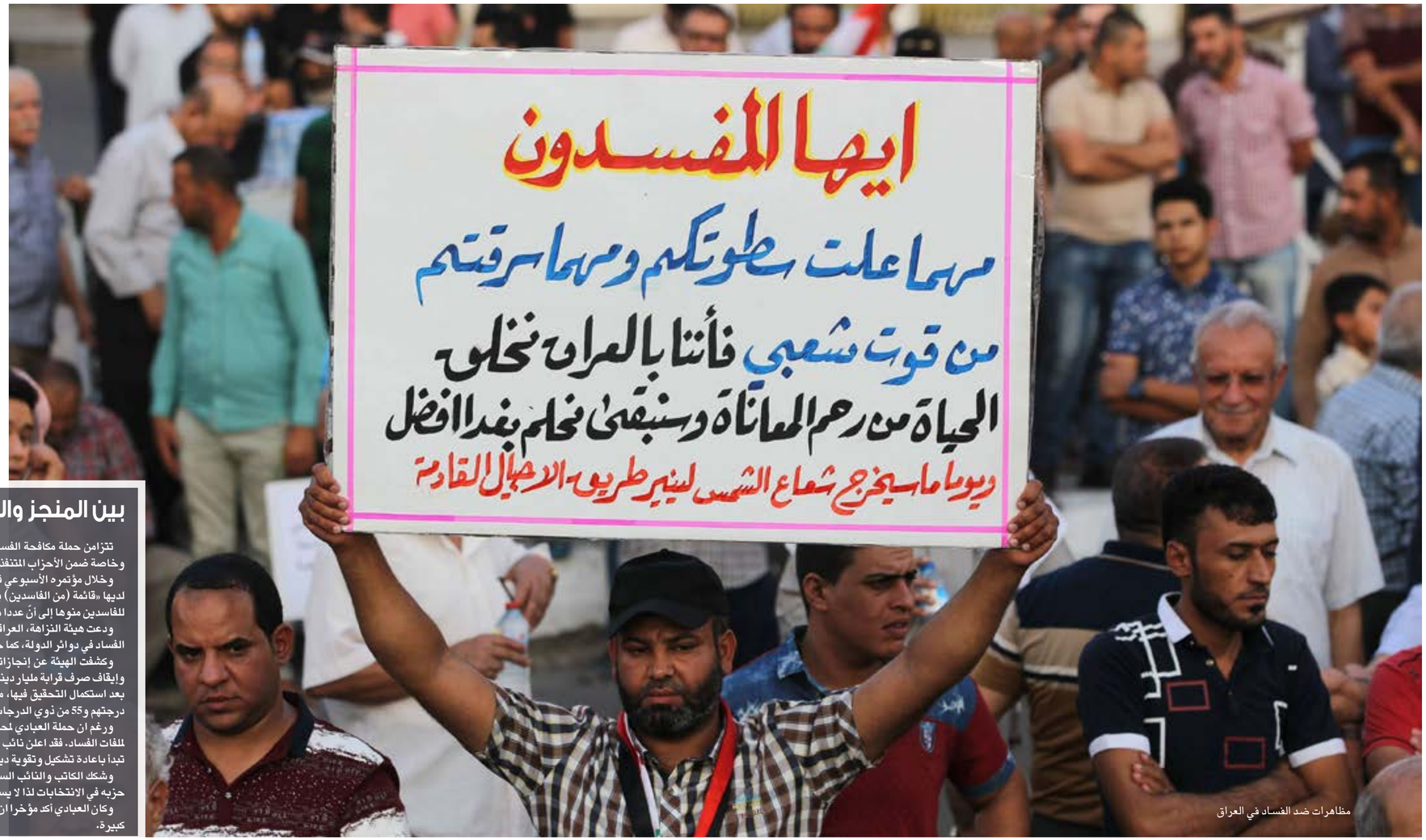

مظاهرات ضد الفساد في العراق

بين المنجز والمطلوب

تتزامن حملة مكافحة الفساد التي أعلنها رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي، مع مطالبات سياسية وشعبية للحكومة بخطوات أكثر جدية لمحاربة الفساد وخاصة ضمن الأحزاب المتنفذة في السلطة.

وخلال مؤتمره الأسبوعي في بغداد، أكد العبادي، أن «محاربة الفساد مستمرة ومتواصلة» وان حكومته وجهت عدة ضربات واعتقلت متهمين بالفساد، كما أن لديها «قائمة (من الفاسدين) يجري تدقيقها». وردا على سؤال حول موعد توجيه الضربة الأولى للفساد أشار العبادي إلى أنّ حكومته وجهت فعلا عدة ضربات للفاسدين منوها إلى أنّ عددا منهم معتقلون الآن وشدد بالقول ان «الفتح قريب».

ودعت هيئة النزاهة، العراقيين كافّة، إلى «مؤازرتها ومعاضدتها وهي تخوض هذه الحرب الشعواء ضدّ حيتان الفساد» داعية المواطنين إلى إبلاغها عن حالات الفساد في دوائر الدولة، كما خصصت لهذا الغرض أرقام هواتف ومواقع الكترونية للاتصال بها.

وكشفت الهيئة عن إنجازاتها للنصف الأول من العام 2017 حيث أعلن رئيسها حسن الياسري، في مؤتمر صحافي، عن تمكُّن الهيئة من استرجاع ومنع هدر وإيقاف صرف قرابة مليار دينار. وأشار الياسري إلى حسم (7226) بلاغاً وإخباراً وقضية جزائية من مجموع (13635) قضية جزائية، أحالت منها 4385 إلى القضاء بعد استكمال التحقيق فيها، مبينا ان عدد المتهمين المحالين من محكمة تحقيق النزاهة على محاكم الجنح والجنايات بلغ (1255) متهماً، منهم 7 وزراء ومن هم في درجتهم و55 من ذوي الدرجات الخاصة والمديرين العامين.

ورغم ان حملة العبادي لمحاربة الفساد المستشري في كل مفاصل الدولة العراقية، تحضى بدعم شعبي كبير، إلا ان العديد من السياسيين ينتقدون تأخر حسمه للملفات الفساد. فقد اعلن نائب رئيس الجمهورية أياد علاوي، ان الفساد لا يعالج بالتصريحات بل يحتاج إلى اجراءات جادة من قبل الحكومة، وان هذه الإجراءات تبدأ باعادة تشكيل وتقوية ديوان الرقابة المالية، وان يأخذ القضاء دوره في محاسبة الفاسدين من أي جهة كانوا.

وشكك الكاتب والنائب السابق حسن العلوي في قدرة العبادي على محاربة الفساد مؤكدا أن الفساد موجود في حزبه «الدعوة» وان العبادي يحتاج أصوات حزبه في الانتخابات لذا لا يستطيع محاربة رؤوس الفساد، داعيا العبادي إلى ان يضرب الفاسدين في حزبه أولا، واصفا محاربة الفساد بـ«الأكذوبة».

وكان العبادي أكد مؤخرا ان الفساد هو أخطر من الإرهاب وانه سيشن حملة شاملة ضده، مقرا ان مافيات الفساد تغلغلت في مفاصل الحكومة وان لديها امكانيات كبيرة.

ميديا

صحافية تونسية تظهر على قناة إسرائيلية وتثير الغضب في بلادها

لندن – «القدس العربي»:

تسببت مشاركة تلفزيونية لصحافية تونسية على قناة إسرائيلية في موجة من الغضب والانتقادات في تونس، حيث اعتبر كثير من المعلقين وحتى زملائها من الصحافيين ما فعلته بمثابة تطبيع مع إسرائيل التي لا توجد أي علاقات رسمية بينها وبين تونس.

وظهرت الصحافية سامية بيولي في مشاركة تلفزيونية عبر «سكايب» على نشرة أنباء قناة «مكان 33» الإسرائيلية، وهو ما أثار حفيظة الصحافيين خاصة أن «النقابة الوطنية للصحافيين التونسيين» أكدت سابقاً وفي أكثر من مناسبة رفضها للتطبيع الإعلامي مع إسرائيل، معتبرة إياه خروجاً على مقررات الهيكل النقابي.

وظهرت بيولي على القناة الإسرائيلية وتحدثت عن الاحتجاجات التي تشهدها تونس منذ أيام.

ونقلت تقارير إعلامية لاحقاً عن الصحافية بيولي قولها إنها تعرضت لخديعة ولم تكن تعرف أن القناة إسرائيلية وإنما ظنت أنها قناة تركية لأن رقم الهاتف الذي ظهر لديها كان تركياً.

وكانت تونس قد شهدت جدلاً واسعاً قبل شهور حول التطبيع الإعلامي مع إسرائيل عندما ظهر مراسل للتلفزيون الإسرائيلي وهو يتجول في البلاد ويعد تقريراً من أمام منزل الشهيد محمد الزواري، الذي يسود الاعتقاد بأن جهاز الموساد الإسرائيلي قام باغتياله داخل تونس، وسرعان ما أصدرت حركة حماس وجناحها العسكري بياناً نعت فيه الزواري وكشفت فيه بأنه أحد أهم كوادرها وخبرائها العسكريين ويعمل مع الحركة منذ سنوات.

وفوجئ التونسيون ببث القناة الإسرائيلية العاشرة في كانون الأول/ ديسمبر 2016 تقريراً خاصاً لموفدها موآب فادي من أمام بيت الزواري في تونس، حيث بدا المراسل وهو يتحدث العبرية بحرية ويتنقل في الشارع الذي يقع فيه منزل الشهيد بعد ساعات معدودة من مراسم تشييعه إلى مثواه الأخير.

وأقر المراسل أنه لم يعرّف عن هويته كإسرائيلي، بل

دخل إلى بيت العزاء بدون كاميرا، إذ عارضت العائلة أن يقوم بالتصوير. وتحدث مع أصدقاء الزواري وأقاربه الذين أبلغوه أن الشهيد لم يبد يوما خوفا على حياته، وأنهم لم يحصلوا لغاية الآن على معلومات عن ظروف اغتياله.

وأثار التقرير الإسرائيلي موجة من الجدل والغضب في تونس، فيما كشفت مصادر أمنية تونسية بعد ذلك أن الصحافي الإسرائيلي دخل إلى تونس بجواز سفر ألماني لا يتضمن صفة صحافي بل صفة كاتب.

ونقلت إذاعة «موزاييك» المحلية في تونس عن مصدر في وزارة الداخلية أنه تم فتح تحقيقات بخصوص كيفية تنقل الصحافي الإسرائيلي من العاصمة إلى صفاقس وتم التحري من شركة الإنتاج التي أمّنت له بث المادة التلفزيونية.

يشار أيضاً في هذا المجال إلى أن إسرائيل تحاول بين الحين والآخر استدراج الصحافيين العرب لزيارتها من أجل تحسين صورتها وكسب من يروّج لها في العالم العربي، حيث كشفت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية في تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 2016 عن زيارة لوفد صحافي مغربي إلى إسرائيل، وقالت إن الزيارة تمت بدعوة من الخارجية الإسرائيلية «لتحسين صورة إسرائيل في الإعلام العربي».

وحسب الصحيفة فإن الوفد المغربي ضم صحافيين اثنين وخمس صحافيات نقل عن إحداهن قولها إنها «تخشى التعبير عن رأيها بدعم إسرائيل، لأن ذلك قد يجعلها تندم طوال حياتها، لما قد يسببه من تحريض وتهديدات لها».

وأضافت: «حصل الضيوف على موجز سياسي وعسكري عن آخر التطورات، والتقوا مع وزراء إسرائيليين وأعضاء كنيست ومسؤولين كبار في المحكمة العليا، وسيجرون جولة ميدانية على حدود قطاع غزة مع إسرائيل».

تسريبات جديدة تثير الضجة والجدل في مصر وتُحرج وسائل الإعلام المقربة من النظام

لندن – «القدس العربي»:

أشعلت مجموعة من التسجيلات الصوتية المسربة موجة من الجدل الواسع في مصر بعد أن أظهرت هذه التسريبات أن أجهزة الأمن المصرية هي التي تدير وتوجه بشكل مباشر القنوات التلفزيونية ووسائل الإعلام الخاصة، بما في ذلك مجموعة من الإعلاميين والفنانين المعروفين من أجل التأثير في الرأي العام المصري.

وبدأت سلسلة التسريبات الأخيرة بتقرير نشرته جريدة «نيويورك تايمز» قالت فيه إن ضابطاً برتبة نقيب في جهاز المخابرات الحربية يُدعى أشرف الخولي يقوم بإملاء الأوامر على اثنين من الإعلاميين المعروفين إضافة إلى الفنانة يسرا، حيث يطلب منهم الحديث عن قضية القدس والقرار الأمريكي باعتبارها عاصمة لإسرائيل، ويقوم بتوجيههم أن يقولوا للرأي العام أن مدينة رام الله هي عاصمة دولة فلسطين وأن على العرب أن يقبلوا بالقرار الأمريكي اعتبار القدس عاصمة لإسرائيل.

وبالتسريبات الجديدة يظهر أن الموقف المصري الحقيقي هو تأييد القرار الأمريكي وليس معارضته، كما أن هذه التسريبات تفضح حجم التدخل الأمني في العمل الإعلامي في مصر وتعاون الإعلاميين مع جهاز الأمن وتنفيذ التعليمات التي يتلقونها من الأمن لا ما يعتقدون أنه الصواب.

ولاحقاً لما نشرته «نيويورك تايمز» والنفي الذي جاء على لسان بعض من ظهرت أسماؤهم في التسجيلات، بثت قناة «مكملين» المصرية المعارضة التسجيلات ذاتها ومعها عدد من التسجيلات الإضافية لتثير بذلك جدلاً أوسع داخل مصر امتد إلى مختلف شبكات التواصل الاجتماعي، خاصة وأن التسجيلات اللاحقة شكلت دليلاً إضافياً على أن «النقيب أشرف» شخص حقيقي وليس وهمياً كما زعمت بعض وسائل الإعلام في البداية.

وتعتبر جريدة «نيويورك تايمز» واحدة من أهم وأعرق الصحف المطبوعة في العالم، حيث تأسست عام 1851 وحصلت على 95 جائزة «بوليتزر» لم تحصل على مثلها أي صحيفة في العالم، كما تحظى بتأثير واسع وسط النخب الأمريكية ودوائر صنع القرار.

موجة هجوم

وتعرضت جريدة «نيويورك تايمز» والصحافي الأمريكي «ديفيد كيركباتريك» لموجة هجوم كبيرة في وسائل الإعلام المصرية المحسوبة على النظام، حيث اتهمهما الإعلامي عمرو أديب بالتعاون مع جماعة الإخوان المسلمين، متسائلا عبر برنامجه في فضائية (ONE) عن الطريقة التي وصلت بها التسجيلات المسربة من «نيويورك تايمز» لفضائية «مكملين» و«الشرق».

أما رئيس تحرير جريدة «الأسبوع» محمود بكري فقال لفضائية «المحور» إن تقرير الصحيفة الأمريكية يستهدف تشويه صورة مصر وأن هناك مخططا تمارسه بعض وسائل الإعلام الغربية بالتعاون مع «الإخوان».

وكال الكاتب الصحافي خالد صلاح، الاتهامات للصحيفة عبر فضائية «النهار» قائلا إن «نيويورك تايمز» تستهدف مصر بشكل قطعي، كما تهدف إلى زرع الشك والفتنة والريبة في المجتمع، مضيفا أن «هناك فبركة حدثت حتى يخلق (الإخوان) مادة إعلامية يعيدون بها التربص بالنظام».

وفي مداخلة له في فضائية «الحدث اليوم» قال رئيس الهيئة العامة للاستعلامات ضياء رشوان، إن تقرير الصحيفة الأمريكية «كاذب» وأعلن تحديه لمراسل «نيويورك تايمز» حول وجود ضابط مخابرات باسم «أشرف الخولي».

وقال مستشار أكاديمية ناصر العسكرية هشام الحلبي، في تصريحات لقناة (ONE) الفضائية إن «هذا شكل من أشكال حروب الجيل الرابع يستهدف المدنيين لترويج أكاذيب وشائعات» زاعماً أن «نيويورك تايمز» تخاطب الرأي العام الأجنبي لرسم صورة خاطئة عن مصر.

واتهم أستاذ الإعلام في جامعة القاهرة سامي الشريف الإعلام الغربي باتخاذ مواقف مضادة لمصر منذ 30 حزيران/ يونيو 2013 وذكر اسم «غارديان» و«رويترز» و«نيويورك تايمز» وقال إن هناك حرصا شديدا من تلك المؤسسات على تشويه صورة النظام ونشر الأكاذيب وتهييج الرأي العام الدولي ضد مصر.

كما زعم في تصريحات نشرتها صحيفة «التحرير» أنه توجد فضائيات تتقاضى الملايين من الدولارات من جماعة الإخوان وبعض الدول الداعمة للإرهاب كقطر وتركيا من أجل تشويه الدولة المصرية.

مقالات عديدة

وانشغل العديد من كتاب المقالات والأعمدة داخل مصر وخارجها بالحديث عن تسريبات «نيويورك تايمز» و«مكملين» حيث رأى الكاتب الصحافي سليم عزوز في مقال له إن «موقف دولة العسكر من القضية الفلسطينية معروف، فهم ومنذ عهد مبارك يناصبون الانتفاضة العداء، ويحاصرون غزة لإجبار أهلها على التسليم. وفي كل مرة يتم فيها الاعتداء الإسرائيلي على القطاع، فإن الإعلام المصري يتولى التحريض على المقاومة وعلى حماس، فما الجديد في التسريبات؟!». وأضاف « أما الموقف من القدس، فقد أذيع أمريكياً أن ترامب قبل إقدامه على اتخاذ قراره حصل على موافقة القاهرة والرياض، كما أذيع أردنيا أن مصر تحفظت على عقد القمة الإسلامية. وقد شاهدنا التمثيل المصري المنخفض في هذه القمة، بل والتمثيل العربي بشكل عام، لا سيما في الدائرة الإقليمية التي تتحرك فيها مصر – السيسي!».

أما محمد الشبراوي فكتب مقالاً رأى فيه أن «التسريب الأخير يهدف تهيئة وتوجيه الرأي العام المصري للقبول بالقدس عاصمة لإسرائيل؛ لم يأتِ بجديد، ولكنه كان كاشفا لحالة موجودة ورؤية من يدير مصر الآن».

وانتهى إلى القول إن «التسريبات العديدة التي ضجت بها مصر والمنطقة تؤكد أن مصر ومعها نظم في المنطقة لم تستطع أن تقيم دولا حديثة عبر إحداث تنمية مستدامة، ولم يتحقق استقرار سياسي، بغير الاعتماد على القوة الأمنية الباطشة، والأهم من ذلك لم يتم حفظ الأمن القومي لمصر والمنطقة العربية».

ولا يبدي الكاتب الفلسطيني ساري عرابي أيضاً، أي اندهاش من التسريبات ومضمونها، حيث يقول إن «أيّ مطّلع على السياسات الإسرائيلية الاستعمارية في فلسطين المحتلة، وعارف بتوجهات اليمين الحاكم فيها، ومراقب لتحولات المجتمع والسياسة في «إسرائيل»، يمكنه أن يتوقع الرؤية الإسرائيلية العامة لتصفية القضية الفلسطينية. ومع التردي والاهتراء العربي لا بدّ وأن تلتقي «إسرائيل» مع بعض الأطراف العربية» في اشارة إلى مصر التي تبين أنها تدعم الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل.

جدل على شبكات التواصل

وفور نشر التسريبات اشتعلت حالة من الجدل على شبكات التواصل الاجتماعي في مصر والعالم العربي، وازدحمت بالتعليق على هذه التسريبات ومضمونها، فيما صعد عدد من الوسوم حول الموضوع إلى قائمة الأكثر تداولاً على «تويتر» ومن بينها «#تسريب_القدس» و«#تسريب_الأذرع_الإعلامية» و«#تسريب_مكملين».

وكتبت الناشطة شيماء محمد: «عصابة بتحكم البلد بفكر العصابات وساعدهم أنصافُ الإعلاميين وأشباه القانونين وضيعوا البلد» فيما كتبت الناشطة آيات عرابي: «مخابرات العسكر هي جهاز فاشل كوميدي أقرب لإسماعيل ياسين، مع الأعداء. لكنهم جهاز ناجح جداً ومتمرس في العبث بعقل الشعب وخداعه».

أما الإعلامي أسامة جاويش فغرد على «تويتر» قائلا: «ما بين 2015 و2018 يظل صديقي عباس كامل هو البطل والمحرك والسر وراء ما نسمعه ونشاهده في #تسريب_الأذرع_الإعلامية.. للأسف إعلام يُدار بالهاتف».

وكتب أحد المغردين معلقاً: «تسريب الأذرع الإعلامية لم يأتِ إلا بمزيد من التأكيد على أنها طابونه وكيف تدار ولكن لي كلمة: يا أمراء وحكام الخليج.. يا من دعمتم السيسي أرأيتم كيف يوجه إعلامه ضدكم والحشد ضد قطر والكويت والسعودية... أعيدوا حساباتكم فهذا لا مبدأ ولا دين له».

وألمح ناشط يُدعى أحمد عبد المنعم إلى أن التسريبات الأخيرة تأتي في سياق الصراع داخل النظام في مصر، حيث يقول: «واضح أن المخابرات العامة والمشرفين عليها اقتنعوا تماماً وأدركوا خطورة الموقف ولذلك أرسلوا التسجيلات لنيويورك تايمز بالذات، حيث الحصانة الدولية وقوانين أمريكية تحفظ حق النشر، فلن يجرؤ أن يكذبها أحد، وتُعتبررسالة من المخابرات العامة للمخابرات العسكرية بالتهديد».

الصحافي المصري إسماعيل الإسكندراني معتقل منذ أكثر من عامين يحال لمحكمة عسكرية

لندن – «القدس العربي»:

طالبت عشر منظمات حقوقية في بيان مشترك حصلت «القدس العربي» على نسخة منه بإطلاق سراح الصحافي المصري المعتقل منذ أكثر من عامين دون محاكمة إسماعيل الإسكندراني، وذلك في الوقت الذي قامت فيه السلطات بإحالة ملف إلى القضاء العسكري، ما يعني أنه قد يواجه عقوبة السجن لمدة طويلة بسبب نشاطه الإعلامي.

واعتبرت أن «إحالة الصحافي إسماعيل الإسكندراني إلى القضاء العسكري يمثل التفافاً على وجوب إخلاء سبيله بعد انقضاء فترة الحبس الاحتياطي في نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر 2017».

ونقل البيان عن هيئة الدفاع عن الصحافي والباحث إسماعيل الإسكندراني تأكيدها أن نيابة أمن الدولة العليا فاجأتهم بإحالة القضية رقم 569 لسنة 2015 إلى المدعي العام العسكري، وهي القضية المتهم فيها بإشاعة أخبار كاذبة والانضمام لجماعة أسست على خلاف القانون. وقد تمت إحالة القضية إلى المدعي العام العسكري برقم صادر 875 بتاريخ 13 كانون الأول/ ديسمبر 2017 وهي الآن في المكتب الفني للمدعي العام العسكري وستُوزع على إحدى النيابات العسكرية للعمل عليها. وهو ما يعني أن الإسكندراني مُقيَّد الحرية دون سند قانوني لمضي المدة القانونية لآخر قرار تجديد حبس، مما يجعله الآن يواجه انتهاكاً آخر وهو الاحتجاز دون وجه حق.

وتقول المنظمات الحقوقية العشرة في بيانها إن «إسماعيل الإسكندراني هو صحافي استقصائي تخصّص في الدفاع عن قضايا المجتمعات المهمشة في مصر، وأهمها ملف شبه جزيرة سيناء، وألقت السلطات المصرية القبض عليه أثناء عودته لقضاء إجازته السنوية في مصر قادماً من ألمانيا، ووجهت له نيابة أمن الدولة العليا اتهامات جنائية، حتى تتمكن من الالتفاف على الدستور الذي يمنع حبس الصحافيين احتياطياً في قضايا النشر، وظل الإسكندراني رهن الحبس الاحتياطي لفترة طويلة تجاوزت العامين».

ويؤكد البيان أن فريق الدفاع عن الإسكندراني حاول الاستعلام عن ميعاد نظر تجديد أمر حبسه، مرات عدة خلال الشهر الماضي، إلا أن نيابة أمن الدولة العليا ردت بأن الموعد سيتم تحديده في شهر كانون الثاني/ يناير 2018 دون إعلام فريق الدفاع أن القضية أحيلت للمدعي العام العسكري.

وترى المنظمات الموقعة أن السلطات المصرية «تعمدت تضليل فريق الدفاع، وحرمان الصحافي إسماعيل الإسكندراني من حقوقه في معرفة تطورات وضعه القانوني، في إخلال واضح بالإجراءات القانونية المتبعة».

وقد جاءت إحالته للنيابة العسكرية بعد انقضاء المدة القانونية للحبس الاحتياطي دون إحالة القضية لمحكمة الموضوع، وهو ما كان يستوجب سقوط قرار الحبس الاحتياطي والإفراج عنه وفقاً للمادة 143 من قانون الإجراءات الجنائية رقم 150 لسنة 1950 وتعديلاتها إذ أن الإسكندراني قد أُلقي القبض عليه في 29 تشرين الثاني/ نوفمبر 2015، في مطار الغردقة الدولي فور وصوله من العاصمة الألمانية برلين. وقضى 150 يوما قيد الحبس الاحتياطي بقرار من نيابة أمن الدولة العليا. وتلت هذه الفترة قرارات بتجديد الحبس أمام غرفة المشورة في محكمة جنايات القاهرة لمدة 520 يوما. وفي 29 تشرين الثاني/ نوفمبر 2017 أكمل الإسكندراني عامين (730 يوما) قيد الحبس الاحتياطي دون الإحالة لمحكمة الموضوع.

وأشارت المنظمات الحقوقية الموقعة على البيان إلى أن الإسكندراني لا يُعبِّر عن حالة فردية فيما يخُص الانتهاكات التي يتعرض لها الصحافيون، والتي يأتي الحبس على رأسها، حيث يواجه عدد من الصحافيين مصير الحبس على خلفية ممارسة عملهم المهني، ويوجّه لهم في هذه القضايا اتهامات جنائية مكررة بالانتماء لجماعة محظورة، ما يجعلهم عرضة لقضاء فترات طويلة من الحبس الاحتياطي، والذي يتم استخدامه كعقوبة في هذه الحالات، بحسب ما جاء في البيان.

وأكد البيان الرفض الكامل لقرار إحالة الإسكندراني للقضاء العسكري، وكذلك لمحاكمة أي صحافي أمام أي منصة قضائية غير القضاء العادي. وتدعو المنظمات الموقعة السلطات المصرية للإفراج الفوري عنه احتراما للقانون والدستور، ومحاكمته أمام قاضيه الطبيعي وإلغاء قرار الإحالة للقضاء العسكري، الذي يتعارض مع أبسط ضمانات وشروط المحاكمة العادلة. كذلك تدعو المجلس الأعلى للإعلام ونقابة الصحافيين للقيام بدورها في الدفاع عن جميع الصحافيين المحبوسين على خلفية ممارسة مهنة الصحافة.

ووقع على البيان كل من: الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، المبادرة المصرية للحقوق الشخصية، المركز المصري للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، المفوضية المصرية للحقوق والحريات، مؤسسة حرية الفكر والتعبير، مؤسسة قضايا المرأة المصرية، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، مركز النديم لمناهضة العنف والتعذيب، مركز هشام مبارك للقانون، نظرة للدراسات النسوية.

الصحافي المصري إسماعيل الإسكندراني

علوم وتكنولوجيا

العالم يتجه سريعاً نحو «التاكسي الطائر» لحل مشكلة ازدحام المرور

لندن – «القدس العربي»:

أصبحت سيارات التاكسي الطائرة على وشك أن تصبح واقعاً يعيشه الناس وعلى وشك أيضاً أن تشهد انتشاراً واسعاً خلال الفترة القليلة المقبلة، حيث يبدو أنها ستكون الحل الوحيد لمشكلة الازدحامات المرورية التي لم تتمكن أغلب دول العالم حتى الآن من التغلب عليها.

وفي أحدث الابتكارات في مجال «التاكسي الطائر» عرضت شركتا «أوبر» و«هيلوكبتر بيل» طائرة ثورية في معرض الإلكترونيات الاستهلاكية خلال استضافته ولاية نيفادا الأمريكية خلال الفترة من التاسع حتى الثاني عشر من كانون الثاني/ يناير الجاري.

ويقول مبتكرو الطائرة إنها تحل مشكلة الازدحام المروري الخانق في المدن، لا سيما تلك التي تحدث فيها اختناقات بسبب سيارات شركة «أوبر» وذلك حسب ما أورد موقع «مشابل» الأمريكي المتخصص في أخبار التكنولوجيا في تقرير. وقال إن هذا «التاكسي الطائر» ليس الأول من نوعه في العالم، وإن كان يُشكل تطوراً مهماً في هذا المجال، حيث سبق أن دخلت مدينة دبي الإماراتية عام 2017 هذا المجال بالتعاون مع شركة «فولوكوبتر» الألمانية المتخصصة في صناعة الطائرات بدون طيار «درونز». وحسب مواصفات الطائرة الجديدة التي تم الكشف عنها أخيراً في الولايات المتحدة فإن أهم ما يميزها هو أنها بلا أجنحة، أو مراوح مثل بقية الطائرات الأخرى.

ولديها القدرة على حمل أربعة أشخاص في رحلة بين نقطتين ثابتتين مثل المسافة بين مرآب سيارة ومطار، وعلى الرغم من أنه في وسع طيار أن يقودها، إلا أن التاكسي الطائر قادر على العمل ذاتياً.

وهذه الطائرة هي الأولى من نوعها تقدم في معرض الإلكترونيات الاستهلاكية، ووجوده التي يؤكد تطبيق فكرة شركة «أوبر» القائمة على التاكسي الطائر، وكانت مجرد حبر على ورق قبل عام فقط، ومن المتوقع أن تدخل إلى حيز الخدمة في عام 2020.

وكانت شركة «إيرباص» الأوروبية بدأت العام الماضي في دبي في دولة الإمارات أول تشغيل تجريبي لمركبات طائرة تمهيداً لتشغيلها كـ«تاكسي طائر» على أن التدريب يستمر لمدة خمس سنوات، وقد جاء كرد على مشاكل النقل التي تواجهها العديد من المدن الكبرى.

والطائرة التي تمت تجربتها في دبي واردة من ألمانيا، وذلك بعد أن كانت دبي تستهدف في الأساس استخدام طائرة بدون طيار ذات مقعد واحد من إنتاج شركة «إهانغ» الصينية، والتي كان من المفترض أن تنطلق في أولى رحلاتها التجريبية في تموز/يوليو من العام الماضي.

ويحتوي النموذج المستخدم في دبي على أكثر من 18 مروحة صغيرة ومستديرة ومرتبة، وتتسع الطائرة لراكبين اثنين، وعلى عكس ما كان مخططا له في السابق، فسيكون هناك قائد على متن التاكسي الطائر.

وكانت شركة «EHang» الصينية قد ابتكرت أول طائرة بدون طيار من نوعها لنقل الركاب، وهي طائرة ذات حجم كبير نسبياً تستطيع أن تنقل الركاب في الرحلات القصيرة، على أنها لا تحتاج إلى طيار أو قائد في الجو وإنما يتم التحكم فيها عن بعد من خلال «ريموت كونترول» على الأرض.

والطائرة الصينية عبارة عن «تاكسي طائر» يتيح للركاب تجاوز الازدحامات والتحليق في الهواء من أجل الوصول سريعاً إلى المكان المطلوب، على أن الطائرة مروحية يقل حجمها عن حجم السيارة الصغيرة، وبالتالي يمكن أن تهبط على أسطح البنايات أو في الساحات المحيطة بالمباني، حسب ما أعلنت الشركة في بداية العام 2016. وتقول الشركة إن التنقل عبر هذه الطائرة أمر في غاية السهولة، حيث أن كل ما على الراكب أن يفعله هو أن يحدد الوجهة التي يريد السفر إليها، ومن ثم يطلب هذه الوجهة عبر تطبيق هاتفي إليها، ويسترخي داخل الطائرة لتقوم هي على الفور بنقله إليها.

وتتضمن قمرة الطائرة حاملاً للهاتف المحمول أو الكمبيوتر اللوحي من أجل التحكم في مسار الطائرة، وآخر يمكن للراكب أن يضع عليه كوباً من الشاي أو القهوة أو العصير لاحتسائه خلال الرحلة، إضافة إلى كرسي مريح يجلس عليه الراكب.

علماء روس يبتكرون جهازاً لدراسة المياه على المريخ

لندن – «القدس العربي»:

ابتكر علماء روس جهازا جديدا لقياس الطيف «سبكترومتر» يسمح بدراسة دورة المياه في الكوكب الأحمر وكذلك المعلومات اللازمة عن التغيرات المناخية على كوكب المريخ.

والجهاز الجديد «M-DLC» من ابتكار معهد الدراسات الفضائية التابع لأكاديمية العلوم الروسية بالتعاون مع معهد موسكو للفيزياء والتكنولوجيا. ومن المفترض أن ينصب على منصة الهبوط الروسية لمركبة باستور التابعة لوكالة الفضاء الأوروبية، المقرر إطلاقها في عام 2020 في إطار مشروع «إكزومارس» الدولي.

وكانت المجلة الدولية لعلوم الفضاء قد نشرت في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي مقالا مفصلا عن المعدات المستخدمة والمهام العلمية لهذه المركبة، حيث سيتم التركيز على جو ومناخ المريخ. بعد ذلك، تبدأ المرحلة الثانية التي تتضمن الهبوط على سطح الكوكب على قاعدة خاصة روسية، ستتحول بعد مغادرة الروفر الأوروبي إلى محطة تحتوي على مجمع علمي فيه 11 جهازا ووحدة إلكترونية أحدها جهاز «M-DLC» لجمع المعلومات العلمية والتحكم بها.

ونقلت قناة «روسيا اليوم» عن مدير مختبر معهد الفيزياء والتكنولوجيا إن المهمة العلمية للجهاز ستكون دراسة دورة المياه في الكوكب وجمع المعلومات عن التغيرات المناخية. ويضيف: «كان من المقرر في البداية أن يقوم هذا الجهاز بسبر مجمل طبقات جو الكوكب لتحديد طيف أشعة الشمس التي تمر خلالها. ولكن، نظرا لعدم كفاية المخصصات المالية والوقت المحدد، تم التخلي عن ذلك».

ويقول نائب رئيس مشروع «إكزومارس» أوليغ كوراباليوف: «كان الجهاز في البداية مخصصا لقياس مستوى غاز الميثان في جو المريخ، ولكن تم التخلي عن هذه الفكرة أيضا. لذلك تبقى مهمته الرئيسة قياس نظائر الهيدروجين في بخار الماء ونظائر ثاني أكسيد الكربون».

ويشير كبير الباحثين في معهد الفيزياء النووية في روسيا سيرغي كيتشانوف إلى أن استخدام الجهاز في ظروف جو الكوكب الأحمر سيكون إنجازا كبيرا للعلم في الفضاء.

ابتكار ثوري: مشتقات الحليب والألبان وقود جديد للطائرات

لندن – «القدس العربي»:

تمكن باحثون في ألمانيا من التوصل إلى أحدث صرعة في عالم الوقود النظيف والصديق للبيئة، حيث نجحوا في استخدام الألبان ومنتجات الحليب في عملية تشغيل محركات المركبات والطائرات، بما يعني أنها قد تصبح مستقبلاً بديلاً للمشتقات النفطية التي هي الوقود التقليدي في الوقت الراهن.

وحسب ما أعلن الباحثون في جامعة «كورنيل وتوبنغن» في ألمانيا فقد تمكنوا من تطوير طريقة لتحويل مصل لبن الزبادي (السائل الناتج عن تصفية بروتينات الحليب) إلى زيت أو نفط حيوي يمكن استخدامه في تشغيل محركات المركبات والطائرات.

ونقلت تقارير غربية اطلعت عليها «القدس العربي» عن عالم الأحياء الدقيقة ومهندس البيئة الذي قاد البحث لارس أنغيننت، تأكيده إنه شاهد الانتشار الواسع للزبادي اليوناني في نيويورك بينما كان يعمل في جامعة كورنيل، حيث استخدم منتجو الزبادي أساطيل من الشاحنات لنقل مصل اللبن السائل، وهو ما أعطاه فكرة البحث في إمكانية تحويل هذا اللبن إلى وقود حيوي. وتقول التقارير إن هناك ما يتراوح بين اثنين و3 كيلوغرامات من مصل اللبن المتبقي لكل كيلو غرام من الزبادي. وتنتج الولايات المتحدة وحدها أكثر من 770 ألف طن متري من اللبن اليوناني سنويا، وهو ما يعني أن هذا النوع من الوقود سيكون متوفراً بكثرة وتكاليفه قليلة.

واكتشف مختبر الجامعة الألمانية كيفية تحويل حمض اللبنيك إلى زيت حيوي، فيما يقول أنغينت أن «مصل اللبن سيكون مصدرا جيدا لهذا الحمض». واختبر الباحثون العملية ووجدوا أنها فعالة كما كان متوقعا.

ويمكن استخدام النفط أو الزيت الحيوي المنتج من مصل اللبن، كعلف للحيوانات أيضا. كما قد تساعد قدراته المضادة للميكروبات على استبدال المضادات الحيوية، التي تُستخدم عادة لعلاج حيوانات المزارع.

وقال أنغينت: «إذا كان بالإمكان تغذية الأبقار بالزيت الحيوي، وتصنيعه كمضادات للميكروبات، فيمكن أن تصبح صناعة الزبادي اليوناني أكثر استدامة».

وأنشأ أنغينت شركة لاستكشاف الإمكانيات التجارية لهذه التكنولوجيا، حيث يأمل في استخدام النفط الحيوي بحلول عام 2020.

وتقول جوان إيفانسيك، المديرة التنفيذية لشركة الوقود الحيوي المتقدم في الولايات المتحدة، وهي مؤسسة غير ربحية مكرسة لتطوير الوقود الحيوي، إن أبحاث أنغينت واعدة، ولكن مستقبل الوقود الحيوي يعتمد على العديد من العوامل السياسية والاقتصادية.

يشار إلى أنه منذ أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أعرب المحافظون على البيئة والمصنعون على حد سواء عن أملهم في أن يساعد الوقود الحيوي في التعامل مع تغير المناخ.

«روبوت» مُبتكر لتسلية الأطفال المرضى ومساعدتهم على تقبُّل العلاج

لندن – «القدس العربي»:

تمكن باحث أمريكي متخصص في ابتكار الـ«روبوت» وآليات الذكاء الصناعي من اختراع لعبة روبوتية من شأنها مساعدة الأطفال على تقبل العلاج، وتستهدف بشكل رئيس دعم الأطفال المصابين بمرض السرطان.

واللعبة الروبوتية المبتكرة عبارة عن «بطة» صغيرة تقوم بالعديد من المهام الاجتماعية لصالح الطفل، بما يشكل دعماً نفسياً مهماً له يساعده على تقبل العلاج الذي يخضع له.

ويمكن أن يعيش الروبوت المبتكر جميع الحالات الإنسانية (السعادة والغضب والخوف أو المرض) مثل الأطفال تماما، ومساعدتهم على التعامل بشكل خلاق مع مرضهم، من خلال قوة اللعب.

وتخضع البطة الروبوت التي طورها خبير الروبوتات آرون هورويتز للاختبار، ومن المتوقع أن يتم توزيعها على نطاق واسع مع نهاية هذا العام، حسب ما أوردت جريدة «دايلي ميل» البريطانية في تقرير.

ونقلت الجريدة عن هورويتز قوله إنه كان يعاني من نقص النمو البشري، واضطر لأخذ الحقن اليومية لمدة 5 سنوات. وأوضح أن هذه التجربة جعلته أكثر رغبة في مساعدة الأطفال المصابين بالأمراض، ما أدى إلى تأسيسه شركة «Sproutel» مع شريك التقى به في جامعة نورث وسترن.

وتقوم مرافق الرعاية الصحية من مستشفيات الأطفال إلى دور رعاية المسنين بتجريب استخدام الروبوتات لأغراض الرعاية الاجتماعية والصحة العاطفية لأكثر من عقد من الزمن.

ويختلف التطور التكنولوجي للروبوتات، ولكن لها أهداف مماثلة تتلخص في تحسين حالة المرضى النفسيين، وتذكيرهم بالمهام المتصلة بالصحة أو تحديد الأهداف الصحية.

وقال هورويتز إنَّ أول روبوت اجتماعي أطلقته شركته كان «Jerry الدب» وهو مرافق تفاعلي للأطفال المصابين بمرض السكري، حيث يقدم لهم الإنسولين ويراقب مستويات الغلوكوز في الدم.

وانطلاقا من هذه الفكرة، تحولت الشركة إلى الاهتمام بالأطفال المصابين بالسرطان، حيث تُشخص حالة 11 ألف طفل بالإصابة بالسرطان سنويا في الولايات المتحدة، وفقا للجمعية الأمريكية للسرطان.

ويذكر أن شركة «Aflac» قامت بدفع تكاليف تطوير الروبوت، وقال جون سوليفان المتحدث باسم الشركة، إن غلاف البطة قابل للغسل، حيث يوجد الروبوت داخلها، وسيتم تقديمها مجانا للأطفال الذين شُخصت حالتهم بالسرطان في الولايات المتحدة، ومن المتوقع عرض الروبوت في معرض «CES » في ولاية لاس فيغاس.

وأضاف سوليفان إن الشركة تعتزم الاستمرار في تغطية تكاليف البطة الروبوتية المطورة، على عكس الروبوت «جيري الدب» الذي يمكن شراؤه مباشرة عبر الإنترنت.

ويمكن للروبوت البطة إطلاق أصوات الغابات المطيرة والإيقاعات المساعدة على تهدئة الحالة، كما يحاكي عمليات الاسترخاء ويحتوي على أنبوب قابل لحقن العلاج الكيميائي.

ووجدت دراسة أجراها باحثون في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا قاموا بتطوير دمية تفاعلية روبوتية، أن الأطفال في المستشفى يتفاعلون جسديا ولفظيا مع الروبوت الدب، بشكل أكبر من تفاعلهم مع شخصية افتراضية على شاشة الأجهزة الذكية، أو لعبة تقليدية.

لآلئ معرض مستهلكي الأجهزة الإلكترونية في لاس فيغاس

روبوت يمارس الرقص القطبي
- جيل ووكر، فنان إنكليزي
- يقلد الحركات
- مصنوع من عناصر إلكترونية مجمعة
- يعمل بواسطة محركات ماسحات زجاج قديمة
- رأسه عبارة عن كاميرا مراقبة قديمة

ليس برسم البيع
ابتكار يقوم على المراقبة والأخلاقيات والسلطة

سيارة كهربائية فاخرة
- هنريك فيسكر
- تنافس النماذج البالغة الرفاهية
- قيادة شبه مستقلة
- استقلالية على مسافة 644 كلم

129 000$

قناع تجميل إلكتروني
فوريو
- يوضع على الوجه
- عناية كاملة في 90 دقيقة
- يعمل بواسطة مصابيح «ليد»

279 $ - 179 $

روبوت يتحسس بالمشاعر
أمرون أوتوميشن
- روبوت ذكي يمارس رياضة كرة الطاولة
- يحلل لغة جسد منافسه لتقييم قدراته
- يقدم النصائح ويحفز اللاعب

في المعرض وحسب

حقائب سفر ذاتية التنقل
ترافل مايت
- تسير إلى جانب مالكها
- يمكن التحكم بها من الهاتف الذكي
- تتجنب الحواجز
- تقطع حتى 11 كلم/س

حوالي 1 100$

آلة ترجمة محمولة
تراڤيس
- تترجم محادثات عدة بشكل متزامن
- تعمل بالتوافق مع «الكلاود»
- 80 لغة

199 $

المصادر: الصور لوكالة فرانس برس/ معرض «سي إي أس»/ الشركات

© AFP

اقتصاد

المغرب: مجموع دين خزينة الدولة يواصل وتيرته التصاعدية

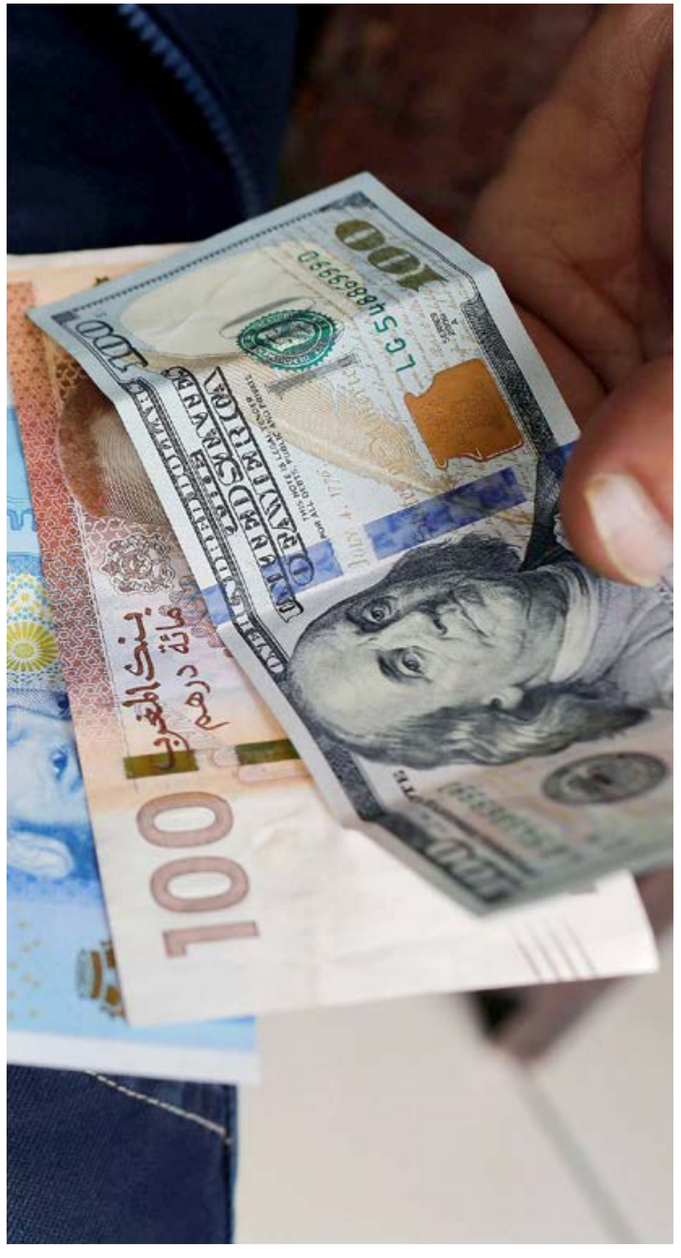

الرباط ـ «القدس العربي»: محمود معروف

أفاد المجلس الأعلى للحسابات وهو سلطة الرقابة المالية الرسمية في المغرب، بأن تنفيذ ميزانية 2016 سجل عجزا قدره 40.6 مليار درهم، (4 مليارات دولار تقريبا) أي بمعدل 4.1 في المئة من الناتج الداخلي الخام، مقابل 3.5 في المئة التي كانت متوقعة في قانون المالية.

وقال المجلس في تقرير حول تنفيذ ميزانية سنة 2016 تناول نتائج تنفيذ هذه الميزانية والمداخيل والنفقات والصناديق الخصوصية للخزينة ومصالح الدولة المسيرة بطريقة مستقلة والمديونية العمومية، أن المداخيل العادية المحصلة حققت 218.9 مليار درهم، في حين بلغت النفقات ما مجموعه 263.8 مليار درهم.

وأشار إلى أن توقعات قانون المالية لسنة 2016 حددت موارد إجمالية قدرها 364.8 مليار درهم وتكاليف بما مجموعه 388.9 مليار درهم، مسجلا أن قانون المالية لسنة 2016 يعد الأول الذي يتم اعتماده بعد صدور القانون التنظيمي المتعلق بقانون المالية رقم 13.130 بتاريخ 18 يونيو 2015.

وخلص المجلس الأعلى للحسابات، من خلال تحليل تنفيذ الميزانية لسنة 2016، إلى أن التنفيذ أسفر عن تحصيل مداخيل عادية تقل عن تلك المتوقعة بحوالي 3.2 مليار درهم، بسبب مجموعة من العوامل أهمها تحصيل مداخيل جبائية أقل من المتوقع بحوالي 2.1 مليار درهم، وبلوغ مجموع النفقات المتعلقة بالتسديدات والإرجاعات الضريبية المنجزة من قبل المديرية العامة للضرائب 9.4 مليار درهم، وتسجيل المداخيل غير الجبائية المحصلة لمبلغ أقل من التوقعات المدرجة في الميزانية، موضحا أن الفارق يعزى أساسا إلى الهبات المتعلقة بدعم الميزانية المقدمة من قبل بعض دول مجلس التعاون الخليجي، حيث بلغت هذه المداخيل 7.2 مليار درهم مقابل 13 مليار درهم متوقعة في الميزانية.

كما تتمثل هذه العوامل في إنجاز النفقات العادية بمستويات تقل عن تقديرات الميزانية بمبلغ إجمالي قدره 11.1 مليار درهم، وتجاوز الرسوم الجمركية لتوقعات الميزانية بأكثر من 1.2 مليار درهم، وهو الأمر الذي يرجع في الأساس إلى المداخيل المستخلصة عقب عمليات المراقبة والمراجعة التي قامت بها إدارة الجمارك والضرائب غير المباشرة والتي ضخت في الخزينة مبلغا إضافيا بلغ 2.8 مليار درهم، إضافة إلى تسجيل مداخيل بحوالي 12 مليار درهم ناتجة عن إجراءات المراقبة والتدقيق، التي قامت بها المديرية العامة للضرائب، مما تأتى معه تحصيل مداخيل إضافية وصلت إلى 15 مليار درهم، أي ما نسبته 7.9 في المئة من إجمالي المداخيل الضريبية المستخلصة سنة 2016. ومن جهة أخرى، توقف تقرير المجلس الأعلى للحسابات عند ضرورة تحسين جودة المعلومات المقدمة، موضحا أن مبلغ العجز الصادر عن وزارة الاقتصاد والمالية والمحدد في 40.6 مليار درهم، لا يتضمن كل الديون المستحقة على الدولة خلال سنة 2016 برسم الضريبة على القيمة المضافة والضريبة على الشركات.

وأضاف التقرير نفسه أنه يتم اعتبار المداخيل الإجمالية للضريبة على القيمة المضافة كما لو تم استيفاؤها بصفة نهائية، في حين أن الخزينة مطالبة بإرجاع جزء منها للفاعلين الاقتصاديين العاملين في بعض القطاعات الاقتصادية، مشيرا إلى أن مخزون دين الضريبة على القيمة المضافة ارتفع برسم سنة 2016 إلى 1.3 مليار درهم، مسجلا ما مجموعه 28.6 مليار درهم.

وحسب المصدر فإن الديون المستحقة على الدولة لفائدة بعض المؤسسات والمقاولات العمومية غير تلك المتعلقة بدين الضريبة على القيمة المضافة، بلغت ما مجموعه 5.5 مليار درهم. وتهم هذه الديون ست مقاولات عمومية ويرى أنه يتم من خلال المعطيات المتعلقة بتنفيذ الميزانية الأخذ بعين الاعتبار المبلغ الصافي للمداخيل الجبائية، أي بعد خصم الحصة المحولة إلى الجماعات الترابية من الضريبة على القيمة المضافة والضريبة على الشركات والضريبة على الدخل، غير أن هذه المقاربة لا تسمح بالإلمام بالمستوى الحقيقي للضغط الضريبي.

ويرى المجلس أن توزيع نفقات الاستثمار بين مختلف مكونات الميزانية قد يؤدي إلى تشتت للمجهود الاستثماري، علما أن العديد من العمليات ذات طبيعة مماثلة أو متقاربة تدرج في فصول الاستثمار لميزانيات الوزارات وبالموازاة مع ذلك في فصل النفقات المشتركة وبعض الحسابات الخصوصية للخزينة.

وأبرز التقرير أن مجموع دين خزينة الدولة واصل وتيرته التصاعدية، إذ ارتفع من 629 مليار درهم سنة 2015 إلى 657 مليار درهم سنة 2016، مسجلا مديونية إضافية بأكثر من 28 مليار درهم أي، بزيادة 4.5 في المئة. كما أبرز أنه تم اكتتاب هذه المديونية الإضافية أساسا في السوق الداخلي، حيث شهدت زيادة قدرها 26 مليار درهم وهو ما يشكل تطورا بنسبة 5.4 في المئة، مقابل تطور محدود للدين الخارجي الذي ارتفع بمليارين درهم، أي نسبة ارتفاع بلغت 1.4 في المئة.

كما «بلغت نفقات خدمة الدين سنة 2016 ما مجموعه 129 مليار درهم مقابل 143 مليار درهم سنة 2015، مسجلا بذلك انخفاضا يقارب 10 في المئة، ما أسفر عن تقليص نسبة خدمة الدين من الناتج الداخلي الخام التي انتقلت من 14.6 في المئة سنة 2015 إلى 12.7 في المئة سنة 2016. ويعزى هذا التحسن، أساسا إلى انخفاض نفقات سداد أصل الدين مقابل استقرار نسبي في تكاليف الفوائد. وقد أدى هذا الانخفاض إلى تقليص نسبة تكاليف الدين مقارنة مع المداخيل العادية، حيث بلغت 12.7 في المئة سنة 2016 مقابل 13.3 في المئة سنة 2015.

خريجون عاطلون عن العمل يحتجون في مدينة سيدي بوزيد مهد ثورة 2011

تونس: كثيرون ازدادوا فقرا بسبب التضخم وإجراءات التقشف

سيدي بوزيد ـ (تونس) ـ رويترز: في مدينة سيدي بوزيد التونسية الفقيرة يقف خريجو جامعات أمام مكتب حكومي ويرددون هتافات ويرفعون لافتات تحمل رسالة للمسؤولين مفادها: وفروا لنا فرص عمل تجنبا للمشاكل.

والمشهد جزء من احتجاجات مناهضة للحكومة انتشرت في مختلف أرجاء تونس خلال الأيام القليلة الماضية. وأثارت الاضطرابات أزمة سياسية جديدة في دولة تعاني بالفعل تحت وطأة إجراءات تقشف يطالب بها مقرضون أجانب، فيما تستجيب السلطات لشروط صندوق النقد الدولي.

وكانت مدينة سيدي بوزيد نفسها قد شهدت قبل سبع سنوات اندلاع احتجاجات حاشدة سرعان ما اجتاحت بقية أنحاء البلاد وأطاحت بالرئيس زين العابدين بن علي في أولى انتفاضات الربيع العربي.

والآن يعود الشبان والشابات الذين قادوا الاحتجاجات في سيدي بوزيد إلى شوارع المدينة المترية المتداعية يشكون من أنهم لم يجنوا الثمار التي بشرتهم بها ثورة 2011.

وينظر إلى تونس على أنها قصة النجاح الديمقراطية الوحيدة في انتفاضات الربيع العربي إذ تضم حكومة الوحدة الحالية علمانيين ينتمون إلى تيار الوسط وإسلاميين معتدلين ومستقلين، لكن على أرض الواقع يعيش أغلب الناس حالا أسوأ من ذي قبل.

وألحقت هجمات مميتة نفذها إسلاميون متشددون ضررا شديدا بقطاعي السياحة والاستثمار المهمين للاقتصاد مما أدى إلى انخفاض قيمة العملة بنسبة 60 في المئة منذ عام 2011 وصعود التضخم لأعلى مستوى في ثلاثة أعوام ونصف العام.

قال بشير حسين «كنا نأمل أن تصبح حياتنا أفضل وأن نحصل على وظائف وسكن. لكن كل شيء أصبح أسوأ».

يشعر حسين، أحد الخريجين الساخطين، بالحرج لأنه لا يزال يعيش في منزل أسرته بعد أن أصبح عمره 32 عاما عاجزا عن العثور على وظيفة مناسبة منذ تخرجه قبل عشر سنوات، وهو مصير يشاركه فيه كثيرون في دولة تصل فيها نسبة البطالة بين الشباب لنحو 30 في المئة. وقال «لا أستطيع أن أتزوج ولم يعد لدي أمل في تحسن الأوضاع».

كان حسين وأصدقاؤه يحدوهم الأمل في أن تساعدهم ثورة 2011 في العمل بالهيئات العامة التي اتسعت بشكل مطرد في عهد بن علي شراء للولاء، إذ بلغ إنفاق تونس على أجور القطاع العام نحو 15 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي وهو من أعلى المستويات على مستوى العالم.

لكن هذا النموذج تداعى مع تراجع صادرات الفوسفات تأثرا بالاحتجاجات المطالبة بفرص العمل، علاوة على تراجع عائدات السياحة، مما دفع تونس للحصول على قروض من صندوق النقد الدولي ودول غربية.

ويريد المقرضون أن توقف الحكومة إنفاق ما يقرب من ثلثي الميزانية على رواتب القطاع العام وأن تركز على التعليم والبنية التحتية لتوفير فرص عمل على المدى البعيد.

ويقول المحتجون في سيدي بوزيد إن السلطات تعهدت في 2015 بتشغيل نحو 60 خريجا من المدينة، وهي بادرة يقول محللون إنها كثيرا ما تستخدم لتثبيط المعارضة. ولم تتجسد مثل هذه الوعود على أرض الواقع قط مع تجميد التوظيف بفعل سياسة التقشف.

وقال حسين «تلقينا وعدا لكن المسؤولين تراجعوا... سنواصل الاحتجاج».

واستجابت الحكومة لضغوط النقابات العمالية من أجل عدم تسريح موظفي القطاع العام، الأمر الذي لا يدع مجالا لتعيين موظفين جدد.

ومن أجل المساعدة في تلبية مطالب الدائنين الدوليين بخفض عجز الموازنة، رفعت الحكومة التونسية منذ بداية العام الجديد الضرائب وكثيرا من الأسعار بدءا بالبنزين وانتهاء بمكالمات الهاتف المحمول، مما أوقع الضرر الأكبر على العاطلين عن العمل.

وفي حين أن الاحتجاجات أصغر مما كانت عليه في 2011، يشعر المستثمرون والدبلوماسيون الغربيون بالقلق من أن تضغط تلك الاحتجاجات على الحكومة لتخفيف الإصلاحات، كما حدث من قبل، لضمان السلم الاجتماعي.

ونتيجة لإثارة هذه المخاوف أيدت حركة النهضة الإسلامية، وهي جزء من الائتلاف الحاكم، دعوات من النقابات العمالية للتراجع عن بعض الإصلاحات بما في ذلك خفض الدعم.

ويقول تشارلي روبرتسون كبير الخبراء الاقتصاديين في رينيسانس كابيتال «أظن أنه سيتعين عليهم التنازل (ولو جزئيا) فيما يتعلق بمطالب الأجور وتأجيل رفع الأسعار».

تقع سيدي بوزيد على بعد 200 كيلومتر فقط من العاصمة تونس على ساحل البحر المتوسط، لكن الرحلة إلى المدينة التي يقطنها 300 ألف نسمة تستغرق أربع ساعات بالسيارة إذ لا يوجد أي طريق سريع أو خدمة سكك حديدية. ويدفع هذا سائقي السيارات للاعتماد على الطرق المتعرجة البطيئة الوعرة بين قرية وأخرى.

وقال عطية العثموني، وهو ناشط من أوائل من دعوا للاحتجاج في سيدي بوزيد بعدما أضرم بائع شاب النار في نفسه حين صادرت الشرطة عربة فاكهته «طالبنا مرارا بالربط بطريق سريع أو خط سكك حديدية كي يأتي المستثمرون، لكن يقال لنا لا توجد أموال».

وأضاف «المال موجود، لكنه لا يوزع على الناس لأن الفساد لا يزال قائما» مشيرا إلى الإسكان المتداعي كدليل على ما وصفه بالاستيلاء على الأموال اللازمة للاستثمار في البنية التحتية.

وينفي المسؤولون الحكوميون هذه الاتهامات ويقولون إن رئيس الوزراء يوسف الشاهد يعطي أولوية لمكافحة الفساد.

وحتى الآن حكم على ثمانية مسؤولين بالسجن لكن البرلمان أصدر عفوا العام الماضي عن شخصيات متهمة بالفساد تنتمي لنظام بن علي، الأمر الذي أثار استياء الكثيرين من عموم الناس.

ومع تجميد التعيين في الوظائف العامة سعى البعض للعمل في المزارع، لكن شبانا كثيرين يقضون أوقاتهم على المقاهي بلا عمل.

وقد اعتادت أسر كثيرة تدبير معيشتها من عائدات الأقارب العاملين في ليبيا المجاورة الغنية بالنفط إلى أن أطيح بمعمر القذافي في انتفاضة مستلهمة من ثورة تونس. لكن ليبيا سقطت في حالة من الفوضى المزمنة.

وغادر أغلب التونسيين ليبيا، لكن مع ارتفاع تضخم أسعار اللحوم وغيرها من السلع بنسبة تزيد على عشرة في المئة عاد البعض رغم خطر العنف.

وقال مهران العلوي (24 عاما) وهو يجلس مع صديق في مقهى في سيدي بوزيد «جئت لتوي من ليبيا وربما أعود في غضون أسبوعين». وأضاف أنه يعمل في متجر على الطريق الساحلي في مدينة الزاوية غرب ليبيا حيث كثيرا ما يحدث تبادل لإطلاق النار بين الفصائل المسلحة.

وقال «هناك مخاطر في ليبيا، لكن في تونس لا يمكنني العثور على عمل والأسعار عالية جدا».

وقال الناشط العثموني إن آلاف الشبان غادروا سيدي بوزيد منذ 2011 سعيا للعمل في الخارج وعادة ما يحاولون السفر بالقوارب إلى أوروبا في هجرة غير شرعية أو ينضمون إلى تنظيم «الدولة الإسلامية» في ليبيا أو العراق أو سوريا.

وأضاف «عندما يتملكك اليأس تفعل أي شيء».

مدن وآثار

صبراتة: تختزل تاريخ ليبيا وتختزن آثارها

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

صبراتة مدينة ليبية ساحلية جميلة تطل على البحر الأبيض المتوسط، وتقع في المنطقة الغربية، وهي قاب قوسين أو أدنى من الأراضي التونسية، وشبيهة من حيث الطقس والتضاريس والمناخ وهندسة المباني والآثار والمعالم التاريخية بالمدن الساحلية التونسية.

وتحدها شرقا منطقة صرمان، وجنوبا الجبل الغربي، والعجيلات من جهة الجنوب الغربي والأراضي الليبية المتاخمة للحدود التونسية غربا والتي تعرف بأراضي زوارة. أما شمالا فإن البحر المتوسط يجعل صبراتة مدينة منفتحة على محيطها وعلى الشعوب القريبة منها في القارتين، السمراء والعجوز.

عراقة

تتحدث أغلب المصادر عن أن الفينيقيين القادمين من المشرق ومن حواضر صور وصيدا وجبيل وطرابلس الشرق وغيرها، والذين هاجروا بأعداد كبيرة إلى السواحل الجنوبية الغربية للمتوسط قرونا قبل ميلاد المسيح، هم من أسسوا صبراتة. وخضعت المدينة لاحقا، مثل سائر المدن الفينيقية في غرب المتوسط، إلى قرطاج التي استقلت بذاتها عن فينيقيي المشرق واختلطت مع السكان الأمازيغ لشمال افريقيا وصارت جمهورية من حيث نظامها، وإمبراطورية من حيث شساعة الأراضي التي خضعت لنفوذها في القارتين الافريقية والأوروبية.

ومع أفول نجم القرطاجيين بعد قرون من الهيمنة على المتوسط واقتحام مجاهل المحيط الأطلسي شمالا وجنوبا، أصبحت صبراتة جزءا من الإمبراطورية الرومانية. وتم ضمها إلى مقاطعة أفريكا الرومانية التي تضم الأراضي التونسية أساسا وجزءا من الغرب الليبي وجزءا من شرق الجزائر والذي أصبحت عاصمته مدينة قرطاج التي أعاد الرومان بناءها بعد تدميرها وحرقها من قبلهم. ومدن «صبراتة» و «أويا» و «لبدة» هي المدن الثلاث التي جعلت الرومان يطلقون على أويا تسمية تريبوليس «المدن الثلاث» التي أصبحت طرابلس الغرب.

وخضعت صبراتة بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية للوندال ثم البيزنطيين «الرومان الشرقيون» إلى أن جاء الفتح الإسلامي وافتك المسلمون صبراتة من القسطنطينية وقضوا على هيمنة البيزنطيين. وخضعت المدينة مثل سائر مدن بلاد المغرب لولاة القيروان الذين يعينهم الأمويون من دمشق. ثم خضعت صبراتة لحكم بني الأغلب الذين استقلوا في افريقيا (جزء من بلاد المغرب الإسلامي) في زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد، إلى أن جاء الفاطميون وأسسوا مدينة المهدية «تونس» ثم عادوا إلى القيروان «تونس» ومنها إلى القاهرة «مصر» حيث نقلوا إليها ملكهم محرضين بني هلال وبني سليم على الهجرة نحو بلاد المغرب.

استوطن عدد هام من قبائل بني سليم العربية في مدينة صبراتة وشهدوا حكم الموحدين وورثتهم الحفصيين وساهموا في تعريب المدينة. ومع قدوم العثمانيين أصبحت طرابلس إيالة مستقلة بذاتها بعد أن كانت جزءا من الدولة الحفصية في تونس، وأصبحت جزءا من إيالة طرابلس العثمانية التي أنهى وجودها الاستعمار الايطالي.

معالم

ترجع أغلب آثار المدينة إلى القرنيين الأول والثاني بعد الميلاد حين قام الرومان بإعادة بناء الآثار البونية «القرطاجية» وخصوصا المعابد والساحات العامة ومقرات مؤسسات الدولة والأماكن العامة من حمامات ومسارح وغيرها. كما أعيد بناء الأحياء السكنية البونية التي تشبه في هندستها أحياء قرطاج التي خضع لها قبل انهيارها ما يعرف اليوم الغرب الليبي.

ولعل أشهر الصور الماثلة في الأذهان عن صبراتة، صورة المسرح الأثري الذي حافظ على هندسته المعمارية الجميلة حتى أصبح رمز المدينة بامتياز وأشهر ما فيها. كما تضم الفوروم الأثري والبازيلكا وكنيسة جوستينيان وتتميز أيضا برسومها الفسيفسائية التي تعود إلى العهد الروماني. وتعتبر آثار صبراتة تراثا عالميا مصنفا من قبل اليونسكو حاز على شهرة واسعة لكنه غير مستغل الاستغلال الأمثل للتعريف بالمدينة وعمقها الحضاري. فلا تقام فيها مثلا مهرجانات كبرى أو تظاهرات تساهم في التعريف بها كما يحصل في جوار ليبيا من ناحية الشرق والغرب على حد سواء.

وخشي كثر على هذا التراث الإنساني الذي تزخر به صبراتة من الجماعات التكفيرية التي سيطرت على المدينة في وقت ما وكادت أن تحولها إلى إمارة تكفيرية. فقد سبق لحملة الفكر ذاته أن عبثوا بمدينة تدمر الأثرية السورية على مرأى ومسمع من العالم ولا شيء كان يوحي بأنهم سيتصرفون بخلاف ذلك ويحترمون آثار صبراتة ومعالمها الرائعة.

صبرة العربية

وعن صبراتة، وبخلاف ما ذهبت إليه مصادر تاريخية عديدة، يقول ابوعجيلة علي جابر، مستشار رئيس الهيئة العامة للسياحة والعلاقات والتعاون الدولي في ليبيا وعضو اللجنة الدائمة لاتحاد بلديات التراث العالمي في حديثه لـ«القدس العربي»: «مدينة صبراته ليبية سماها اليونانيون (لبرزوتون بولس كاي ليمن) منذ ألف سنة قبل الميلاد، وتذكر المصادر التاريخية ان اليونانيين هم من أسسوا هذه المدينة، ثم وقعت تحت سيطرة الرومان، وعرفت باسم (صبراتن) وتعني سوق الحبوب، كما كانت تعرف باسم (صبره) عند العرب وبهذا الاسم ذكرها ابن خلدون في تاريخه والتيجاني في رحلاته. واسم صبراتة اليوم لا يشمل المدينة الأثرية فحسب بل كل المدينة».

ويضيف: «تشتهر المدينة بالإرث الحضاري والأثري المكتشف والذي ما زال قيد الدراسة والتنقيب، وهي مدينة عربية إسلامية يتكلم أهلها اللغة العربية ويدينون بالإسلام، فتحها عمرو بن العاص. وتقع المدينة غربي طرابلس العاصمة بحوالي 67 كيلو مترا، وتطل على ساحل البحر المتوسط ويسكنها عدد من القبائل الصغيرة كلهم ينتمون إلى القبيلة الأم «العلالقة» ويصل عدد سكانها حسب آخر إحصائيات عام 2010 إلى 102038 مواطنا، كما اشتهر أهالي صبراتة بالتجارة والزراعة وصيد الأسماك».

ويؤكد أبو عجيلة على أن صبراتة دخلت لائحة التراث العالمي في 17 كانون الأول/ ديسمبر 1982 وهي تعتبر من أهم المواقع الأثارية والسياحية في ليبيا، وتتميز بالطقس المعتدل وشاطئ البحر والحركة التجارية المزدهرة والاستقرار ورقي ثقافة أهلها. وأدرج الموقع الأثري صبراتة على قائمة التراث العالمي المهدد بالخطر في تموز/يوليو 2016 شأنه شأن مواقع التراث العالمي الليبية الخمسة «لبدة ـ شحات ـ غدامس ـ النقش الصخري أكاكاوس» وذلك نظرا لعدم الاستقرار السياسي والأمني الذي تفاقم مؤخرا عام 2014. وتبذل الجهود حاليا لإعادة الموقع من لائحة الخطر بعد استكمال كل الإجراءات المعتمدة في منظمة اليونسكو.

ولم تشهد المدينة، حسب محدثنا استقرارا أمنيا بعد 17 شباط/ فبراير 2011 نتيجة انتشار الميليشيات المسلحة والجماعات المؤدلجة والجريمة وتهريب المهاجرين غير القانونيين عبر المتوسط من قبل عصابات محلية ودولية. ومع ذلك كله فان السلطات المحلية في المدينة قائمة بدورها المنوط بها، الأمر الذي يجعلها

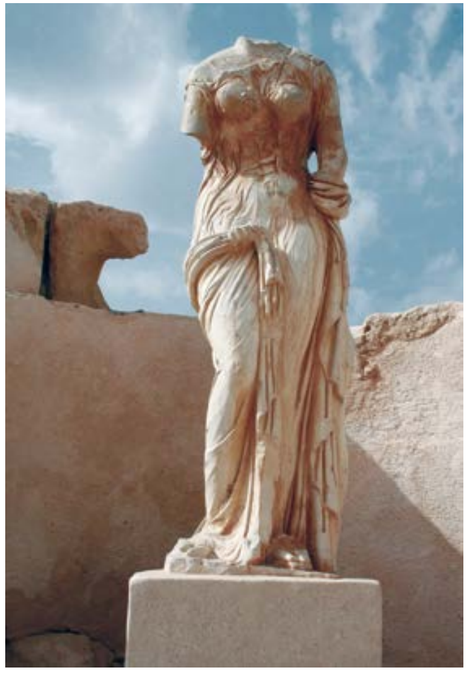

تتميز بجودة الخدمات، ونظافة الشوارع والأزقة، واستمرار مرافقها في العمل من حيث التعليم الجيد والصحة، حيث يقدم مستشفى صبراتة التعليمي، والمعهد القومي لعلاج الأمراض خدماته لكل سكان المنطقة الغربية دون توقف.

ويضيف الباحث والمؤرخ الليبي: «لقد نظمت المدينة عددا من المؤتمرات والاجتماعات وورش العمل وأهمها تجمع دول الساحل والصحراء عام 2009 والمؤتمر الذي جمع كل بلديات ليبيا في العام 2014. واكتسبت صبراتة أهميتها ماضيا وحاضرا وربما مستقبلا من موقعها الجغرافي المتميز، وقبول أهلها للآخرين، ومن الموقع الأثري والمرافق العامة وأهمها مجمع مليتة لتصدير الغاز الذي يقع على أطرافها الغربية في الحدود مع مدينة زوارة».

اقتصاد متنوع

ومثل أغلب المدن الحدودية، توجد في صبراتة حركة تجارية نشيطة تساهم في تطوير التجارية البينية التي تعتبر الأرقام المتعلقة بها جد ضعيفة في بلدان المغرب العربي. ففي ليبيا بضائع مدعمة واستيراد لكل شيء الأمر الذي يجعل أسواق المدن الحدودية الليبية مثل صبراتة قبلة التونسيين لاقتناء ما تحتاجه السوق.

ويعتبر سوق العلالقة الذي تجاوزت شهرته حدود ليبيا أهم أسواق صبراتة على الإطلاق بالنظر إلى حجمه وتعدد أنواع البضائع المعروضة فيه واستمراره يومين كاملين أسبوعيا. ويهتم بما يعرض بهذا السوق الليبيون وغير الليبيين من العرب والافارقة على وجه الخصوص وذلك قبل أن تتفجر الأوضاع في 2011 وتقل أعداد الوافدين الأجانب على ليبيا.

وباعتبارها مدينة تاريخية، فإن صبراتة تزخر بموروث حضاري كبير تجسد في الصناعات التقليدية الموروثة عن الأجداد. ومن بين الصناعات التي برع فيها أهلها، السجاد وصناعة الحلي وحياكة اللباس التقليدي الخاص بالمدينة. وقد برع الليبيون في هذه الصناعات في مرحلة ما قبل اكتشاف البترول وكان إلى جانب الصيد البحري عماد الاقتصاد الليبي.

وبخلاف أغلب المدن الليبية، يتعاطى كثير من أهالي صبراتة النشاط الزراعي باعتبار خصوبة الأراضي المحيطة بها والمناخ المعتدل وتوفر المياه بكميات معتبرة. وترتكز الفلاحة «الصبراتية» على أنواع الزيتون والأشجار المثمرة وغيرها، وتغيب الزراعات الكبرى والسقوية التي تحتاج إما تساقطات موسمية كبرى أو وجود مياه الري بشكل دائم ومتى احتاجها الفلاح.

وصبراتة أيضا غنية بالنفط تضم أساسا حقل بحر السلام الواقع على بعد 110 كيلومترات من الساحل الليبي. ويضم الحقل آبارا متعددة تحت سطح البحر ومنصة عائمة مثبتة في البحر بعمق 190 متراً وتتكون من منشآت للفصل والمعالجة المبدئية للغاز المنتج وما يلزم لصيانة الآبار المحيطة بالإضافة إلى مرافق لإسكان العاملين طاقة استيعابها 120 شخصا، وتضم أيضا مهبطا للمروحيات. وتقدر طاقة إنتاج هذا الحقل 986 مليون قدم متر مكعب من الغاز و 31 ألف برميل من النفط الخام يوميا، ويصدر النفط والغاز بعد معالجتهما إلى ايطاليا.

رياضة

كيف أثبت برشلونة كذب رونالدو؟ وما دور كوتينيو مع فالفيردي؟

لندن ـ «القدس العربي»: عادل منصور

ضربت إدارة برشلونة مصداقية أسطورة البرازيل الظاهرة رونالدو، في مقتل بالعمل الكبير الذي قام به الرئيس جوسيب ماريا بارتوميو، وكل من ساهم في إتمام الصفقة المُنتظرة منذ أغسطس/آب الماضي، بالحصول على توقيع جوهرة ليفربول فيليب كوتينيو، مقابل رسوم تخطت حاجز الـ140 مليون جنيه إسترليني، كأغلى ثاني لاعب في التاريخ بعد زميله في المنتخب نيمار.

رأي الظاهرة

بالصدفة البحتة ظهر أمامي إعلان ممول من إحدى الصحف الألمانية الرياضية الشهيرة، وما أثار فضولي أن الإعلان خاص بمقابلتها الحصرية مع أيقونة جيلي، الذي أحدث طفرة في مركز رأس الحربة، بسرعته الجنونية ومهارته في المراوغة وإنهاء الهجمة بشكل نموذجي يَحلم به أي مدرب في العالم. اعتقدت أن الظاهرة سيتطرق لأشياء ومواقف حدثت خلف الكواليس عندما كان لاعبا، بمعنى أدق جرعة «نوستالجيا»، مع كلماته الدبلوماسية المعروفة عنه بحُكم شخصيته وطبعه الخجول، لكن هذه المرة كان حادا على غير عادته في انتقاده لسياسة إدارة النادي الكتالوني للاعبين أصحاب الجنسية البرازيلية، لدرجة أنه قال: «لدى برشلونة مشاكل دائما مع أبناء وطني». للوهلة الأولى، شعرت أنه على صواب لأنه لم يكتف بنفسه كشاهد عيان على سوء معاملة الكتالان له في نهاية موسمه الأول والوحيد في «كامب نو»، بل اعتبر الثلاثي رومـاريـو ونيمار ورونالدينيو من أبرز ضحايا سوء معاملة برشلونة، لكن في اليوم التالي، أبرزت وسائل الإعلام في إسبانيا وإنكلترا مدى الاهتمام الكبير الذي أظهره النادي في إصراره على ضم هدفه الرئيسي المُجمد من فصل الصيف، والمفارقة أن هذا اللاعب الذي استمات عليه برشلونة يَحمل نفس الجنسية المُضطهدة داخل «البلوغرانا» من وجهة نظر رونالدو، اضافة إلى أنه تلاعب بالألفاظ ليبعث برسالة مفادها باختصار «حذاري من انتقال البرازيليين إلى برشلونة، والعكس تماما بالنسبة لريال مدريد».

كما يقولون على نجاح أفلام السينما العربية «كسر الدنيا». هذا تقريبا أقل وصف لموسم الظاهرة رونالدو مع برشلونة، صحيح هو ترك بصمة لا يُستهان بها مع الريال، لكنه لم يكن رونالدو الحقيقي الذي كان يشق طريقه من وسط المدافعين كالبرق بقميص البارسا، ومستواه في هذه الفترة بالذات لا يقارن أبدا بمستواه في أي فترة، باستثناء فترة ما قبل إصابته بقطع في الرباط الصليبي الأولى مع الإنتر بعد كأس العالم 1998، لكن على ما يبدو أنه أسقط من ذاكرته هذا الماضي الجميل بالنسبة له كلاعب بعيدا عن انتمائه الشخصي بعد الاعتزال، أما إذا أعاد مراجعة حساباته، سيكتشف أن هناك قصة عشق خاصة بين برشلونة وأبناء وطنه، بدأت في الثلاثينات، وتفجرت أكثر من أي وقت مضى بعد تطبيق نظام الاحتراف بصورته الحديثة في منتصف التسعينات.

جرح قديم

قد يَهضم المتابع العادي قبل الناقد أو الصحفي، أن المهاجم الذي يعتبره أغلب من هم فوق الـ30 عاما أفضل رأس حربة عرفه التاريخ، مُحقا في عدائه الشخصي مع إدارة برشلونة، استنادا لروايته التي شرح فيها أحداث انقلاب الرئيس عليه بعد انتهاء موسم 1996–1997، وقال باختصار أنه تفاجأ بقرار الإدارة بفسخ عقده بعد أقل من شهر على التوقيع الجديد، بموجب اتفاق مُسبق مع الإنتر بإتمام الصفقة مقابل تسديد قيمة الشرط الجزائي، التي كانت تُقدر بنحو 20 مليون يورو، آنذاك، أما ما يَصعب هضمه هو تعميمه لمشاكل اللاعبين البرازيليين مع برشلونة، كيف وهـؤلاء بالذات أكثر من تركوا بصمة عند جماهير النادي في كل بقاع الأرض قبل أو بعد أبناء الإقليم، وإلا لما أصبح قميص برشلونة الثاني في قائمة الأكثر مبيعا في بلاد الساما، وهذا بطبيعة الحال لم يأت من فراغ، بل ترسيخ وإثبات على شعبية النادي الجارفة في وطن السحر، برعاية أساطير السيليساو، الذين دشنوا لهذه الشعبية في كل العصور، بداية من فقيد الشباب فاوستو، الذي يُعتبر أول ساحر يرتدي قميص البلوغرانا على سبيل الإعارة عام 1931 وحتى كوتينيو، الذي بالمصادفة الغريبة أصبح ثاني أغلى لاعب في العالم بعد ابن وطنه نيمار، ويا للعجب يا ظاهرة البارسا قاسما مشتركا في الصفقتين!

بـعيدا عن مساهمة أباطرة البرازيل في بناء العلاقة المميزة جدا بين البارسا وجماهير البلد الفائز بكأس العالم خمس مرات، فجُل التجارب أثبتت أن اللاعب البـرازيـلي بوجه عـام يملك كل مقومات النجاح في «كامب نو»، حتى لـو لـم يكن من أصحاب المـهـارات الخـارقـة كريـفـالـدو وروماريو ونيمار، ولنا في المدافع العادي جدا بيليتي، الذي أهدى النادي لقب دوري أبطال أوروبا عـام 2006، بفضل هـدف الفوز الـذي سجله فـي آرسـنـال في آخر دقائق نهائي «سـان دونـي» الشهير، حتى سيلفينو لم يفشل مـع الـبـارسـا، فما بـالـك بنجوم الصف الأول وما أكثرهم! غير أن هناك إحصائية تقول أن برشلونة أنفق 482.5 مليون يـورو لشراء 23 لاعبا برازيليا منذ 1993 من أصل 33 لاعبا من نفس البلد مروا على الفريق منذ بداية الثلاثينات، ومن ضمن هذا المبلغ الذي يُقارب النصف مليار يـورو، الـ142 التي أُنفقت على كوتينيو، وهو مُرشح فوق عادة للانفجار مع ميسي في المرحلة المقبلة. والسؤال الآن: هل هـذه الإدارة تُسيء التعامل مع أبناء وطن الظاهرة؟ وإن كانت هذه إساءة فكيف تكون المُعاملة الجيدة في زمن الاحتراف الذي يبحث فيه اللاعب عن مصلحته قبل ناديه؟

ما دور كوتينيو في المرحلة المقبلة؟

هو السؤال الأكثر انتشارا في الآونـة الأخيرة. الواقع يقول أن أغلى صفقة في تاريخ البريميرليغ لـن يـكـون لـه أي دور فـي كتيبة ارنسـتـو فـالـفـيـردي فـي دوري أبطال أوروبـا، بعد مشاركته في دور المجـمـوعـات مـع ليفربول، وهـذا يعني سيكتفي باللعب في الـدوري المحسوم عمليا وكأس إسبانيا، التي لم تُغادر «كامب نو» في السنوات الأربع الماضية، وسـيـكـون المستفيد الأول هو الرسام أندريس إنييستا، الذي سيلتقط أنفاسه ليُخرج أفضل ما لديه في دوري الأبـطـال، قبل أن يُسلم الراية لخليفته كوتينيو، عكس مـا يُـقـال أن الأخـيـر جاء ليعوض نيمار، وهو بنفسه قال في مؤتمر تقديمه للصحفيين أنه مُختلف تماما عن نجم باريس سان جيرمان، وطريقة لعبهما مختلفة. وبالنظر إلى أسلوب كوتينيو عن كثب، سنجد أنه يُجيد بكل سلاسة فـي كل الـطـرق سـواء فـي خطة «الـدايـمـونـد» كما فعل مع مدرب ليفربول السابق برندان رودجرز، أو أسلوب شجرة الكريسماس 4–3–2–1 ومشتقاته، وهـذا بفضل موهبته فـي الاحـتـفـاظ بالكرة والـقـدرة على أخذ المكان المثالي بين العمق وطرف الملعب الأيـسـر، لنثر إبـداعـه فـي المـرور بطريقة السهل المُمتنع من لاعبي الوسط والمدافعين، مع كثرة حلوله التي تتجلى دائمًا في تمريراته الدقيقة جدا في الثلث الأخير من الملعب، ناهيك عن إبداعه في وضع زميله المهاجم باللهجة التونسية الدارجة «رأس برأس مع الحارس» وهذا بلمسة واحدة تكون أشبه بالمُخدر في أجساد المدافعين، كذلك يملك سلاح التصويب من خارج منطقة الجـزاء، بالتسديدات المُقوسة الصعبة جدا على الحـراس التي يُطلقها بيمناه من الطرف الأيسر ووجه للملعب في المكان المستحيل في المرمى.

الفارق بين كوتينيو ونيمار، أن الأخير تغلب عليه غريزة «الهداف القـاتـل»، ربمـا لهلعه بمقارعة رونالدو وميسي في عدد الأهداف، وحلمه في الظفر بجائزة أفضل لاعـب فـي العالم يُجبره بشكل لا إرادي عن البحث عن تسجيل الأهـداف، والدليل على ذلك ما فعله مع كافاني ليسلب منه ميزة تسديد ركـلات الجـزاء، عكس الآخر، الذي عندما تُشاهده للمرة الأولى تشعر أنه من طينة لاعبي الوسط «المُبدعين». أسلوبه الذي يشبه القاتل البريء لا تُشاهده إلا في قدم لاعب بدرجة «مايسترو» كإنييستا ومن قبله تشافي، لذا في الغالب سيعتمد عليه فالفيردي في مركزه مع يورغن كلوب، كلاعب صانع ألعاب «وهـمـي» يفعل ما يحلو له من الجهة اليسرى، ويكون على مسافة قصيرة من المُكلف بنفس مهامه في الجهة الأخرى والمهاجم الثالث، لإرباك المدافعين بحل المراوغة أو ممارسة هوايته المُفضلة بالتمرير بشكل عمودي سواء في العمق لرأس الحربة أو اللاعب القادم من الخلف، أو بمد الظهير الأيسر بالذات بهدايا لا ينقصها إلا لسة دقيقة للمتواجد على القائم القريب. لنا أن نتخيل أن فالفيردي يلعب 4–3–3 بوجود الثلاثي ميسي وكوتينيو وسواريز أمامهما كمهاجم صريح، وفي الـوسـط الـثـلاثـي بوسكيتس كلاعب محوري ومعه باولينيو أو راكيتيتش في الجهة اليمنى وإنييستا بالقرب من البرازيلي الجديد في الجهة اليسرى، هنا لـن نُشاهد ميسي يعود لوسط الملعب مرة أخرى للقيام بأدواره الـدفـاعـية، والأهـم من ذلـك أنه سيجد من يُـعـاونـه على تقديم حلول جديدة في الشق الأمامي، بعد ظـهـور عيب غـيـاب اللاعب المُـبـدع فـي وسـط الملعب بسبب ضغط المباريات على إنييستا مع تقدمه في السن، لذا كنا نُشاهد ليو يفعل بمفرده كل شـيء في النصف الأول، لكن وجود كوتينيو بالقرب منه على حـدود منطقة الجزاء، سيكون بمثابة «المتنفس» الجديد للفريق، لتخفيف الضغط على ميسي، وإذا نجحت الطريقة، لا يُمكن لأحد أن يتخيل ما سيفعله «البرغوث» إذا تحرر أكثر داخل منطقة الجـزاء، وهـذا ما يرسمه لنفسه في السنوات المقبلة، وهو إيجاد مكان سحري ليُجدد شبابه بنفس الطريقة التي فعلها رونالدو بتعديل مكانه من رقم 7 إلـى 9 صريح.

وفـي طريـقـة 4–4–2 يُمكن لكوتينيو أن يقود رأس المأسة ليكون أقـرب لاعـب وسـط أمـام ثنائي الهجوم، أو لاعب وسط ثان جهة اليسار، بأدوار هجومية، وهو مركز لا يختلف كثيرا عن مركزه المُـفـضـل، وبـوجـه عـام، ستكون المفاضلة بين كوتينيو وإنييستا وراكـيـتـيـتـش، وفـي المـبـاريـات الصعبة التي سيخوضها الفريق خارج ملعبه، قد يبدأ ببوسكيتس ومـعـه راكيتيتش وكوتينيو أو إنييستا، أما في المباريات التي يلعبها الفريق أمام فرق تُدافع بكل خطوطها في «كامب نو»، سيُشرك إنييستا وكوتينو معا على أن يكون بوسكيتس لاعب الوسط المُلتزم بـأدواره الدفاعية وعمل التغطية العكسية عـلـى الأظـهـرة، وفي الأمام سيتسلح بميسي وسواريز وديمبيلي. عموما برشلونة أصاب الهدف بتوقيعه مع لاعب من طراز عالمي وموهبته ستُساعده على الانتصار سريعا مع الفريق وفي أي مركز يختاره فالفيردي، لأن من شاهده مع ليفربول في آخر عامين بالتحديد، يعرف جيدا أنه يُجيد اللعب في كل مراكز لاعب الوسط المهاجم، وأيضا يُمكن الاعتماد عليه كمهاجم وهمي، ولا ننسى أن نجاحه سيكون ردا عمليا جديدا على مزاعم الظاهرة رونالدو حول سوء تعامل النادي مع أبناء وطنه.

فيليب كوتينيو

روسيا... بؤرة الأحداث الرياضية في 2018

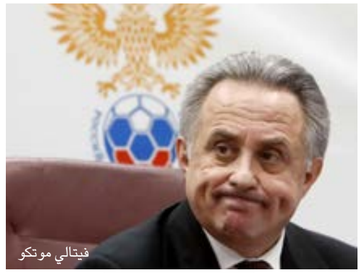
فيتالي موتكو

لندن ـ «القدس العربي»:

خلال عام 2018، تأتي دورة الألعاب الأولمبية الشتوية المقررة بكوريا الجنوبية (بيونغتشانغ 2018) وبطولة كأس العالم 2018 لكرة القدم على رأس الفعاليات الرياضية الأكثر أهمية في العالم، ما يضع روسيا في بؤرة دائرة الضوء نظرا لاستضافتها المونديال ومشاركة رياضييها في الأولمبياد الشتوي كمستقلين تحت العلم الأولمبي.

وفي ظل قضية المنشطات التي هزت أرجاء الرياضة الروسية والمتعلقة بادعاءات تطبيق نظام ممنهج ومدعوم من الدولة لانتشار المنشطات بين الرياضيين الروس، حرمت اللجنة الأولمبية الدولية روسيا من المشاركة في بيونغتشانغ 2018 التي تقام بين 9 و25 شباط/فبراير المقبل. لكن اللجنة الدولية سمحت بمشاركة نحو 200 رياضي روسي في الأولمبياد الشتوي كرياضيين مستقلين بدون رفع العلم الروسي أو ترديد النشيد الوطني الروسي، وإنما يحل مكانهما العلم والنشيد الأولمبيان، وفتحت الباب أمام إمكانية رفع العلم الروسي خلال حفل الختام. وقال الكسندر جوكوف رئيس اللجنة الأولمبية الروسية: «رياضيونا يجب أن يذهبوا إلى كوريا الجنوبية ويحققوا الفوز من أجل المجد لروسيا». وإلى جانب قضية المنشطات الروسية، تواجه دورة الألعاب الأولمبية الشتوية تحديات أخرى، بينها التوترات في شبه الجزيرة الكورية والمتعلقة بالبرنامج النووي لكوريا الشمالية وبرامج الصواريخ، وكذلك بطء عملية بيع تذاكر الدورة. وتسجل عمليات بيع تذاكر مباريات كأس العالم أرقاما أفضل بكثير، ولكن قضية المنشطات ألقت بظلالها في فترة الاستعداد للمونديال أيضا. فقد أعلن نائب رئيس الوزراء الروسي فيتالي موتكو رحيله عن رئاسة الاتحاد الروسي لكرة القدم لمدة ستة أشهر، علما أن اللجنة الأولمبية الدولية فرضت عليه الإيقاف مدى الحياة عن ممارسة أي عمل يتعلق بالدورات الأولمبية. وتخلى موتكو أيضا عن رئاسة اللجنة المنظمة للمونديال. وكان ريتشارد مكلارين، المحقق المكلف من الوكالة العالمية لمكافحة المنشطات (وادا)، ادعى أن النظام الممنهج للمنشطات طال أيضا لاعبي كرة قدم، ربما بينهم من ينتمي للمنتخب الأول، لكن موتكو نفى ذلك بلهجة حادة، ولم يتخذ الفيفا أي إجراء بحق أي لاعب. ويتطلع المنتخب الروسي صاحب الضيافة إلى تجاوز دور المجموعات بالمونديال، المقرر بين 14 حزيران/يونيو و15 تموز/يوليو، بينما تصب ترشيحات التتويج باللقب لصالح ألمانيا وفرنسا والبرازيل. ولم تسفر قرعة المونديال عما يوصف باسم «مجموعة الموت»، وأبدى يواخيم لوف مدرب المنتخب الألماني تفاؤلا بشأن التأهل بدون عناء من المجموعة التي تضم المكسيك والسويد وكوريا الجنوبية. وقال لوف: «إنها مجموعة شيقة للغاية من الناحية الرياضية. نود أن نضع من خلال المجموعة أساسا لانطلاقنا نحو الحفاظ على اللقب.» كذلك يشهد العام الجديد بطولة مهمة في وقت مبكر، هي بطولة أستراليا المفتوحة للتنس، أولى بطولات «غراند سلام» الأربع الكبرى في الموسم والتي تشهد حلقة جديدة في مسلسل الصراع بين النجمين السويسري روجيه فيدرر والأسباني رافاييل نادال، خاصة بعد استعادة مستواهما في 2017. كذلك ينتظر عودة نجمة التنس الأمريكية سيرينا وليامز، المصنفة الأولى على العالم سابقا، إلى الملاعب من جديد بعد إنجاب المولود الأول، وقد تعادل الرقم القياسي المسجل باسم مارغريت كورت، المتمثل في إحراز 24 لقبا في منافسات الفردي ببطولات «غراند سلام». كذلك يتجدد الصراع بين النجمين البريطاني لويس هاميلتون والألماني سيبستيان فيتيل في بطولة العالم لسباقات فورمولا–1، حيث يسعى كل منهما لإحراز اللقب للمرة الخامسة في مسيرته.

رالي داكار 2018

استيفي... سائق الدراجات البخارية القعيد أبرز المشاركين

ليما ـ «القدس العربي»:

عاش الإسباني ايسيدري استيفي أفضل لحظات مسيرته كسائق دراجات بخارية في العام 2007 رغم تعرضه آنذاك لحادث خلال بطولة في إسبانيا أقعده على مقعد متحرك حتى الآن، بيد أن شجاعته وشغفه بالرياضة أعاداه ليكون بين قائمة المشاركين في رالي داكار 2018.

وقال استيفي: «الحادث وقع في السباق الأول من بطولة إسبانيا لرالي المرتفعات، كنت في الجزء الأخير وخلال مروري بإحدى المسارات أخبرني فريقي المساعد أنني أبتعد عن المركز الثاني بخمس دقائق وأن أمامي 20 كيلومترا لأصل خط النهاية، لقد كان فارقا كافيا من أجل أن أسترخي، وربما استرخيت بشكل مبالغ فيه». وأضاف السائق الإسباني (45 عاما) المولود بإقليم كتالونيا: «وعلى مقربة من أحد الأنهار وعندما كنت أمر من مسار إلى آخر سقطت في منطقة مليئة بالأحجار لأتعرض لكسر في الفقرتين السابعة والثامنة من العمود الفقري، ونتيجة لذلك اصبحت قعيدا على مقعد متحرك». وخلال الأشهر الأولى التي تلت الحادث، كان استيفي يفكر في فقط في كيفية إعادة ترتيب أوضاعه المعيشية والوصول إلى الاعتماد على الذات. وعندما اكتشف من خلال عمليات التأهيل أنه قادر على الوصول إلى هذا الهدف، قرر العودة إلى شغفه برياضة المحركات، الذي بدأ مسيرته معها عندما كان شابا يافعا.

وقال استيفي ضاحكا: «بطبيعة الحال لم يكن بمقدوري قيادة دراجة بخارية، ولهذا أضفت لها إطارين أخريين، لقد رأيت أن المشاركة في منافسات السيارات أمرا ممكنا وهنا قلت هذا هو ما يتعين علي فعله». وفاز استيفي بسباق إسبانيا للدراجات البخارية خمس مرات وبسباق اندورو الإسباني مرتين عامي 1992 و1999. وعاد استيفي، الذي شارك في 10 نسخ من رالي داكار في أفريقيا، إلى هذه البطولة السنوية في 2009 كسائق شاحنات، ومنذ ذلك الحين اجتهد كثيرا ليصبح من أفضل 20 سائقا في هذه المسابقة. وتابع استيفي قائلا: «سياراتي تشبه باقي سيارات الآخرين، فقط هناك شيئان مختلفان: بما أنني لا أستطيع أن أستخدم ساقاي فتوجد لدي ثلاث حلقات في إطار القيادة، إحداها إطار القيادة نفسه وأخرى للمكابح والأخيرة لدواسة الوقود، في ناقل الحركة لدي ذراع يمثل فاصل الحركة (الدبرياج)، أمام باقي الأشياء فهي عادية». ويعد أمرا ضروريا للسائق الإسباني وجود مسند بمقعد القيادة ينتج نوعا من الضغط من خلال أكياس هوائية، وذلك حتى يتمكن من القيادة لمدة 16 ساعة متواصلة بدون أن يتعرض لإصابات. واستطرد استيفي قائلا: «أنا سعيد للغاية لأن هذ الحادث لم يمثل مشكلة لي للمنافسة في مستوى آخر، لقد اضطررت لوضع إطارات إضافية في السيارة ولكن العودة إلى داكار والوقوف على خط الانطلاق هو منحة كبيرة». وانطلق رالي داكار السبت الماضي في بيرو، التي ستستضيف الجانب الأعظم من السباق، الذي يمر بعد ذلك ببوليفيا وينتهي في 20 من الشهر الجاري بمدينة قرطبة الأرجنتينية.

يذكر أن المتسابقين خلال هذا السباق سيخوضون 14 مرحلة. ويعتبر رالي داكار السباق الأكبر في عالم المحركات عالميا ويجمع 500 سائق من 54 دولة مختلفة وتمتد مساراته إلى تسعة آلاف كيلومتر، بعضها تتشكل من كثبان رملية والبعض الآخر عبارة عن أراض وعرة يصل ارتفاعها إلى ثلاثة آلاف متر.

الياباني السبعيني سوغاورا لا يزال يثري أجواء رالي داكار

بيسكو (بيرو) ـ «القدس العربي»:

يشهد رالي داكار هذا العام وجود مسابق متميز، ليس لأنه شخص غريب عن السباق وجاء ليكتشف ماهيته وإثارته أو لأنه بطل يحمل في جعبته العديد من الانتصارات، بل لأنه يبلغ من العمر 76 عاما ويخوض غمار منافسات سباقات الشاحنات، هذا هو الياباني يوشيماسا سوغاورا، الذي يشارك في سباق هذا العام بشاحنة من صنع شركة «هينو» اليابانية.

ولا يعتبر السائق الياباني الأكبر سنا في النسخة الحالية من رالي داكار وحسب، بل إنه الأكثر خبرة في هذا السباق العريق، حيث شارك في 35 من أصل 40 نسخة أقيمت حتى الآن. واستهل سوغاورا مشاركته في رالي داكار في العام 1983 في منافسات الدراجات البخارية، وعن تلك اللحظة تحدث السائق الياباني قائلا: «لم أكن أفهم طريقة السباق في تلك اللحظة، حتى إنني ظهرت على خط الانطلاق وأنا أحمل إطار احتياطي على الظهر». وانتهت المشاركة الأولى لسوغاورا في رالي داكار بمغادرة السباق قبل نهايته، وهو الموقف الذي لم يتكرر معه كثيرا في النسخ اللاحقة، حيث أنه لم ينسحب من السباق سوى خمس مرات فقط، كانت المرات الثلاث الأولى منها متتالية. وبعد أن شارك ثلاث مرات في منافسات الدراجات البخارية، اقتحم سوغاورا سباقات السيارات بين عامي 1986 و1991، وكان المركز 22 أفضل إنجازاته خلال تلك الحقبة. وفي العام 1992 بدأ سوغاورا في قيادة الشاحنات في رالي داكار ليحقق أفضل نتائجه في هذا السباق بالحلول في المركز الثاني أعوام 1994 و1995 و1998 و2001 و2005. وأضاف السائق الياباني المخضرم قائلا: «بالنسبة لي منافسات الشاحنات هي الأكثر متعة بفضل جميع التعديلات التي تم إقرارها بالإضافة إلى أن قيادتها مسلية للغاية». وحقق سوغاورا، المولود بجزيرة هوكايدو اليابانية، رقما قياسيا رائعا في الرالي الأشهر بالعالم بالوصول إلى خط النهاية في 20 نسخة متتالية بين عامي 1989 و2009. ولم تكن علاقة سوغاورا رائعة وحماسية دائما مع رالي داكار، الذي يعد جزءا مهما في حياته، فقد كان يفكر خلال مشاركاته الأولى به في تركه وعدم خوضه مجددا بسبب حاجز اللغة والتواصل مع الآخرين والرحلات الطويلة والتكلفة المالية الباهظة من أجل المشاركة في السباق. وشارك سوغاورا لمدة 10 سنوات في رالي داكار قبل أن يبدأ في التفكير في قرار الرحيل أو البقاء، وبعدما أنهى هذه الحقبة اختار السائق الياباني الاستمرار ليحقق رقمه القياسي في عدد المشاركات. ورغم مشاركاته المتعددة، يرى سوغاورا أن كل مشاركة له في هذا السباق تعتبر بمثابة بداية لم تسبقها خبرات قديمة. واستطرد سوغاورا قائلا: «المراحل دائما تكون مجهولة ولهذا أشعر دائما أنها المرة الأولى لي في السباق». ويأخذ السائق الياباني المخضرم مشاركته في هذا السباق على محمل الجد دائما مثله مثل باقي زملائه رغم سنه المتقدم. وينافس سوغاورا في كل عام في رالي داكار بدراجاته البخارية «كي تي إم» في سباق يمتد لأربعة آلاف كيلومتر، بالإضافة إلى ثلاثة سباقات أخرى من هذه الفئة. وظهر سوغاورا هذا العام في إحدى سباقات المحركات بمنغوليا كما شارك في سباق آخر ربط بين روسيا والصين. وتسمح لوائح رالي داكار للفرق أن تقوم بتغيير سائقيها خلال السباق، بيد أن هذه القاعدة لا تدخل في حسابات سوغاورا، الذي قال: «هناك بعض السائقين الذين يكون لديهم من يجيد القيادة في المناطق الوعرة ليسهل عليهم السباق ولكنني استمر في القيادة طوال الطريق بأكمله، بما فيه المناطق الوعرة، لا أزال مغمسا بالطاقة». وهناك مثل غربي يقول: «رغم أنها ريح شائخ لا تزال تعصف»، ويبدو أن هذا المثل ينطبق بشكل مثالي على السائق الياباني الذي لا يزال يمارس رياضته المفضلة والشاقة بعدما عبر السبعين من العمر.

لعنة الإصابات تلقي بظلالها الثقيلة على بطولة أستراليا المفتوحة للتنس

سيدني ـ «القدس العربي»:

رغم التوقعات المتفائلة التي سبقت انطلاق موسم بطولات التنس على خلفية العودة المنتظرة لكبار نجوم اللعبة البيضاء المصابين، اندي موراي ونوفاك ديوكوفيتش وستانيلاس فافرينكا وكي نيشيكوري وميلوس رونانيتش، تعرضت بداية الموسم لانتكاسة مبكرة بسبب الإصابات التي لا تزال تلاحق اللاعبين الكبار.

ويتأكد إصابة موراي مطلع الاسبوع، بالإضافة إلى الإعلان عن إصابة نيشكوري، يكون اللاعبان البريطاني والياباني أبرز الغائبين عن كوكبة النجوم المشاركين في بطولة أستراليا المفتوحة التي تنطلق غدا الاثنين. ومن المحتمل أن ينضم إلى هذا الثنائي الإسباني رافايل نادال والصربي نوفاك ديوكوفيتش اللذان ألغيا فقرة البطولات الاستعدادية من برنامجهما التحضيري بعد شعورهما ببعض المتاعب البدنية، مرجئين قرار مشاركتهما في بطولة أستراليا، أولى البطولات الأربع الكبرى (غراند سلام) في الموسم، إلى الأسبوع المقبل.

وقال موراي عن غيابه عن بطولة أستراليا: «للأسف لن العب هذا العام في ملبورن، فانا لست جاهزا بعد للمنافسة». وجاءت تصريحات موراي قبل مغادرته لأستراليا عائدا إلى المملكة المتحدة، حيث سيقرر هناك إذا كان سيخضع لجراحة أم لا، بعدما اعترف أن العلاج التحفظي الذي خضع له مؤخرا للتعافي من آلام الفخذ لم يؤت بالنتائج المرجوة منه. وقال عبر «فيسبوك»، عندما انسحب من بطولة بريزبن: «قمت بجميع ما طلبوه مني أملا في التعافي وعملت بشكل جاد للغاية للعودة إلى المنافسات داخل الملعب، وبعدما تدربت في بريزبن مع بعض اللاعبين من المستوى الأول اكتشفت للأسف أن العلاج لم يكن فعالا وكافيا كي أصل إلى المستوى الذي أتطلع إليه، ولذلك يتعين علي أن أعيد تقييم خياراتي». وأضاف المصنف الأول سابقا على العالم والفائز بذهبيتين أولمبيتين: «بالطبع سيكون خيار استكمال برنامج التعافي مطروحا، الجراحة أيضا ستكون أحد الخيارات، كنت أسعى إلى تفاديها، لكن علي أن أفكر فيها الآن نظرا للنتائج غير الناجحة للعلاج». وأعلن موراي عن غيابه عن أستراليا المفتوحة، بعد ساعات من تأكيد نيشكوري غيابه أيضا عن البطولة بداعي عدم تعافيه عقب شعوره بمتاعب في رسغ اليد اليمنى، التي أبعدته عن البطولات منذ آب/أغسطس الماضي. وقال اللاعب الياباني، الذي تراجع إلى المركز الـ22 في التصنيف العالمي بسبب الإصابة: «استراليا المفتوحة هي بطولتي المفضلة، ويؤلمني أنني سأغيب عنها هذا العام».

ولم تتوقف مآسي البطولة الأسترالية عند هذا الحد، فقد تزايدت مؤخرا احتمالات غياب نادال وديوكوفيتش، اللذين يصارعان الزمن للحاق بأول بطولات «غراند سلام» هذا العام. واعتذر نادال، المصنف الأول عالميا في الأسبوع الماضي عن المشاركة في بطولة بريزبن بسبب معاناته من إصابة في الركبة. وقال اللاعب الإسباني، عبر «تويتر»: «كنت أتوي اللعب، ولكنني لست جاهزا بعد موسم العام الماضي الطويل والبداية المتأخرة للاستعدادات». وتعرض اللاعب الحائز على 16 لقبا في «غراند سلام» لمشاكل في الركبة اليمنى خلال الأمتار الأخيرة من موسم 2017. وخاض نادال طوال العام المنصرم 18 بطولة، فاز منها بست بطولات ووصل إلى جولة الموسم الآسيوية في تشرين الأول/أكتوبر الماضي، وهو يعاني من متاعب في مفصل الركبة التي تسببت له في مشاكل عدة في الماضي. وبعدما خسر نهائي بطولة شنغهاي الموسم الماضي واضعا شريطا طبيا على ركبته، اعتذر نادال عن المشاركة في بطولة بازل وانسحب من دور الثمانية لبطولة باريس، وانسحب أيضا من البطولة الختامية لموسم بطولات التنس في لندن بعد مباراته الأولى فيها. ومؤخرا، أعلن نادال انسحابه من بطولة أبوظبي الاستعراضية، ما أثار الكثير من الشكوك حول حالته البدنية. ومن المفترض ان يكون نادال حدد مصير مشاركته في بطولة أستراليا عندما يخوض منافسات بطولة «تاي بريك تنس»، وهي بطولة استعراضية يخوضها ثمانية لاعبين وتتكون مبارياتها من عشر نقاط ولا تتضمن أشواطا أو مجموعات. ويتشابه وضع ديوكوفيتش مع وضع اللاعب الإسباني، حيث لم يخض النجم الصربي أي بطولة منذ دور الثمانية لبطولة ويمبلدون في تموز/يوليو الماضي، بعد تعرضه لإصابة في مرفق الذراع، ليعتذر أيضا عن خوض منافسات بطولتي أبوظبي وبريزبن بداعي عدم جاهزيته. وقبل انطلاق بطولة استراليا، سيخوض المصنف الأول عالميا سابقا بطولة «تاي بريك تنس» بجانب نادال ثم يشارك في «كويونغ كلاسيك»، وهي بطولة استعراضية أخرى، قبل أن يحدد مصير مشاركته في البطولة الأسترالية. وبهذا الشكل، تعتبر أولى بطولات «غراند سلام» امتدادا للموسم الماضي أكثر منها بداية لموسم جديد.

اسطورة كلاف... عندما يختار فريقه أن يلعب بعشرة لاعبين أمام خصمه!

جميعنا يعلم ان كل فريق يلجأ الى كل الوسائل التي تضمن له الفوز على خصمه، حتى ان لاعبيه يلجأون الى التمثيل في بعض الأحيان، في محاولة للحظي بخطأ او المساهمة في انذار او طرد اللاعب الخصم، لكن هل يمكن ان يفعل أي فريق العكس؟

المعنى ليس بتعمد الخسارة، بل تعمد التقليل من قوته، باختيار اللعب بعشرة لاعبين بدل 11... هذا الامر حدث في يوم ما من رجل اسمه برايان كلاف أو «مورينيو الاصلي».

عندما عين البرتغالي جوزيه مورينيو مدرباً لتشلسي في 2004 أطلقت عليه الصحافة الانكليزية لقب «كلاف الجديد» نسبة الى المدرب الاسطوري الذي لم يقل جدلاً وصخباً عن السبيشال وان، وهو كان الوحيد في عالم اللعبة الذي ينجح في قيادة فريق (نوتنغهام فوريست) الى لقبي كأس أبطال اوروبا (عامي 1979 و1980) في حين لم يحرز فريقه الدوري المحلي سوى مرة واحدة، وأيضاً له قصص فريدة وحكايات مثيرة على مدى أكثر من عقدين من التدريب، وبينها هذه القصة الغريبة عن اختيار اللعب بعشرة لاعبين.

في السابق كانت مباريات كأس انكلترا تحسم بفوز مطلق، بحيث أنه بعد كل تعادل تعاد المباراة في ملعب الخصم الى ان يتم الحسم خلال الدقاق التسعين من دون اللجوء الى ركلات الترجيح مثلما هو معروف اليوم، ففي 28 يناير/ كانون الثاني 1991 التقى فريق كلاف نوتنغهام فوريست للمرة الثالثة مع كريستال بالاس في الدور الثالث من كأس انكلترا، بعد التعادل 0–0 و2–2 في المباراتين السابقتين، والنتيجة الاخيرة تسبب بها روي كين، لاعب فوريست حينها، عندما تقدم فريقه 2–1 قبل النهاية وأعاد كرة قصيرة لحارسه خطفها المهاجم وعادل بها لبالاس، فوجد لاعبو فوريست روي كين مطروحاً أرضاً في غرفة الملابس بعدما لكمه كلاف مؤنباً «لا تفعل ذلك أبداً في حياتك». وفي المباراة الثالثة انتهى الشوط الاول بالتعادل السلبي، والمعروف حينذاك ان فوريست كان يلعب كرة قدم جميلة في حين كان يعتمد كريستال بالاس على قوة أجساد لاعبيه وخشونتهم، وفي الدقائق الـ11 الاولى من الشوط الثاني سجل فوريست ثلاثة أهداف متلاحقة، وبعدما أجرى فوريست تغييراً واحداً تبقى له تغيير آخر فقط (حينها كان يسمح فقط بتغييرين ضمن الاحتياطيين الثلاثة)، وقبل النهاية بست دقائق شاهد نجم الوسط ستيف هودج رقم فانلته مرفوعاً طلباً لتغييره، فخرج من دون أن يدخل مكانه أي لاعب، ونجح فوريست في حسم اللقاء بعشرة لاعبين.

في اليوم التالي علقت الصحف على الحدث الغريب بان كلاف، الشهير بغرابة طوره، أراد أن يريح لاعبيه بعد ازدحام جدوله بسبب الاعادات المتلاحقة، وانه أراد ان يمنع اصابة نجمه، في حين ذهب البعض أبعد من ذلك باعتبار ان كلاف أراد ان يهين هودج الذي كان يطالب بزيادة راتبه ويهدد بالرحيل عن الفريق، فأخرجه من دون ادخال مكانه أحد وكان الفريق لا يريده وبامكانه الفوز بعشرة لاعبين، لكن لاحقاً في كتاب عن سيرة كلاف، قال الكاتب ان الهدف كان الفريق الخصم، حيث كان كلاف يكره كريستال بالاس وأسلوب لعبه العنيف والخشن والقائم على القوة الجسدية، فأراد اهانتهم بالفوز عليهم بعشرة لاعبين!

طبعا كلاف لديه صولات وجولات وتصريحات خالدة، بينها عندما سئل كيف يتصرف اذا أخبره أحد لاعبيه بان لديه نظرة مختلفة عنه، فرد قائلا بهدوء: «حسناً... نتجادل لعشر دقائق وبعدها نتفق على انني على صواب». فتحية لروح الراحل كلاف.

@KhaldounElcheik

أسرة

مرام حكيم يبين لـ«القدس العربي» دوافع الظاهرة وكيفية تجنّب مخاطرها

تنامي أعمال البلطجة والعنف المدرسيّ ينذر بعواقب خطرة

بيروت ـ «القدس العربي»: ناديا الياس

كثرت في الآونة الأخيرة التحذيرات من تنامي ظاهرة العنف المدرسيّ بين صفوف الطلاب من مختلف الفئات العمرية من دون أيّ رادع، الأمر الذي ينعكس سلباً على سلوك وتصرّفات الأولاد الذين هم أطفال اليوم ومستقبل الغدّ.

وقد دخلت منظمة اليونيسكو على خطّ التحذيرات والمخاوف من باب إعلانها أنّ من بين أكثر من مليار طفل في المدارس حول العالم، يتعرّض ربعهم لأعمال البلطجة والعنف المدرسي. أمّا ما يثير القلق فأن الأكثر عرضة للخطر هم في كثير من الأحيان من الفقراء أو من الأقليات العرقية أو اللغوية أو الثقافية.

ويكتسب العنف المدرسي والبلطجة أنواعاً مختلفة منها، العنف اللفظيّ والكلامي والنفسيّ وصولاً إلى العنف الجسديّ، الأمر الذي يضاعف من خطورة الظاهرة التي سنتوقف عندها مع الطبيب النفسي المعالج الدكتور مرام حكيم الذي قدّم شرحاً مفصّلاً عن مفهوم البلطجة، أسبابها وضحاياها وتداعياتها على كلّ من الطفل المُعتدي والضحيّة فضلاً عن سبل المعالجة.

فقد رأى الدكتور حكيم أنّ «البلطجة (bullying)تطال جميع الأعمار منهم الأطفال والمتوسطيّ العمر وحتى الكبار». وقال في تعريفه البلطجة «أنّ الطفل يعتدي على طفل آخر بأساليب عدّة منها التهجّم عليه أو الاستهزاء به أمام الكلّ أو يسخر منه أو يضحك عليه أو يضربه جسدياً أو يكسّر ممتلكاته أو يعبث بأغراضه بشكل متكرّر». وأضاف «انهم يحاولون ان يبلطجوا مجموعة من الشباب أو العصابة أو مجموعة من الأطفال انطلاقاً من انّ البلطجة ممكنة للجميع، امّا مدى الأذى والازعاج والإساءة للطفل الثاني فتتنوعّ وتختلف وفقاً للأعمار».

وأضاف في شرحه الدوافع والأسباب للبلطجة وجود عوامل عدّة منها نفسية أو عائلية أو مرضية وقال: «لدينا طفلان المبلطج والطفل الضحيّة والاثنان لديهما أسباب نفسيّة وعائلية وصحية وبيئية وأحياناً مرضية تدفعهما للبلطجة، وهذا مضرّ جداً خصوصاً بالنسبة للطفل الضّحية لانه يُظل يعاني حتى إذا أصبح كبيراً» ولفت إلى انّه «يمكن ان تؤثر على ذكرياته لاحقاً فتجعله امّا يصبح عدائياً للآخرين أو خنوعاً جدا ومكتئباً وتصبح لديه ثقة ضعيفة جداً بالنفس، وفي الحالتين الأمر غير مستحبّ وهو مرضيّ.»

وفي المقابل رجّح «وجود عوامل عدّة لدى الطفل المعتّدي جعلته يتصّرف بهذه الطريقة منها» كما قال: «عادة تكون لدى عائلة الطفل المعتدي مشاكل في الأساس، وهو يكون امّا قد عانى من قساوة مفرطة أو في العائلة عنف منزلّي ضدّ الزوجة أو الأولاد أو الأثنين معاً. ويمكن ان يكون قد تعرّض الطفل المبلّطج للضّرب أو امّه تعرّضت للضرب وهو نما وشاهد هذه الطريقة من التعامل، أو ان يكون لديه مخزون كبير من الغضب بسبب الإساءات التي واجهته، من جسديّة أو نفسيّة ومعنويّة أو حتى جنسية، ويصبح لديه مخزون من الغضب يفرغه على الأولاد الذين هم أضعف منه، أو توجد في البيت مآس أخرى منها: المرض النفسيّ أو العقليّ أو اهمال شديد جداً من الأهل لحاجات الطفل. وممكن ان يكون الأهل في البيت من مدمني المخدرات والكحول، وهم لا يقومون بدورهم والحدود غير واضحة». وأبدى تخوّفه من انّ العديد من هؤلاء الأطفال البلطجية يمكن ان تصبح لديهم في المستقبل شخصيّة مرضية ترتكب دائماً المشاكل والجرائم في عمر كبير. كما رأى انّه «في بعض الحالات يمكن ان يكون الطفل بلطجياً لانّ هناك ظروفاً معيّنة دفعته إلى ذلك وهذه الحالة يمكن إصلاحها لاحقاً بالعلاج النفسّي والسلوكي والبيئي».

وبالعودة إلى السلوك العنفيّ واللفظي الذي يمارسه الأطفال ضدّ بعضهم في المدرسة أكّد حكيم «أننا أمام ظاهرة على المدرسة ان تعمل جهدها من أجل ان تمنعها» طارحاً حلولاً عدة «أولاً يجب ان يكون هناك تفاهم مع الأهل في حال تكرار عملية حصول أذى للآخرين ستضطّر المدرسة إلى طرد الطفل من المدرسة، ثانياً يجب ان يكون في المدرسة معالج نفسي أو طبيب لديه خبرة في التعامل مع الأطفال ومع هذه المواضيع، في محاولة معالجة الطفل الضحيّة وفي الوقت نفسه يحاولون معالجة الطفل المسيء حتى لا يكرّر فعلته مرّة أخرى، وثالثاً يجب ان يكون هناك تفاهم مع كلّ المعلمين والمعلمات على كيفية التعامل مع هكذا طفل.»

أمّا بالنسبة للطفل الضحّية فاكّد انّه «على الأهل ان يعلمّوه كيف يدافع عن نفسه، وعلى المدرسة ان تساعده أيضاً للدفاع عن نفسه وانما عليها أولاً ان تلجم الطفل البلطجي وتمنعه من البلطجة داخل حرمها المدرسيّ».

وحذّر من خطورة البلطجة لدى الفئات العمرية الكبيرة إذ قال إنّها «تصبح خطرة جداً وتسبّب أذى جسديّاً وجنسيّاً ونفسّياً».

وعن سبل المعالجة لكلّ من الطفل الضحيّة والمسيء معاً رأى انّه «على عاتق المدارس والقانون والأهل ان يضعوا حدوداً لأطفالهم من عمر صغير تبدأ بتربيتهم تربية صحيحة. والتأكّد من انّ جوّ البيت سليم وخالٍ من الإساءات والإهمال الزائد أو العنف الجسدي والنفسيّ والعاطفي حتى يتمّ تأمين بيئة جيّدة للطفل لينمو فيها. وعليه فأنّ الطفل المسيء لا يعود مسيئاً والضحيّة لا يظل ضحيّة». وقال «انّ على المدارس دور كبير وكذلك على القانون والأهل بوجه أخص ضبط هذا الوضع وإصلاحه من جذوره لانّ القصاصات القصيرة المدى لا تكفي» حسب رأيه.

وخلص حكيم في حديثه لـ«القدس العربي» إلى انّ «ظاهرة البلطجة أصبحت في ازدياد لانّ ظروف المجتمع باتت فيها قساوة أكثر والظروف المادية أصبحت صعبة والأهل تحت كمية كبيرة من الضغط وهذا يؤدّي إلى الإساءة للأولاد وإلى بعضهم البعض وبالتالي يوفّر بيئة للطفل لان يكون بلطجياً مسيئاً لغيره» وعليه فقد شدّد «على وجوب ان تكون المعالجة من البداية ومن الأسباب الأوليّة وليس من النتائج فقط».

والعنف المدرسيّ لا يقتصر على الطلاب في ما بينهم وحسب بل يمكن ان يتعداه إلى عنف يمارسه المعلم على التلميذ وهو يكتسب أنواعاً عدّة منها:

– ممارسة العنف الجسّدي، كالضرب والصفع وشدّ الشعر والدفع والقرص وسواها.

– ممارسة العنف النفسّي أو المعنوي والأمثلة كثيرة عليها منها: الإهانة والإذلال والسخرية من التلميذ أمام أصحابه أو نعته بصفات مؤذيّة واحتجازه في الصفّ وممارسة القسوة عليه في التخاطب معه أو إنتقاده بشكل مستمرّ والتمييز بينه وبين تلميذ آخر والتعاطي معه ببرودة من دون أيّ حسّ عاطفيّ، إنسانيّ وعدم إحترامه وعدم تقدير جهوده.

إذا لا بدّ من الاستنتاج انّ العنف المدرسيّ هو مظهر من مظاهر العنف وصورة من صوره المتعّددة، وهو عبارة عن ممارسات نفسيّة أو بدنية أو مادية يمارسها أحد أطراف المنظومة التربوية وتؤدي إلى إلحاق الضرر بالمتعّلم أو بالمعلم أو بالمدرسة ذاتها.

وإذا شئنا التدقيق أكثر، يمكننا تعريف العنف المدرسي بكونه: «مجموع السلوكيات العدائية غير المقبولة اجتماعياً والتي من شأنها أن تؤثر سلباً على النظام العام للمدرسة سواء مورست داخل حرم المؤسسة التربوية أو خارجها».

كفتة السمك بالفرن

المقادير

كيلو سمك فيلي
حبة بصل مفروم
وملح وفلفل حسب الرغبة
ملعقة صغيرة زعفران
ملعقتان صغيرة كركم وملعقة صغيرة بهارات سمك
ملعقة كبيرة قشر برتقال مبروش
2 ملعقة صغيرة كزبرة مجففة
2 ملعقة كبيرة زيت زيتون لوجه الكفتة
2 ملعقة كبيرة زيت زيتون للتحمير
حبة بصل شرائح

طريقة التحضير

نضع السمك في مُحضّر الطعام، ونفرمه جيداً.

نضيف باقي المقادير في مُحضّر الطعام ونفرمها مرة أخرى.

نضع شرائح البصل مع زيت الزيتون في مقلاة على النار ونقليهم.

نرفع البصل من على النار ونضعه في قاع الصينية.

نشكل مزيج السمك على هيئة أصابع الكفتة ونضعها فوق البصل في الصينية.

ننثر زيت الزيتون على وجه الكفتة.

ندخل الصينية في الفرن لمدة 20 دقيقة حتى تنضج.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

ثلاث ساعات من الأعمال المنزلية يوميا تحسن صحة المسنين

برلين ـ الأناضول: أظهرت دراسة دولية حديثة أن قضاء ما بين 3 إلى 6 ساعات في الأعمال المنزلية يوميًا، يحسن صحة الرجال والنساء الأكبر سنًا.

الدراسة قادها باحثون في جامعة برمين الألمانية، ونشروا نتائجها أمس السبت، في دورية (BMC PUBLIC HEALTH) العلمية.

وكانت دراسات سابقة تحدثت عن أهمية الأعمال المنزلية بالنسبة للمسنين، وكان آخرها دراسة أمريكية نشرت في نوفمبر/تشرين الأول 2017، أفادت بأن الأعمال المنزلية الخفيفة، مثل طي الملابس بعد غسلها أو غسل الأطباق، يطيل أعمار السيدات المسنات، عبر وقايتهن من الأمراض المرتبطة بالشيخوخة.

وفي الدراسة الجديدة قال الباحثون إن الأنشطة المنزلية أصبحت العمل المنتج الرئيسي لكبار السن بعد التقاعد، ولكن لا يعرف الكثيرون عن تأثير تلك الأنشطة على الصحة.

وركز الفريق على أهمية الأعمال المنزلية بالنسبة للرجال والنساء على حد سواء، من خلال مراقبة 15 ألفًا و333 من الرجال و20 ألفًا و907 من النساء في سن 65 عاما فما فوق، في 7 بلدان حول العالم، بينها ألمانيا وإيطاليا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

وبصورة أكثر تحديدًا، راقب الفريق الوقت الذي يقضيه المشاركون في 41 نشاطًا مختلفًا كل يوم، بينها الطهي والتنظيف والبستنة وغيرها من الأعمال المنزلية، وكيف أثرت هذه الأمور على الصحة العامة.

وكشفت الدراسة أن الرجال المسنين يعملون في المتوسط 3.1 ساعة من الأنشطة المنزلية يوميًا، في حين يقضي المسنات ما يقرب من 4.7 ساعات يوميًا في الأعمال المنزلية.

وقال الباحثون إن النساء يقضين وقتًا أطول في تنظيف المنزل والطبخ والتسوق، بينما يقضي الرجال مزيدًا من الوقت في رعاية الحدائق والصيانة المنزلية.

وعن تأثير تلك الأعمال على الصحة وجد الباحثون أن المسنين الذين أمضوا بين 3 إلى 6 ساعات في الأعمال المنزلية يوميًا، تحسّنت صحتهم العامة بنسبة 25%، أكبر مقارنة بمن أمضوا ساعة إلى ساعتين فقط في تلك الأعمال يوميًا.

ونصح فريق البحث المسنين بتقاسم الأعباء المنزلية مع زوجاتهم، للتمتع بصحة أفضل، حيث أن المسنات يقضين وقتا أطول في تلك الأعمال بمقدار ساعتين في المتوسط مقارنة بالرجال.

وكانت دراسات سابقة كشفت أن عمل كبار السن التطوعي المنتظم لا يعود بالنفع على المجتمع وحسب بل يمكن أن يحمي المسنين من أمراض الشيخوخة، وعلى رأسها تراجع الذاكرة وضعف الإدراك والمعرفة.

وأضافت أن ممارسة النشاط البدني المنتظم، وعلى رأسه المشي صباحًا، يمكن أن يساهم بشكل كبير في علاج أمراض الخرف التي تحدث لكبار السن، مثل مرض الزهايمر.

وعلاوة على ذلك، أظهرت النتائج، أن النشاط البدني، يحسّن حياة مرضى «باركنسون» أو ما يطلق عليه الشلل الرعاش، وخاصة فيما يتعلق بقدرات المشي والتوازن، والحد من مخاطر السقوط.

الحمل

تتخلّى عن كل شيء بغية الاهتمام بوضعك الصحي

الثور

يجب أن تتمتع بأعصاب باردة ومتينة لمواجهة تحديات العمل

الجوزاء

قد تجد نفسك في ورطة أو موقف محرج، بسبب منافس

السرطان

قرارات مهمة قد تغيّر مجرى حياتك على نحو مفاجئ

الاسد

عليك أن تكون مستعداً لكل جديد

العذراء

كثرة انهماكاتك تنسيك الشريك إلى حد كبير

الميزان

يحالفك الحظ تدريجياً وتزول بعض الهموم ويطمئن بالك

العقرب

شريك جديد في حياتك يتفهم كل تصرف تقوم به

القوس

تميل إلى التخلّي عن العزلة والاختلاط بالآخرين

الجدي

لا تكترث لتصرفات أولئك الذين يدفعونك لاتخاذ قرارات عشوائية

الدلو

يشهد هذا اليوم بعض الأحداث المربكة

الحوت

بدأ منذ اليوم استعداداتك لممارسة الرياضة يومياً

منوعات

لم يكن في باله تخطي العرض المجاني وبات مطلوباً

فائق حميصي: في عرض «45 سنة هذا العام» ألجأ إلى حركة الطبيعة والأشياء أبطالي

بيروت ـ «القدس العربي»:

زهرة مرعي

لم يكن للصالة نصيب في السكينة طويلاً بين نوبة ضحك وأخرى أثناء متابعة عرض «مشوار 45 سنة» لفنان الإيماء فائق حميصي. جمع مشاهد من مسرحياته بدءاً من 1972 وإلى 2011 في ساعة وربع من الزمن، واستعادها مع ممثلة هي الأقدر بنظره عايدة صبرا، وممثل له مع الثنائي تناغم في الفن والقناعات هو زكي محفوض.

«مشوار 45 سنة» لم يكن في بال حميصي لولا المجلس الثقافي للبنان الشمالي ومدينة طرابلس حيث ولد واختبر مشهدياته الأولى في التمثيل. أما مشروعه للعام 2018 فهو عمل يسعى باتجاه الحسي الحركي وبطولة الأشياء.

مع فائق حميصي هذا الحوار:

○ **تحتفل بـ«مشوار 45 سنة» من حضورك المسرحي في فن الإيماء، لماذا لم تنتظر اليوبيل الذهبي؟**

● طلب مني المجلس الثقافي للبنان الشمالي حفلا مجانياً للجمهور يعطي فكرة عن فن الإيماء. وكان «مشوار 45 سنة» لحفل وحيد. ما كتبته الصحف استدعى طلباً للعرض في بيروت، وصار الحفل حفلات. يترافق العرض مع شرح مسبق عن المشاهد بحيث يشبه الريبرتوار التقليفي. فاجأتني ردة فعل الجمهور، ولم أكن على ثقة أن مشاهد من سنة 1972 و1979 والثمانينيات صيغت بفكر زمنها وعقله ستثيره. التفاعل كان أكبر مما سبقه في الزمن الماضي. بحثت عن السر مع علماء الاجتماع وأفضت النتيجة أن الأساس يكمن في القيم الجمالية التي يتضمنها الإيماء والشبيهة بالقيم الجمالية في الموسيقى. لوحات تراها العين وتترك تأثيراً نفسياً يتراوح بين زجل، صمت أو دهشة. وهو التأثير نفسه الذي تتركه الموسيقى. تسمع موسيقى عمرها ربما 500 سنة. فليست الحكاية هي الأصل. الإيماء حركة مرسومة في الفراغ لها قيمة تشكيلية أكثر من قيمة الحكاية.

○ **يبدو أن الزمن لا يمر على عرض الإيماء؟**

● تكمن القيمة الجمالية في أسلوب تقديم الحكاية، وليس في الحكاية نفسها. لتتناول كمثال مشاهد البيدين، نسجت بفكر 1972 وأفضت للمفعول نفسه.

○ **قبل 45 سنة اكتشف «قدعوس» بيروت في إطلالته على حاضر المدينة ما هو الاختلاف الذي لفته؟**

● من حق الجمهور ولكي يبني تراكماً ثقافياً أن يكون قد شاهد وتعرّف. مشكلة المسرح برمته أنه لا يعمل وفق التراكم الثقافي. يُقدم العرض المسرحي لأيام ويُرمى. لا نرى لي بانها تتقن حركة الجسد. سألتها وقالت إنها درست الباليه لـ12 سنة. تعاونا معاً في تعديل بعض قواعد الباليه كمثل تعابير الوجه المسطحة، وكان «غرام الدمية» سنة 1986. الدائمة. هذا ما يتم في الدول التي تراكم ثقافتها وحضارتها، فالمسرحيات تستعاد بغير ممثلين وباخراج جديد.

○ **بعد «قدعوس يكتشف بيروت» كأول مسرحية إيمائية في لبنان من اخراج موريس معلوف هل وقع آخرون عروضك التالية؟**

● بعد عودتي من الدراسة في باريس سنة 1978 بت أوقع أعمالي منفرداً بصيغة «إعداد وتمثيل» مع ذكر كامل فريق العمل. أقول ما أريده للممثل، يقدم رؤيته، ونتعاون معا للوصول إلى الحركة الصحيحة، بعد ادخال التعديلات الجمالية على المشهد.

○ **هل أنت الفنان الوحيد الذي يقدم الإيماء في لبنان؟**

● لست وحيداً، هناك كثر. وهم طلابي، وطلاب طلابي. منهم من درس الإيماء واتجه إلى المسرح الجسدي.

○ **بعد 45 سنة على بداية المشوار نسألك لماذا راح خيارك نحو الإيماء؟**

● هو السؤال المكرر «يضحك». الإجابة بسيطة، كطفل أو مراهق كنت أشاهد السينما بالتقنيات الأفلام الصامتة. عرضت في لبنان أفلاما تعتمد الحركة والإيقاع ودون أبطال. تُشغل الحركة خلايا الدماغ أكثر من الكلام. من صغري أعجبني الممثل الذي يحرك جسده ولا يتكلم. في طرابلس عشت أجواء الفنانين من خلال الكشاف، ابو سليم، أسعد وآخرين. طلبت المشاركة في التمثيل وقلت لهم بأني أجيد رواية «النكتة الحمراء». استغربوا وطلبوا مشهداً. فضحكوا كثيراً. تكررت المشاركة حتى كبرت وقررت دخول الجامعة. شاهدني الصحافي ابراهيم زود في عرض «نكتة خرساء» التي بت محترفاً لها. ناداني بعد المشهد ليقول لي «تُقدم الإيماء وليس النكتة الخرساء». نصحني بدراسة الإيماء في فرنسا، وكتب رأيه في مجلة الساحر، وقال ان أحدهم يقدم الإيماء في طرابلس دون أن يعلم. ومازلت احتفظ بالعدد.

○ **هل كان الإيماء لغة البشر في بدايات مشوارهم على هذه الأرض؟**

● نعم الإيماءة الصوتية والحركة كانتا أساس التواصل البشري. ولا تزال لغة الاحتفالات لدى القبائل التي تعيش في غابات افريقيا والأمازون. هي رقصات تتضمن تمثيلاً كما الشجار مع الأسد أو الأفعى، وتقدم جماعياً.

○ **«غرام الدمية» عرض وجدته لا يليق سوى بعايدة صبرا هل لنا معرفة مدى المواءمة الفنية بينكما؟**

● لولا وجودها كطالبة في صفي لما تحقق المشهد. في الثمانينيات كنت في سعي للخروج من الإيماء الذي يروي حكاية والاتجاه نحو مشهد الديالكتيك أو الصراع. كانت عايدة في سنتها الجامعية الأولى، وقفتها أوحت لي بأنها تتقن حركة الجسد. سألتها وقالت إنها درست الباليه لـ12 سنة. تعاونا معاً في تعديل بعض قواعد الباليه كمثل تعابير الوجه المسطحة، وكان «غرام الدمية» سنة 1986.

فائق حميصي

«غرام الدمية» موضوعه الإنسان والحب لا يتضمن حكاية بل أجواء. في هذا العرض الزن، يدخل عازف العود إلى النغمة ومن ثم إلى التأليف والأغنية ويولع الأجواء. وهذا ما طبقته على الحركة. بدأت وحيداً في الحركة. ثم بدلت سرعتها وشكلها. يدخل الآخرون ونؤدي ما هو مفهوم. إنها تركيبة الموسيقى عينها.

○ **لنتحدث عن مشاهد السينوغرافيا في عرض «مشوار 45 سنة». لماذا وجدنا حركة اليدين وحدها شديدة التعبير والجاذبية؟**

● بعد إحصاء عن استعمالنا ليدينا وجدت أن لليد أن تختزل الإنسان لكثرة استعمالها. وهكذا كان أول مشهد لليدين سنة 1983 «صباح الخير» ويومها «فرطوا العالم بالضحك». سر النجاح في رأيي هو وجود التفاصيل ومشاركة الجمهور بالخلق، فشاهد طبيب الأسنان يرتدي الأبيض، فيما أعطت اليد فقط صوت «الخرير». إذا ضحك الجمهور على ما تخيله وليس على ما شاهده فقط.

○ **ماذا عن جديدك في 2018؟ وما هي العناصر الجديدة؟**

● **أسعى لتجربة المسرح الجسدي الحركي، ولأن تكون الأشياء أبطالا وليس الممثلين، كأن يكون الممثل نصف طنجرة والنصف الآخر قدمين. لم اخترع ما سأقدمه بل أخذته من الطبيعة، ينظر الناس إلى البحر خلال وجودهم على الكورنيش البحري لبيروت. الناس كثر إنما لكل منهم حالة نفسية مختلفة، كذلك تختلف الموجات التي تضرب الصخور، ولكل منها سرعتها وايقاعها. وحال الأشجار حين تهتز، لا تقول بوجود الهواء بل نحن من يقول ذلك. من هنا سينطلق عملي المقبل.**

○ **هل ترغب بتقديم فنك في الشارع؟**

● حدث ذلك كثيراً في السبعينيات. شاركت في مهرجانات في بيروت، وفي عاليه مع الحركة الاجتماعية للمطران الراحل غريغوار حداد، وفي الجنوب والشمال حيث لبيت كافة الدعوات لعروض الشارع. كنت أحمل حقيبتي واضع الماكياج أمام الناس. إيماء الشارع له خصوصياته. يستدعي قدرة الارتجال حسب ذوق الجمهور، وكذلك الابتكار والتجديد ورد الفعل السريع مع متطلبات الجمهور.

○ **وهل يجد الفن حقيقته بين الناس؟**

● لأن الناس يشاركون في العرض وعندها يصبح تواصل اجتماعي.

○ **تُدرّس في معهد الفنون منذ زمن فهل يرغب الطلاب في فن الإيماء؟**

● يستدعي الإيماء موهبة خاصة، معرفة بالتقنيات وصبرا وقدرة على العمل. الجسد المكون بمعنى السيطرة على المفاصل، ولديه موهبة التمثيل يمكنه أن يحترف. كثر الذين يرغبون في الإيماء ومن لديهم صبر قليلة. الإيماء فن يستدعي التغيير في نظام الحياة، الطعام والرياضة اليومية. لهذا يقبلون على دور في مسلسل تلفزيوني وانتهى الأمر. تكوين الجسد في الإيماء يلزمه تمرين صباحاً ومساءً ويومياً.

○ **ما الفرق بين التعبير إيماءً والتعبير كلاماً؟ أيهما أكثر تأثيراً بالنفس؟**

● ليس لأحدنا الكذب من خلال الحركة بعكس الكلام. أعتقد أنه كان وسيأتي الزمن الذي يفقد فيه الكلام معناه ويتساقط. نتجه نحو عصر الغضاء وليس ممكناً استعمال تعبير فوق وتحت، ولا يمين وشمال. وهكذا تتساقط الكلمات. التواصل البشري سيعود إلى الحس واللمس.

○ **كم يحتمل عرض مسرحي إيمائي من الكوميديا؟**

● في طبيعتي أحب الضحك وهذا ما أضمنه لأكثر أعمالي. وكذلك للجمهور اختيار الضحك. وهو يفاجئني في اختياراته.

○ **ماذا عن التلفزيون كيف تختار حضورك في المسلسلات؟**

● شاركت في الكثير من المسلسلات وبت نجماً في الشارع. توقفت في سنة 1984 لأني وجدت نفسي آلة يتم استخدامها. كان غائباً كل ما أشعر وأفكر فيه. وجدت استغلالاً لوضعي كممثل. الممثل يتقاضى أقل الممكن من الأجر. الإنتاج ليس محترفاً، فليس للممثل أن يحضر مع ملابسه، وهذا لا يحترمه كفنان. عندما يصبح الإنتاج محترماً ومحترفاً قد أعود للتمثيل التلفزيوني. عملت مع منتجين من الولايات المتحدة وفرنسا وحضرت بخمسة أفلام أجنبية، ومعهم عرفت دور الإنتاج ومكانته.

فيلم «ما وراء الكلمات» للمخرجة البولندية أورزولا أنتونياك

سفر شاعري إلى برلين بالأبيض والأسود ورصد لقضايا المهاجرين

خالد الكطابي

يعد فيلم «ما وراء الكلمات» للمخرجة البولندية أورزولا أنتونياك رابع شريط طويل في مسارها الإبداعي الذي يمتح من التجربة الشخصية التي تعيشها المخرجة، كمهاجرة بهولندا، حيث تجعل من مواضيع الهجرة والتعدد الثقافي والجسد، عناصر أساسية، تحاول ملامستها منذ أعمالها السابقة: «لا شيء شخصي» (2009)، «رمز أزرق» (2011) و«منطقة عارية» (2014).

من فيلم «ما وراء الكلمات»

المخرجة البولندية أورزولا أنتونياك

«ما وراء الكلمات» حكاية

يروي فيلم «ما وراء الكلمات» قصة ميكائيل، شاب من أصول بولندية، يعيش في برلين ويتصرف على أنه ألماني يساعده في ذلك شكله ومظهره الخارجي.. ويعمل في مكتب للمحاماة حيث تسند إليه قضايا مرتبطة بالأجانب واللاجئين.

تربط ميكائيل (ياكوب جيرزال) علاقة صداقة وعمل مع فرانز (كريستيان لوبر)، رئيسه في الشغل، ويبدو أنهما منسجمان إلى حد لا يمكن التمييز بين أصولهما.. ويستمتعان بقضاء لحظات جميلة في حانات ومراقص ودور الأزياء..

ولايذخر ميكائيل أي جهد في النطق السليم للغة الألمانية ليظهر تماما كواحد من أبناء البلد...لكن حياته تبدأ في التعقيد بعد حضور مفاجئ لرجل بوهيمي يدعى ستانيسلاف (أندرتز شيرا)، لم يسبق له أن رآه، يقدم نفسه بأنه الوالد..ليقضي معه عطلة نهاية الأسبوع حيث يضطر الابن إلى طرح مجموعة من الأسئلة على نفسه التي تذكره بأصوله البولندية والتي لا يرغب في تذكرها.

الهجرة والاغتراب

يطرح الفيلم مسألة الهجرة والاغتراب حيث تنقلنا المخرجة، انطلاقا من تتبع مسار شخصيات فيلمها، إلى العالم الفسيح الذي يميز هذه المدينة الأوروبية.

فشخصية ميكائيل الذي يبدو واثقا من نفسه وغير معني بنقاش الهوية لكونه قدم إلى ألمانيا بعد رحيل أمه وهو مازال يافعا ...وساهم اتقانه للغة ونجاحه الدراسي في اندماجه السريع في المجتمع الجديد بل ومساعدته في نسيان أصوله البولندية.

كما أنه لا يرغب أن يتم توصيفه أو النظر إليه كمهاجر مثل الآخرين ذوي البشرة السوداء باعتبار أن وظيفته الأساسية كمحام مرتبطة بالدفاع عن المهاجرين واللاجئين رغم رفض رئيسه في العمل توكيله ملف أحد اللاجئين بدعوى أن جهات ألمانيه تريد الدفاع عنه...وهنا إقرار بوجود تمايز في تبني ملفات اللاجئين أنفسهم قبل أن يتم تذكيره على لسان فرانز «لا تنس أنت الآخر لست ألمانيا»

غير أن لحظة قدوم الأب المفاجئة، الذي يشكل الذاكرة والأصل، سيجعل من ميكائيل يعيد طرح أسئلة على نفسه أحيت صراعا داخليا، ظن أنه انتهى، سرعان ما طفا على السطح.. ليكبر صفو انسجام يعكسه إصرار ه على التجاهل المصطنع بل ويؤدوه في بعض الأحيان إلى تحريف الترجمة وقول ما يراه يخدم مصلحته.

كما يحاول الشاب أن يظهر للأب بأنه مندمج كليا، عندما يشرع في تلقينه أسماء أدوات منزلية واستعراض تمكنه من اللغة الألمانية والمكانة التي يحظى بها في المجتمع..

وترصد أورزولا أنتونياك، مخرجة الفيلم وكاتبة السيناريو، من خلال إحدى المشاهد شبه الحلقية والتي تجمع في لقاء ثلاثي كلا من ميكاييل والأب وفتاة بولندية ..و يتداخل فيها صراع مستمر بين ضجيج الموسيقى الإلكترونية والألمانية والصمت والمحادثة باللغة البولندية، حيث يظهر حائط زجاجي في إحدى الحانات كشريط حدودي يحمل في طياته بعدا مجازيا بين عالمين..

وللتخلص من الثقل الذي بدأ يخيم على نفسيته رأى ميكائيل أن الحل الأنسب يتمثل في أن ينزل ميشا إلى عالم تحت أرضي حيث تواجهه الحياة بما لم يكن منتظرا وتجعله يرى يقظا أسوء كابوس بعد أن وجد نفسه محاصرا في عالم هامشي وغير مرئي تدب فيه حياة المشردين والمهاجرين ذوي البشرة السوداء كملاذ آمن لهم من تشريع العالم الفوقي الذي لا يرحم..

ما وراء الصورة

يعلن الفيلم منذ البداية على نفس شاعري عميق حيث يجعل مجال الصورة يفيض بأحاسيس تغمر شخصيات الفيلم وفضاءات التصوير والتي نجح الوضوح المنبعث من ثنائية الأبيض والأسود في إيصالها للمشاهد.

فالكلمات الشعرية الغارقة في الأحاسيس التي يتلوها أحد الأطفال في بداية الفيلم «يوجد بلد أنتمي إليه، إنه الطفولة حيث هناك أشخاص لازالو يحبونني» ساهمت في رسم الملامح الكبرى لأحداث الفيلم و رصد الصراع الداخلي والنفسي الذي يعيشه بطل الفيلم..

كما أعلنت عن اغتراب كامن استطاع اللاجيء أن يعبر عنه بشعرية باذخة فيما ظل بطل الفيلم، الذي هاجر منذ طفولته، يداريه إلى غاية لحظة قدوم الأب الذي واجهه بالسؤال الحارق «وماذا عن الألمان هل يقبلونك؟» يجيب الابن بمراوغة «إنهم لا يتجاهلونني» ويمعن الأب في الإحراج دون انتظار الجواب «وهل هذا كاف بالنسبة لك؟».»

فيلم «بيوند ووردس» هادئ بإيقاع بطيء أحيانا في ظاهره، لكنه يحمل إيقاعا داخليا حركيا يعكس توتر شخصياته، يسافر بنا إلى عوالم برلين المتعددة الأعراق والثقافات لنتعرف على شوارعها وأزقتها وعمارتها وحياة الناس فيها.

كما يسلط الضوء على عوالم مدينة عملاقة والتي تعج بأنماط عيش متباينة مثل أنشطة نصف ممارسي رياضة اليوغا وهم عراة فوق أسطح العمارات حيث الاحتفال بجسد يلامس السحاب وأجساد تمارس الإدمان في عالم تحتي أرضي.

الأبيض والأسود

تسافر بنا الكاميرا عبر الأبيض والأسود كاختيار جمالي شكل تحديا للطاقم الفني للفيلم لدخول مغامرة سينمائية في زمن تم الاعتقاد فيه بأن زمن الأبيض والأسود قد ولى إلى غير رجعة.

ويمكن اعتبار أن توظيف الأبيض والأسود ليس حنينا للماضي وحسب بل هو استجابة فنية لإبراز عالمين مختلفين من الوافدين على العاصمة الألمانية والذين تحمل أجسادهم لونا مميزا يدل على أصول كل فرد منهم.

وأعتقد أن اختيار الأبيض والأسود يعود أيضا إلى لفت الانتباه إلى تعدد الإشكالات التي تود من خلالها مخرجة الفيلم بسطها للمشاهد والتي تضم طبقات متعددة تمثل ما هو اجتماعي وثقافي وهندسي لمدينة عملاقة في حجم برلين التي ترمز إلى كل المدن ذات التنوع العرقي والثقافي..

وما يمنح للفيلم قوته تلك المغامرة التي تفوق فيها بشكل كبير مدير تصوير، لينيرهيليج، حيث أبان على أن تغيير مجال المتفرج المتعود على صورالألوان ليس من باب المستحيل بل جعل من فضا ء برلين الهندسي مجالا مفتوحا اقتحمته الكاميرا دون تردد وقدمته تماما كما أنه لم يشاهد من قبل.

التشخيص بالأبيض والأسود

في سؤال وجهته لبطلي الفيلم حول الرؤية الشخصية لصورتهما في الفيلم بالأبيض والأسود، أجاب الممثل البولندي أندرزج شيرا «لم يسبق لي أن اشتغلت في فيلم بالأبيض والأسود من قبل وبمعنى آخر يمكن اعتباره شيئا مثيرا وجديدا في نفس الوقت.»

وأضاف أندرزج شيرا (53عاما) «بالفعل يرجعنا ذلك إلى الماضي عندما كنا نشاهد الأفلام بالأبيض والأسود في خمسينات وستينات القرن الماضي حيث كان كل شيء أكثر وضوحا..»

ومقارنة مع أفلام الألوان، لاحظ شيرا «أحيانا نكون تائهين كليا حيث لا نعرف ما الذي نود رؤيته سواء تعلق الأمر بالشخصيات أوالهندسة أوالمناظر.»

وتابع أندرزج «أعتقد أن أفلام الأبيض والأسود يدفعنا إلى المشاهدة واللاحظة الدقيقة للشخصيات وتطور أدائها إنه شيء أكثر ذكاء».

أما ياكوب جيرزال (29سنة) فقد أكد قائلا: «شاهدت الفيلم اليوم لأول مرة وأعتقد أن المسألة لا تتعلق بكيف ترى نفسك كممثل بل المسألة تتعلق بكيفية ورؤية المخرجة ومدير التصوير لما قدمته ولا أظن أن ذلك يمت بصلة لعملي كممثل»

القدس العربي
الاسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العاول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
1st Floor Landmark House. Hammersmith Bridge Road. London. W6 9EJ England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) ✻ فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
✻ هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
✻ هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 ✻ هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراك: الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 1st Floor Landmark House. Hammersmith Bridge Road. London. W6 9EJ England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk ✻ www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) ✻ Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco ✻ Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 ✻ Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الاسبوعي
Weekly

السنة التاسعة والعشرون العدد 9064 الأحد 14 كانون الثاني (يناير) 2018 – 27 ربيع الآخر 1439 هـ

Volume 29 - Issue 9064 Sunday 14 January 2018

«بتفلق الصخر... يخزي العين عنك واسم الله عليك وحواليك»

دراسة فولكلورية: «صيبة العين» معتقد رائج في الشرق والغرب

الناصرة ـ «القدس العربي»: وديع عواودة

تتسع كثيرا دائرة وسائط الوقاية لدى العرب والعجم مما يعتقد بأنه «صيبة العين» كيف لا وهي «بتفلق الصخر» فدقوا على الخشب ثلاث مرات. فإذا كنتم تؤمنون فالنتيجة في صالحكم وإن اعتبرتم ذلك مجرد هراء وأساطير فإن القصة الفولكلورية مسلية وغير مضرة وتخزي العين عنكم. والحديث عن دراسة فولكلورية بعنوان «صيبة العين في تراث وتقاليد الشعوب» لسعيد نبواني من أراضي 48 وفيها يؤكد أن الإصابة بالعين (أي الحسد) عقيدة شائعة بين الناس من أقدم العصور وفي مختلف البلدان وتوضح أن للعين تأثير سحري يلحق الأذى بالأشخاص والحيوانات والأشياء وأن أكثر ما يصاب منهم الأطفال الحسان.

وتوضح الدراسة الصادرة عن «دار المشرق» أن الشخص الذي يصيب بالعين يدعى عائن، وأنه لا يدري كيف عان ومتى ألحق الأذى بالآخر لأن ذلك غير منوط بإرادته ما يفسر إصابته أقرب الناس له أحيانا.

وتشير الدراسة إلى أن «صيبة العين في تراث وتقاليد الشعوب» أن الذين يصيبون بالعين وفق معتقدات العرب من الرجال هم من قباح الوجوه وغلاظ الحواجب وغائري العيون وأصحاب العيون الزرق والأسنان الفرق ومن الجنس الآخر العجوز الشمطاء الكثيفة الشعر.

الحسد والروح الشريرة

وترى الدراسة بـ «صيبة العين» أو «الحسد» مرادفة لتعبير «إصابة العين بالحسد» وتقول إنها أذية الآخرين بواسطة العين عن طريق موجات كهربائية مغناطيسية شريرة تنتقل من الحاسد إلى المحسود أو عن طريق روح شريرة أو غيره مما وقف العلماء حياله عاجزين عن تفسيره.

وللتعريف بإصابة العين تستذكر الدراسة أيضا «لسان العرب» الذي يعرف المعين بالمصاب بالعين والمعيون فهو من فيه عين وتشير إلى أن حقيقة العين نظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظور إليه ضرر.

كلام الناس

وعن رأي عامة الناس في الموضوع تقول الدراسة «كانت النساء أيام زمان تتزين بالأزرق وترتديه وكان هذا اللون يزين جدران المنزل وأذكر كيف كانت أغلبية بيوت قرية الفريديس قضاء حيفا مطلية بالدهان الأزرق وكذلك بلدة عجة في الضفة الغربية وغيرهما من القرى العربية». ويكشف المؤلف تأثره بوالدته في الاعتقاد بصيبة العين وتأليف كتاب عنها فيقول «تقول لي الوالدة أن هناك اناسا يستطيعون رمي وإيقاع الطير من الجو وقطع عنقود العنب من العريشة من خلال النظر إليه فقط». ولكن الكاتب يستذكر مواقف متباينة لدى الناس بين من يؤمن بصيبة العين وبين من يعتبرها هراء.

الحامل والمحمول

ويقال حسب المعتقدات التراثية إن «صيبة العين» تفلق الحجر. وتروي الدراسة قصص كثيرة عنها منها قصة أبو يوسف (82 عاما) من قرية أبو سنان في الجليل الذي قال نقلا عن والده «كنا ثلاثة زملاء نتسامر مقابل المنزل حينما مرت مجموعة فتيات يحملن جرار الماء المائلة على رأسها فقال أحد الزملاء والمعروف بصيبة العين وهو يشير لأجملهن: شو رأيكم في الحامل والمحمول.. فقال صديقه: يا ويلك من الله إن رغبت في إصابتها بالعين فطرقها عين وإذ بالجرة تنكسر وتسيل المياه على وحه الصبية». وردا على سؤال يقول أبو يوسف إنه يؤمن بصيبة العين ويدعو لتفاديها بذكر الله والقول «يخزي الشيطان أو اسم الله عليك وحواليك أو يا عذرا أو يا مخلص خلصنا وحمينا».

حكاية الجمل

وتقول الدرسة ضمن قصص صيبة العين «يحكى أن أحد الأشخاص كان يصيب بالعين، لكنه كبر وشاخ وكف بصره. ذات يوم قال له بعض الناس ممن في قلوبهم مرض، إن فلانا من الناس عنده جمل سمين وكبير وجميل وليس في جمالنا ما يشبهه. قالوا للرجل الكفيف: لو كنت بصيرا لطلبنا منك أن تصيبه بالعين حتى نرتاح منه» لشدة حسدهم. فقال لهم: لا عليكم، اعملوا لي كومة من التراب تشبه سنام الجمل، فقام يتحسسها وجعل يمر بيده عليها عدة مرات وهو يتخيل الجمل ويقصده بكلامه: ما أسمن هذا الجمل وما أكبر سنامه.... فيقال إن الجمل وقع عند صاحبه ومات».

كما يتابع نقلا عن الشيخ فاروق صفية إمام مسجد قرية كفرياسيف الجليلية: «يحكى أن أحد الأشخاص من قرية كفر ياسيف كان أعمى ولكنه معروف بصيبة العين قد فعل فعلا مشابها. وتنوه الدراسة إلى أن الإيمان بـ«صيبة العين» يعود إلى زمان سحيق وإلى اعتقاد الفينيقيين والفراعنة بها واتخاذهم الأحجية والتعاويذ والخرز الأزرق وغيرها تدابير للوقاية من شرورها.

أعراض الحسد

ويوضح الباحث أن المعتقد بـ«صيبة العين» ما زال رائجا لدى الشعوب المختلفة بوجود مستويات متفاوتة من الإيمان بها. وتقول الدراسة إن أعراض الحسد تظهر على المال والبدن والنفس والسلوك وتتجسد في الانطواء والانعزال والخمول والأوجاع المختلفة وكثرة التثاؤب. وتشير الدراسة إلى أن أساليب الوقاية والعلاج متعددة وغريبة منها يتم بواسطة الحجاب والخرز الأزرق وإذابة الرصاص واستخدام النار وصورة اليد المعدنية «الخمسة» والأحذية والبيضة المجوفة والآيات والدق على الخشب وغيرها.

أما دقة الخشب فهي عادة منتشرة لدى مختلف الشعوب ولدى حتى من لا يؤمن بالعين صارت حركة مألوفة وتعود هذه الخرافة حسب الدراسة إلى العصور القديمة حيث كان الناس يعتقدون أن الآلهة من النوع الكريم الميال للمساعدة، تسكن الأشجار ولطلب معروف من إحدى هذه الأشجار الإلهية كان على الطالب أن يلمسها، ويقرع جذعها تعبيرا عن الشكر.

ويقول معد الدراسة الباحث سعيد نبواني لـ «القدس العربي» إن الأمثال العربية مثل «يكفيك صيبة العين» تعكس مدى رواج الاعتقاد فيها لدى الفلسطينيين والعرب ويسرد الكثير من القصص الشعبية عنها مقابل الإشارة لرفضها من قبل آخرين. ويشير لعادة تحويل الأنظار عن الشيء بإخفاء جماله وتشويه منظره ما دفع بعض الأمهات لترك أولادهن قذرين خشية من العين. ويروى عن سيدة من الناصرة كانت ترتدي ثوبها معكوسا للغرض ذاته. أما الخرزة الزرقاء فتعود كما ينوه نبواني لتقاليد فرعونية، حيث عمل المصريون القدماء لحماية أنفسهم من الحسد بالخرزة الزرقاء التي تمتص الطاقة الشريرة من عين الحاسد.

في الديانات

ويوضح، أن عقيدة الحسد والإصابة بالعين شائعة في جميع الأديان والحضارات في الشرق والغرب ويضيف «إذا كان الإيطاليون يحرسون أنفسهم وبيوتهم بالثوم، فإن الأمريكيين يستعينون بخشب الصندل». كما يوضح أن لفظة «الحسد» ومشتقاتها وردت خمس مرات في القرآن الكريم منها «ومن شر حاسد إذا حسد» علاوة على أحاديث نبوية كثيرة منها ما روته عائشة «أمرني النبي صلعم بأن نسترقي من العين» كما ورد في الصحيحين. ويشير لانتشار الاعتقاد في صيبة العين في اليهودية، منوها لما أوصى النبي يعقوب عليه السلام أولاده عندما أرسلهم لمصر لزيارة النبي يوسف بعدم الدخول من باب واحد خوفا من صيبة العين. لافتا أيضا لما ورد في سفر التكوين من أن النبي إبراهيم الخليل سأل أين اسحق؟ فكان الجواب إنه أرسل في الليل خوفا من العين.

لكن الدراسة تؤكد نبذ الديانات التوحيدية الثلاث لأعمال الشعوذة والسحر والعرافة والرقية.